قطب العارفين

في العقائد والتصوف

تأليف

أبي القاسم عبد الرحمن بن يوسف اللجائي

توفي سنة 599 هـ

حققه وقدم له

الدكتور محمد الدبياجي

دار صادر
بيروت

قطب العارفين

في العقائد والتصوّف

قطب العارفين

في العقائد والتصوف

تأليف

أبي القاسم عبد الرحمن بن يوسف اللجائي

توفي سنة 599 هـ

حققه وقدم له

الدكتور محمد الدّيباجي

دار صادر
بيروت

الطبعَة الأولىٰ

1422هـ / 2001 م



تأسست سنة ١٨٦٣

ص.ب ١٠ بيروت ، لبنان

© DAR SADER *Publishers*
P.O.B. 10 Beirut, Lebanon

Fax: (961) 4.910270
e-mail: dsp@darsader.com
http: www.darsader.com

Al-Mar'at wal-Šhu'ūn al-'Āmat fi al-Islām
(Muhammad al-Hajj al-Nāṣṣir)
p. 192 - s. 17.5x25 cm

ISBN 9953-13-030-2

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الفصل الأول : المؤلِّف

أولاً : عصره

عاصر أبوالقاسم عبد الرحمن بن يوسف اللجائي ثلاثة من الخلفاء الموحدين هم : عبد المؤمن بن علي (توفي سنة 558هـ) ، ويوسف بن عبد المؤمن (توفي سنة 580هـ) ، ويعقوب بن يوسف المعروف بيعقوب المنصور (توفي سنة 595هـ) . وتعتبر هذه الفترة التي حكم فيها هؤلاء الخلفاء الثلاثة أزهى فترة في تاريخ الدولة الموحدية ، بل هي من أزهى الفترات في تاريخ المسلمين ولاسيما في الغرب الإسلامي . فقد حقق هؤلاء الخلفاء نصراً سياسياً كبيراً ، وتمكنوا من إقامة مملكة راسخة البنيان ، شامخة الأركان ، ممتدة الأطراف ، مترامية الأكناف . كما ازدهرت في عهودهم الآداب والعلوم والفنون ازدهاراً لم تعرف له العدوتان مثيلاً من قبل .

[1]

فقد توفي المهدي بن تومرت ، مؤسس الدولة الموحدية ، سنة 524هـ ، بعدما قضى ما يقرب من عشر سنوات[1] في محاربة المرابطين ، وتقويض دولتهم ، والدعوة إلى إقامة دولة جديدة هي دولة «الموحدين» . وكان أقرب أنصاره إليه ، وأحبهم إلى قلبه ، وأعلاهم قدراً في نفسه ، وأولاهم بمكنون سره ، تلميذه عبد المؤمن بن علي . ويحكي لنا كثير من المؤرخين القدماء أن ابن تومرت رأى في منامه وهو في طريق عودته إلى المغرب بعد رحلته الطويلة إلى المشرق أن هذا الأمر سينهض به بعده فتى اسمه عبد المؤمن ، من صفته ونعته كيت وكيت . . .[2] فلم يلبث أن ظفر به في قرية ملاّلة ، بالقرب من بجاية ، فاستَصْحَبَه وتوسَّم فيه الخير كل الخير ، ووثق أنه هو المحقق لدعوته ، والناهض بدولته[3] . ومما يدل على ذلك ويؤكده أن أصحابه لما أخبروه بأن

---

1 المهدي بن تومرت : 127 .

2 المعجب : 164 ، الأنيس المطرب : 195 .

3 تذهب طائفة أخرى من المؤرخين إلى القول بأن المهديّ بن تومرت إنما قرّب إليه عبد المؤمن لِما رأى فيه من مخايل النجابة والذكاء . وفي هذا يقول ابن العماد : «فلقي بقرية ملالة عبد المؤمن بن علي شاباً مختطاً مليحاً فربطه عليه ، وأفضى إليه بسره» . ــ الشذرات 471/4 . ــ ويقول ابن الأثير : «رأى فيه من النجابة والنهضة مـا تفرّس فيه التقدم والقيام بالأمر» . ــ الكامل : 295/8 .

جيوش المرابطين أبادت أصحابه في وقعة البحيرة[1] ، وهي أول معركة خرج فيها جيش الموحدين على المرابطين (سنة 524هـ) ، سألهم المهدي بن تومرت : ما فعل عبد المؤمن ؟ فأخبروه بأنه ما زال يجول على فرسه ، فطمأنهم إذاك بأن النصر سيتم لا محالة لهم[2] .

ومعنى هذا أن المهدي بن تومرت هيّأ عبد المؤمن أحسن تهييء ليؤسس الدولة الجديدة وينهض بأمرها ، فنشأ «ملوكياً» كما يقول المراكشي ، أي كأنه نشأ في بيت إمارة وملك[3] فلما عهد إليه أصحاب المهدي بخلافته بعد وفاته أعدّ عدته ، وجَيَّش جيوشه ، وخرج لقتال المرابطين . فما زال يقاتلهم حتى استأصلهم ، كما قضى على بعض الفتن الداخلية التي نشأت إثر قتاله للمرابطين[4] ، وبذلك استطاع أن «يفتح المغرب بأسره ، ثم فتح بلاد إفريقيا إلى برقة ، وفتح بلاد الأندلس بأسرها ، وخُطِب له على هذه المنابر كلها»[5] . ولذلك وصفه ابن أبي زرع كما وصفه غيره من المؤرخين بأنه كان «ذا حزم وسياسة وشجاعة وإقدام في الحروب وفي مهمات الأمور ، سَرِيَّ الهمة ، ميمون النقيبة ، منصوراً مؤيداً ، لم يقصد قطّ بلداً إلا فتحه ، ولا قاتل جيشاً إلا هزمه»[6] .

وتوفي عبد المؤمن سنة 558هـ ، فولي الخلافة بعده ابنه يوسف بن عبد المؤمن ، فسار سيرة أبيه ، وكان أشبه به حزماً وعزماً وطموحاً ، فاستكثر من السلاح والجيوش ، وقوّى الأسطول الذي أنشأه أبوه من قبله حتى أصبح أعظم أسطول في عصره . وبذلك دانت له البلاد بعدوتيها كما دانت لأبيه من قبله ، «وكثرت في عهده الأموال ، وتمهّدتِ البلاد ، وتأمّنت الطرقات ، وضُبطَتِ الثغور ، وصلح أمر الناس في البادية والحاضرة . وذلك لحُسن سيرته الجميلة ، وعدله الشامل لرعيته ، وتفقُّدِه لأحوال بلاده القريبة والبعيدة ، ومباشرة أمور مملكته بنفسه»[7] .

وبعد وفاته بويع ابنه يعقوب بن يوسف الذي عُرف بيعقوب المنصور . وكان ذا رأي وحزم ، وهمة وعزم ، قوّى جيشه وأسطوله وطوّرهما ، وحمى الثغور ، ووطد الأمن . وفي هذا يقول ابن أبي زرع : «صَنَع الله عزّ وجلّ في أيامه الأمن بالمشرق والمغرب والأندلس ، فكانت

---

1 المعجب : 165–166 ، العبر : 271/6 .

2 انظر تفاصيل ذلك في : نظم الجمان (لابن القطان) : 122 ، والمعجب : 165 ، وكتاب العبر 271/6 .

3 الأنيس المطرب : 204 .

4 انظر تفاصيل ذلك في الأنيس المطرب : 189–202 .

5 الأنيس المطرب : 201 .

6 الأنيس المطرب : 204 .

7 الأنيس المطرب : 206 .

الظعينة تخرج من بلاد نول لمطة (جنوب المغرب) حتى تصل بَرْقة وحدها ، لا ترى من يعارضها»[1].

وقد بنى يعقوب المنصور كثيراً من المدارس والمستشفيات والمارستانات ، وأجرى النفقات على الطلبة والمدرسين والعلماء ، وعلى المرضى والأطباء . لذلك ولغيره مما لايتسع المجال ههنا لذكره وبسْط القول فيه اعتُبر عبد المؤمن «واسطة عقدهم الذي ضخَّم الدولة وشرَّفها . وكانت أيامه أيام دعة وأمن ورخاء ورفاهية»[2].

وفي أيامه كانت «وقعة الأرك» (سنة 591هـ) ، بين المسلمين وقوات النصارى المتحالفة في أوروبا . وهي من أشهر الغزوات في تاريخ المسلمين في الغرب الإسلامي . وقد أعزّ الله بها الإسلام ، وثبّت أركانه ، ووحّد بها كلمة المسلمين ، وأعز شأنهم[3] . لذلك كان عهد يعقوب المنصور الموحدي ، ولاسيما بعد هذه الوقعة «زينة للدهر ، وشرفاً لأهل الإسلام ، ولم يزالوا فيها[4] أعزّة ظاهرين على العدو ، قاهرين له»[5] .

[2]

وقد صاحب هذا الازدهارَ السياسيَّ ازدهارٌ علميٌّ لم يعرف له المغرب مثيلاً من قبل . فقد قامت دولة الموحدين على العلم والعلماء . فمؤسسها الأول ، المهدي بن تومرت ، لم يقنع بما حصّل من العلوم في المغرب فرحل في طلب العلم إلى المشرق «ودخل إلى العراق ولقي جِلّة العلماء يومئذ وفحول النظار»[6] . ومن هؤلاء أبو حامد الغزالي ، وقد لازمه ثلاث سنوات حسب ما ذكره كثير من المؤرخين القدماء[7] وأفاد منه علماً جليلاً ، وتوسم فيه أبو حامد الغزالي خيراً كثيراً ودعا له بأن تكون نهاية حكم المرابطين على يده[8] . ــ ومن جِلّة العلماء الذين تتلمذ عليهم المهدي بن تومرت ببغداد المبارك بن عبد الجبار (توفي سنة 500هـ) ، وكان المبارك من أكبر المحدثين في

---

1 الأنيس المطرب : 217 .

2 المصدر نفسه .

3 الأنيس المطرب : 220–228 ، والعجب : 134–235 .

4 أي في الأندلس .

5 الأنيس المطرب : 218 .

6 كتاب العبر 465/6 .

7 المعجب : 197 ، الأنيس المطرب : 204 .

8 شكّ بعض المؤرخين في صحة لقاء المهدي بن تومرت بأبي حامد الغزالي ، واعتبروا ذلك من افتراء المؤرخين الموالين للموحدين ، ولكن الرأي الغالب هو أن المهدي صحب الغزالي وتتلمذ عليه .

عصره[1] . ـ ومن هؤلاء أبو بكر الشاشي الملقب فخر الإسلام ، وهو رئيس الشافعية في عصره[2] (توفي سنة 507هـ) ، أخذ عنه الفقه وأصول الدين . ـ ومنهم أبو بكر الطرطوشي (توفي سنة 520هـ) . وكان الطرطوشي فقيهاً متبحراً في السياسة الشرعية ، وقد ألّف فيها كتابه «سراج الملوك»[3] . لذلك قال ابن خلدون عن المهدي : «إنه رجع من المشرق وهو شعلة من العلم» . بل لا نبعد الصواب إذا قلنا إن المهدي بن تومرت كان أكبر علماء عصره . ومما يدل على ذلك ويؤكده هو ما رواه كثير من المؤرخين القدماء من تفوقه على العلماء الذين استدعاهم علي بن يوسف لمناظرته حينما رُفع أمره إليه . فإنه خاطبهم بعلم لم يعرفوه ، وأسلوب لم يعهدوه . وفي هذا يقول ابن أبي زرع : «فأمرهم بإحضار الفقهاء إلى مناظرته واختباره ، فحضر فقهاء مراكش وطلبتها ، وأشياخ لمتونة والمرابطين حتى امتلأ المجلس وغصَّ بالناس ، فعرّفهم أمير المسلمين بأمر المهدي ومقالته ، وقال لهم : إنما بعثت لكم لتختبروا أمره ، فإن كان عالماً اتبعناه ، وإن كان جاهلاً أدبناه . فأكثروا الكلام ، وأخذوا في الملام ، وكان المهدي عالماً بالجدل . . . فبهرهم بطريق أنوار العلم ، وغلقت دونهم أبواب الفهم ، وعجزوا عن جوابه ، ولم يفهموا معنى لخطابه . فلما رأوا باهر علمه ، وإصابة معرفته ، أخذتهم فضيحة العجز»[4] .

ولابن تومرت كما هو معلوم معروف عند المهتمين بتاريخ الموحدين مؤلفات قيمة ، في مقدمتها كتابه الشهير «أعزّ ما يُطلب» ، وقد عبّر في مفتتح كتابه هذا عن قيمة العلم في الدين والدنيا فقال : «أعزّ ما يُطلب ، وأفضل ما يكتسب ، وأنفس ما يذخر ، العلمُ الذي جعله الله سبب الهداية إلى كل خير»[5] .

ومن مؤلفاته :

ـ المرشدة ، وهي رسالة من صفحتين تلخص فكره العقدي .

ـ العقيدة ، وهي رسالة في مسائل العقيدة قائمة على الاستدلال العقلي .

ـ رسالة في توحيد الباري ، وهي رسالة صغيرة على غرار «المرشدة»[6] .

---

1 لسان الميزان 9/5 .

2 وفيات الأعيان 464/1 .

3 وفيات الأعيان 479/1 .

4 الأنيس المطرب : 175 .

5 أعز ما يطلب : 2 .

6 ولابن تومرت مؤلفات أخرى ذكرها وبسط القول فيها د . عبد المجيد النجار في كتابه «المهدي بن تومرت» : 145-158 .

وقد تتلمذ على المهدي كثير من أتباعه ، وفي مقدمتهم عبد المؤمن بن علي . فقد أخذ عنه علماً غزيراً ، وتخرّج مثله «عالماً بالجدل ، فقيهاً في علم الأصول ، حافظاً لحديث النبي ﷺ ، متقن الرواية ، مشاركاً في كثير من العلوم الدينية والدنيوية ، إماماً في النحو واللغة والأدب والقراءات ، ذاكراً للتاريخ وأيام الناس . . . وكان مع ذلك سخياً كريم الأخلاق ، محباً في أهل العلم والأدب ، مقرباً لهم ، مشوّقاً لوفادتهم»[1] .

وقد جلب عبد المؤمن أكبر علماء عصره لابنه يوسف ليأخذ عنهم ويتفقّه عليهم لاعتقاده الشديد ، وإيمانه الراسخ بأن العلم هو «أعزّ ما يُطلب» ، وأنه «سبب الهداية إلى كل خير» كما علمه شيخه المهدي بن تومرت . فأتقن يوسف بن عبد المؤمن كثيراً من العلوم حتى عُدَّ من «أحسن الناس إلفاظاً بالقرآن ، وأسرعهم نفوذ خاطر ، وأحفظهم للغة العربية . . . هذا مع إيثار للعلم شديد ، وتعَطُّش إليه مفرط . صحَّ عندي أنه كان يحفظ أحد الصحيحين ، إما البخاري وإما مسلم ، وأغلب الظنّ أنه البخاري . وكانت له مشاركة في علم الأدب ، واتساعُ حفظٍ في اللغة ، وتبحّر في علم النحو حسب ما تقدّم ثم طمح به شرف نفسه ، وعلوّ همته إلى تعلم الفلسفة . . .»[2] . لهذا وفد عليه العلماء من العدوتين لإكرامهم لهم ، وإغداقه عليهم . فمن هؤلاء : أبو بكر بن طفيل (توفي سنة 581هـ) ، وعبد الملك بن القاسم القرطبي ، وكان «من أهل التبريز في صناعة الطب»[3] (توفي سنة 575هـ) . ومنهم أبو الوليد ابن رشد «استدعاه أمير المؤمنين إلى سكنى مراكش برسم الطب ثم ولّاه القضاء بقرطبة ، وهو ابن رشد الحفيد»[4] . ومنهم أبو بكر ابن زهر «كان يتكرّر على الحضرة فيقيم فيها ويرجع إلى الأندلس ثم انتقل إلى مراكش بجملته وأهله»[5] .

وكذلك نشأ يعقوب بن يوسف المعروف بيعقوب المنصور ، فقد كان مقبلاً في صباه على التعلم بهمة عالية وشغف كبير ، فنشأ كما وصفه ابن أبي زرع : «عالماً بالحديث والفقه واللغة ، مشاركاً في كثير من العلوم النافعة للدين والدنيا ، محباً في العلم والعلماء ، معظماً لهم ، صادراً عن رأيهم»[6] . وقد بلغ به حبه العلم والعلماء والصلحاء والفضلاء أنه كان

---

1 الأنيس المطرب : 203–204 .

2 المعجب : 199 .

3 الأنيس : 207 .

4 المصدر نفسه .

5 المصدر نفسه .

6 الأنيس المطرب : 216 .

يشهد جنائزهم «ويزورهم ويتبرك بهم»[1] .

[3]

فليس من العجب في شيء بعد هذا أن تزدهر الحركة الأدبية والفكرية في هذا العصر. وقد يطول وصف ذلك في هذه المقدمة المقتضبة[2] . وإنما نكتفي بالإشارة إلى ازدهار بعض العلوم التي لم يكن لها شأن في عصر المرابطين أو كان لها شأن ضعيف ، ونعني بها : التصوف والجدل وعلم الكلام والفلسفة .

أما التصوف فقد نبغ كبار أعلامه في هذه المرحلة من تاريخ الدولة الموحدية مثل محيي الدين ابن عربي (توفي سنة 638هـ) ، وابن سبعين (توفي سنة 669هـ) ، في الأندلس . ومثل أبي العباس السبتي (توفي سنة 601هـ بمراكش) ، وأبي محمد صالح الأسفي الذي تتلمذ مثل المهدي بن تومرت على الغزالي[3] ، والشيخ عبد السلام بن مشيش (توفي سنة 622هـ) وأبي القاسم عبد الرحمن بن يوسف اللجائي ، مؤلف «قطب العارفين» .

وأمّا علم الكلام فقد كان فقهاء المرابطين ينكرونه ويناصبون أهله العداء ، بل قد يذهبون إلى حد تكفيرهم ودعوة أولي الأمر إلى إحراق الكتب التي تخالف نهجهم الفكري . وإفتاؤهم بإحراق كتب أبي حامد الغزالي أمر مشهور معروف[4] . ولعل وطأة الفقهاء بلغت أشدّها في محاربة العلوم الجدلية في عهد علي بن يوسف بن تاشفين . وفي هذا يقول المراكشي : «ودان أهل ذلك الزمن بتكفير كل مَن ظهر منه الخوض في شيء من علم الكلام ، وقرر الفقهاء عند أمير المؤمنين تقبيح علم الكلام وكراهة السلف له ، وهجرهم مَن ظهر عليه شيء منه ، وأنه بدعة في الدين ، وربما أدّى أكثره إلى اختلال في العقائد ، في أشباه لهذه الأقوال حتى استحكم في نفسه بُغضُ علم الكلام وأهله ، فكان

---

1 الأنيس المطرب : 216 .

2 ارجع في تفصيل ذلك إلى كتاب النبوغ المغربي وكتاب الآداب العلوم والفنون في عصر المودين . (انظر فهرس المصادر والمراجع) .

3 التشوف : 94 .

4 يقول الناصري : «كان علي بن يوسف واقفاً كأبيه عند إشارة الفقهاء وأهل العلم . فلما أفتوه بإحراق كتاب الإحياء كتب إلى أهل مملكته في سائر الأمصار والأقطار بأن يبحث عن نسخ الإحياء بحثاً أكيداً ويحرق ما عثر عليه منها ، فجمع من نسخها عدد كثير في بلاد الأندلس ، ووضعت بصحن جامع قرطبة ، وصبّ عليها الزيت ، ثم أوقد عليها بالنار . وكذا فُعِل بما لقِي من نسخها بمراكش ، وتوالى الإحراق عليها في سائر البلاد» . الاستقصا 73/2 .

يُكتَب عنه في كل وقت إلى البلاد بالتشديد في نبذ الخوض في شيء منه ، وتوعَد من وُجِد عنده شيء من كتبه»[1] . فلما عاد المهدي بن تومرت من رحلته إلى المشرق أخذ ينشر هذا العلم بين طلبته وأتباعه . وقد رأينا أنه تتلمذ على مشايخ علم الكلام وجهابذته بالعراق . «وكان أكثر ما يدعو إلى الأخذ بمذهب الأشاعرة في الاعتقاد ، خاصة في تأويل المتشابه من الآي والأحاديث ، الذي كان المغاربة لا يجنحون إليه أخذاً بمذهب السلف في ترك التأويل وإقرار المتشابهات كما جاءت ، مشدِّداً النكير عليهم في ذلك ، وربما رماهم بالتجسيم . ولذلك سمّى أتباعَه بالموحدين تعريضاً بخصومه من رجال الدولة والفقهاء»[2] .

وقد رأينا أن المهدي ألّف في ذلك كتباً منها «المرشدة» و«رسالة في التوحيد» ، وهما رساتان صغيرتان يسهل قراءتهما وفهمهما ، بل يسهل حفظهما على طلبة العِلم . وكان المهدي بن تومرت يقوم بشرح كتبه لطلابه ولاسيما هاتان الرسالتان . وفي هذا يقول ابن خلدون : «فنزل [المهدي] على قومه ، وذلك سنة خمس عشرة وخمس مائة ، وبنى رابطة للعبادة فاجتمع إليه الطلبة والقبائل يعلمهم المرشدة والتوحيد باللسان البربري»[3] .

وواصل خلفاء المهدي دعوته ، وقرروا تدريس كتبه لطلاب العلم ولاسيما «المرشدة» و«التوحيد» . وخصصوا الجوائز السنية لمن كان يحفظ كلام شيخهم ومؤسس دولتهم . وقد أصدر عبد المؤمن بعدما تمَّ له الأمر ظهيراً سلطانياً يحثُّ فيه الناس على الاهتمام بكتب المهدي ، والاعتناء بها ، واستيعاب ما جاء فيها ، بل وحفظ ما تيسر منها . ومما جاء في هذا الظهير : «ويؤمَر الذين يفهمون اللسان العربي ويتكلمون به أن يقرؤوا» التوحيد «بذلك اللسان من أوله إلى آخر» القول في المعجزات «ويحفظوه ويفهموه ، ويؤمر طلبة الحضر ومن في معناهم بقراءة العقائد وحفظها وتعاهدها على سبيل التفهّم والتبيّن ، والتنبيه والتبصير ، ويلزم العامة ومن في الديار بقراءة العقيدة التي أولها «اعلم ارشدنا الله وإياك» (يعني «المرشدة») وحفظها وتفهمها ، واشمل في هذا الإلزام الرجالَ والنساء ، والأحرار والعبيد ، وكلَّ مَن توجَّه عليه التكليف ، إذ لا يصح لهم عمل ، ولا يقبل منهم قول دون معرفة التوحيد»[4] .

فلم تمضِ على قيام الدولة الموحدية إلا فترة وجيزة من الزمن حتى ظهر الاهتمام بعلم

---

1 المعجب : 236 .

2 النبوغ المغربي : 110/1 .

3 العبر : 469/2 .

4 أخبار المهدي للبيدق : 139–140 .

الكلام ، وبرّز فيه طائفة من العلماء أمثال الشيخ أبي عمرو عثمان بن عبد الله بن عيسى السلالجي[1] «وهو الذي على يده وقع تحوّل أهل فاس من المذهب السلفي في العقيدة إلى المذهب الأشعري تبعاً للتيار العام الذي اكتسح المغرب بأجمعه في هذا الأمر نتيجة لدعوة ابن تومرت»[2] . وقد ألّف في ذلك كتاباً سماه «العقيدة البرهانية»[3] . ومثله العلامة المتكلم الأصولي أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم الفاسي ، المعروف بابن الكتاني[4] ، «كان إماماً في علم الكلام وأصول الفقه ، مدرِّساً لذلك حياته كلها»[5] . ومنهم أحمد بن عبد الرحمن الصغيرالأنصاري ، وقد ولاّه عبد المؤمن قضاء غرناطة ثم إشبيلية[6] . ـ ومن العلماء الذين أخذوا بالمذهب الأشعري في هذه الفترة أبو القاسم عبد الرحمن بن يوسف اللجائي كما يبدو لنا ذلك بجلاء ووضوح من القسم الأول من كتابه «قطب العارفين» ولاسيما في شرحه للآيات القرآنية التي قد يبدو منها التشخيص والتجسيد للذات الإلهية ، وسنشير إلى ذلك حينما نتحدث عن الكتاب .

وقد قاد هذا الازدهار العلمي والتفتح الفكري إلى إقبال المغاربة على دراسة الفلسفة ولاسيما في عهد الخليفة يوسف بن عبد المؤمن إذ كان هو نفسه آخذاً بنصيب وافر من العلوم الفلسفية ، محباً لأهلها ، مقرباً لهم ، مغدقاً عليهم . وفي هذا يقول المراكشي : «طمح به شرف نفسه ، وعلوّ همته ، إلى تعلم الفلسفة ، فجمع كثيراً من أجزائها ، وبدأ بعلم الطب . . . ثم تخطى ذلك إلى ما هو أشرف من أنواع الفلسفة ، وأمر بجمع كتبها ، فاجتمع له منها قريب مما اجتمع للحَكَم المستنصر بالله الأموي»[7] . وقد وفد عليه كما ذكرنا من قبل أكبر الفلاسفة الذين عاشوا في هذا العهد ، نذكر في مقدمتهم ابن طفَيل[8] ، وابن رشد ، وابن زهر ، وعاشوا في بلاطه مكرمين منعَّمين .

---

1 توفي سنة 574 هـ .

2 النبوغ المغربي 130/1 .

3 المهدي بن تومرت : 445 .

4 توفي سنة 596 هـ .

5 النبوغ المغربي 159/1 .

6 الإحاطة 67/1 .

7 المعجب : 310 .

8 يقول المراكشي : «وكان أمير المؤمنين أبو يعقوب [يوسف بن عبد المؤمن] شديد الشغف به ، والحب له . . . ولم يزل أبو بكر هذا يجلب إليه العلماء من جميع الأقطار ، وينبهه عليهم ، ويحضه على إكرامهم ، والتنويه بهم» . ـ المعجب : 203 .

ثانياً : حياته وآثاره

[1]

عاصر أبو القاسم[1] عبد الرحمن بن يوسف اللجائي الفترة الأولى من قيام الدولة الموحدية ، وتوفي في حياة الخليفة الموحديّ يعقوب المنصور سنة 599هـ[2] . وينسب لجبل «لجاية» بشمال المغرب . وقد أنبتت هذه المنطقة جملة من العلماء المغاربة النابهين ، وجدنا ذكراً لبعضهم في كتب التراجم والأعلام ، وفي مقدمتهم عبد الرحمن بن سليمان اللجائي المتوفى بفاس سنة 773هـ[3] ، وهو ابن الفقيه أبي الربيع سليمان اللجائي الذي يعتبر أول من أدخل مختصر ابن الحاجب إلى المغرب[4] . وقد ترجم لعبد الرحمن بن أبي الربيع كثيرون[5] ، منهم محمد بن الطيب القادري الذي قال عقب ترجمته : «وليس هو سيدي عبد الرحمن اللجائي الذي ألّف «قطب العارفين» ، وكتاب «شمائل الخصوص» ، بل هو غيره»[6] .

أما أبو القاسم عبد الرحمن بن يوسف اللجائي ، مؤلف كتاب «قطب العارفين» فلم نعثر له على ترجمة في كتب التراجم الكثيرة التي عدنا إليها ، ونقبنا فيها . وقد ذكره عرَضاً محمد بن الطيب القادري في كتابه «نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني» عند ترجمته لِلْوليّ الشهير ، الفياض الخطير ، الشريف الكبير ، مولاي عبد الرحمن [اللجائي] دفين لجاية ، ذكره في «وفيات العام الثامن من العشرة الخامسة» ، ويقول عنه : «وليس هو سيدي عبد الرحمن اللجائي ، المؤلف في التصوف الذي ذكره الإمام أبو علي اليوسي في محاضراته في حكاية وقعت له في زيارته»[7] . ثم يروي نصَّ هذه الحكاية كما أوردها أبو علي اليوسي في كتابه

---

1 ويكنّى أيضاً بأبي زيد كما ورد في الورقة الأولى من كتابه «شمس القلوب» ، وهو مخطوط بالخزانة العامة تحت رقم : 1186ك . وفي كتاب المحاضرات (لليوسي) 267/1 .

2 فهرس المخطوطات العربية المحفوظة في الخزانة العامة للكتب والوثائق بالمغرب ص : 228/1 (طبعة 1998) . وانظر أيضاً بروكلمان ج 1 /784 ، والملحق ج 998/2 .

3 يرى ابن القاضي أنه «توفي سنة 771هـ ، وقيل التي تليها» . ـ جذوة الاقتباس 83/3 .

4 جذوة الاقتباس ـ الجزء الثاني ـ : 402 ، درة الحجال : 82/3 .

5 منهم : ابن قنفذ في «شرف الطالب في أسنى المطالب» : 85 ، وابن القاضي في «جذوة الاقتباس» : 82/3 ، ودرة الحجال : 82/3 .

6 نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني : 373/1-374 . وقد نصَّ على مثل هذا التنبيه أيضاً العباس بن إبراهيم عند ترجمته لعبد الرحمن بن أبي الربيع . ـ انظر : الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام : 102/8 .

7 نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني : 373/1-374 .

«المحاضرات» . وهي حكاية تلقي بعض الضوء على مكانة عبد الرحمن بن يوسف اللجائي ، مؤلف «قطب العارفين» . لذلك نوردها هنا كما ذكرها اليوسي[1] :

«كان من غريب الاتفاق أني منذ نظرت في كتب التصوف ، أنْ وقع في يدي كتابان في هذا العلم ينسبان لأبي زيد[2] عبد الرحمن اللجائي ، أحدهما «قطب العارفين» ، والآخر «شمائل الخصوص» . فكنت أستحسنهما مع العلم من نفسهما أن مؤلفهما ليس من فحول العلماء ، ولكن ما فيهما حسن المسلك ، سهل المدرك . فكنت أتمنى زيارة المؤلف[3] لاعتقادي أنه من أهل الطريق ، وكنت إذا ارتحلت لزيارة الشيخ عبد السلام بن مشيش[4] رضي الله عنه ، أسأل عنه فأجده بعيداً عني ، حتى إذا كان الحصار على مدينة فاس ، حرسها الله ، حين قتلوا القائد زيدان[5] ، خرجت منها وأخذت على جبل بني زَرْوال ، فإذا بجبل لجاية قريباً مني ، فأجمعت زيارته ، وتركت الركب ، وانخزلت إليه في نفر من أصحابي . فصعدنا الجبل إليه . فإذا هم يسمونه سيدي عبد الرحمن التراري[6] . فلما وصلنا إلى مقامه خرج إلينا أولاده فأنزلونا وأكرموا مثوانا . فلما اطمأن بنا المنزل وزُرْنا قالوا : هل لك أن نخرج إليك كتب الشيخ لتراها ؟ فقلت : نعم فأخرجوا الكتابين المذكورين . فلما رأيتهما سررت بهما ، واستدللت بذلك على أنه هو ذاك ، وأنه هو المؤلف لهما ، وأخرجوا كتاباً ثالثاً ففتحته فإذا هو يسمّيه «المقصد الأسنى في المهدي الأقنى» . فلما رأيت ذلك ظننت أنه يتكلم في المهدي المنتظر على نحو ما تكلم عليه الأئمة ، وإذا هو يخرج أحاديث لعبد الرزاق[7] ، ويذكر حساباً يتضمن ظهوره إثر المائة الخامسة ، وإذا هو يصفه ويذكر أحواله ، وإذا كلامه في ابن تومرت المذكور ، وإذا هو من الطائفة التومرتية . وذكر في الكتاب المذكور أنه[8] امتحِن

---

1 المحاضرات : 1/267–269 .

2 تقدمت الإشارة إلى أن عبد الرحمن بن يوسف اللجائي يكنى بأبي زيد ، وأبي القاسم .

3 يقصد اليوسي : زيارةَ قبره .

4 عبد السلام بن مشيش : من الأولياء الصلحاء المشهورين ، عاش في جبل العَلم بشمال المغرب ، وبه قُتِل شهيداً سنة 622هـ . ويوجد ضريحه في قنة الجبل المذكور . ـ النبوغ المغربي 1/151 (الطبعة الثانية) .

5 ثار أهل فاس سنة 1083هـ على السلطان المولى إسماعيل ، وقتلوا قائد جيشه ، زيدان بن عبيد العامري ، فحاصرهم السلطان ولم يحدث معهم حرباً إلى أن أذعنوا للطاعة . ودامت مدة حصارهم أربعة عشر شهراً . انظر تفاصيل ذلك في الاستقصا : 7/47–48 .

6 يقول محققا كتاب «المحاضرات» في الهامش : «في (س) : المازري ، بدل التراري» .

7 عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري : من حفاظ الحديث ، من أهل صنعاء ، كان يميل إلى التشيع . توفي سنة 211هـ . ـ ميزان الاعتدال 2/126 .

8 الضمير هنا يعود على المهدي بن تومرت .

على يد قضاة الوقت ، في ذلك حتى دُعِيَ إلى فاس ثم إلى مراكش ، وأنه أنقذه الله من المحنة ورجع إلى بلده سالماً . . . فقلت : حصل العِلْمُ بأن هذا الرجل من تلك الطائفة ، والعلم بأن تلك الطائفة قد كان فيها من يحتجّ بدعواهم من أهل العلم» .

ويمكن للباحث أن يستنتج من هذا النص عدة أشياء ، منها :

أولاً : أن أبا علي اليوسي يؤكد لنا نسبة كتاب «قطب العارفين» و«شمائل الخصوص» لعبد الرحمن بن يوسف اللجائي .

ثانياً : أن الكتابين كانا متداولين بين أيدي العلماء والمهتمين بالتصوف حتى عهد أبي علي اليوسي ، أي بعد ما مضى على وفاة مؤلفهما ما يزيد عن خمسة قرون[1] . والحقيقة أنهما ظلاّ متداولين فترة من الزمن بعد ذلك . فإن آخر نسخة وصلتنا من كتاب «قطب العارفين» كتبتْ سنة 1256هـ ، وآخر نسخة وصلتنا من كتابه الآخر «شمس القلوب» كُتبت سنة 1252هـ[2] . وسيأتي بيان ذلك عندما نتحدث عن وصف النسخ الخطية . وهذا يدل فيما يدل عليه على المكانة العلمية التي حَظِي بها أبو القاسم عبد الرحمن بن يوسف اللجائي خلال عدة قرون .

ثالثاً : يذكر أبو علي اليوسي أن أحفاد المؤلف أخرجوا له بعد ما اطلع على الكتابين المذكورين ، كتاباً آخر يسمى «المقصد الأسنى في المهدي الأقنى» في سيرة ابن تومرت ، وأنه المهدي المنتظر . و قد اندهش من ذلك كثيراً واستنتج منه استنتاجين :

- أولهما أن الموحدين اصطنعوا طائفة من العلماء الذين روّجوا للفكرة المَهْدَويَّة ، ونشروا بين الناس أن ابن تومرت هو «المهدي المنتظر» . وهذه هي «الطائفة التومرتية» .

- والاستنتاج الثاني هو أن عبد الرحمن بن يوسف اللجائي كان منهم .

وهذان الاستنتاجان اللذان ذهب إليهما أبو علي اليوسي يحتاجان إلى توضيح :

فقد شاع عند بعض الفرق الإسلامية والأحزاب السياسية منذ نشأتها أن الله يبعث في آخر الزمن رجلاً «يملأُ الأرض عدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً»[3] ، وأوردوا في ذلك أحاديث نسبوها إلى رسول الله ﷺ . وهذا الرجل هو «المهدي المنتظر» . وقد استغلّ هذه الفكرة كثير من الطامحين في الحكم ، المشرئبين إلى المُلك ، خلال حقب مختلفة من التاريخ . ومن أشهر هؤلاء في تاريخ المغرب ، بل في تاريخ الإسلام ، محمد بن تومرت ، مؤسس الدولة

---

1 توفي عبد الرحمن بن يوسف اللجائي سنة 599هـ . وتوفي الحسن اليوسي سنة 1102هـ .

2 انظر المجموع المحفوظ بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم : 1810د .

3 مقدمة ابن خلدون : 295 .

الموحدية . «وكان المهدي أوحد عصره في علم الكلام وعلوم الاعتقاد ، حافظاً للحديث والفقه ، له لسان وفصاحة ، فأخذ يُشيع في الناس أنه الإمام المهدي المنتظر ، المخبر به ، القائم في آخر الزمن ، الذي يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً»[1] ، ثم نشر هذه الفكرة أتباعه وأنصاره حتى أمروا بأن يخطب على المنابر بأنه «الإمام المعلوم ، والمهدي المعصوم» .

ومما لا شك فيه أن ابن تومرت وأصحابه اعتمدوا على طائفة من العلماء ليُشيعوا فكرة المهدوية في الناس وليثبِّتوها في أذهانهم وقلوبهم ، كما أشار إلى ذلك أبو علي اليوسي . فنحن لا نختلف معه في هذا ، بل نعتقد اعتقاداً بأنَّ اعتماد الحكام على العلماء لتثبيت قواعد حكمهم بات سنّة مطَّردة في تاريخ الأمم والملوك ، ولكننا نشك شكاً في أنْ يكون الكتاب الذي قدمه أحفاد أبي القاسم اللجائي لأبي علي اليوسي ، بعنوان «المقصد الأسنى في المهدي الأقنى» من تأليف عبد الرحمن بن يوسف اللجائي . ويحملنا على هذا الشك عدَّة عوامل نلخصها فيما يلي :

إن المؤلف يبدو لنا من خلال كتابه «قطب العارفين» رجلاً متصوفاً ، زاهداً في الحياة ، مترفعاً عنها ، محتقراً لذائذها ، بل إننا وجدناه في كثير من الأحيان يعتبر حب الدنيا مصدر الشر كلّه ، فحبها «غَرَرُ بالدين ، وضعف للإيمان ، وحجاب للبصائر ، ومرض للقلوب ، وبُعْد من الله عز وجل ، لأن حبها رأس كل خطيئة»[2] . وهو يحتقر المتهافتين عليها ، ويعتبرهم «عبيد الدنيا وعبيد أهوائهم . وهي صفة مَن أسكرته الدنيا وخرجت عظمة الله من قلبه»[3] . وهذه الصورة ، صورة الرجل المتصوف المتصوِّن ، المنقطع عن الخلق ، المتفرغ للحق ، كما يقول السادة الصوفية ، لا تبدو لنا من خلال كتابه «قطب العارفين» فحسب ، بل تبدو لنا الصورة نفسها بكل وضوح وجلاء من خلال كتابين آخرين من كتبه التي وصلتنا وهما «شمائل الخصوص»[4] ، و «شمس القلوب»[5] . وسنشير إلى ذلك حينما نتحدث عن آثاره . لذلك يصعب علينا أن نصدق بسهولة أن رجلاً مثل أبي القاسم اللجائي كان من «الطائفة التومرتية» . فما الذي يحمله على الانتساب إليها ؟ أهو الرغبة في التقرب إلى ابن تومرت ، أو التزلُّف إلى أصحابه ، أو الرغبة في المال أو الجاه ؟ إنَّ هذا لا يتلاءم مع مذهب رجل مثل أبي

---

1 الأنيس المطرب : 175 .

2 قطب العارفين : 135 .

3 قطب العارفين : 46 .

4 مخطوط بالخزانة العامة بالرباط ، تحت رقم : 1810د .

5 مخطوط بالخزانة العامة بالرباط ، تحت رقم : 1186ك .

القاسم اللجائي ، بل مع مذهب المتصوِّفة كما هو معلوم معروف .

قد يقال إنَّ اعتناقه التصوف قد لايتنافى مع فكرة المهدي المنتظر والدعوة إليها . ـ فهذا قد يكون صحيحاً أو تكون فيه بعض الصحة ، ولكننا لا نلمس قط أي أثر للمهدوية في هذا الكتاب الذي نحققه اليوم أو في كتبه الأخرى التي وصلتنا .

ومما تجدر الإشارة إليه ، والتنبيه عليه ، هو أنّ أبا القاسم اللجائي اطلع على آثار ابن تومرت ، ولاسيما كتابه «المُرشدة» ، وتأثر بها وبالطريقة الأشعرية ، كما سنرى عند دراستنا للمنهج الذي اتبعه في كتابه «قطب العارفين» ، ولكن هذا لا يعني أنه اعتنق المهدوية أو دعا إليها ، بل يعني ذلك فقط أنه تأثر بعالم من أكبر علماء عصره إلْم يكن أكبرهم وأجلهم على الإطلاق ، كما تأثر به غيره من العلماء والمتصوفة من غير أن يكونوا مهدويين أو من دعاة المهدوية .

لذلك كله فنحن نعتقد أنَّ هذا الكتاب الذي قدِّم لأبي علي اليوسي ، كتاب «المقصد الأسنى في المهدي الأقنى» ، ليس من تأليف عبد الرحمن اللجائي . قد يكون من تأليف أحد أبنائه أو أحفاده أو طلبته ممن اعتنقوا المهدويه ، وانتسبوا للطائفة التومرتية ، ألَّفه ونسبه إليه ليتمَّ له الذيوع والشيوع . وقد يكون مؤلف هذا الكتاب رجلاً يُدعَى عبد الرحمن التراري ، وهو الذي ذكره أبو علي اليوسي في قصته هذه إذ قال : «فصعدنا الجبل إليه ، وإذا هم يسمونه سيدي عبد الرحمن التراري» .

على أننا لا نستطيع أنْ نجزم بشيء من هذا كله لأنّ حياة المؤلف يكتنفها كثير من الغموض ، بل تكاد تكون مجهولة لدينا إلى الآن لأن كتب التراجم أغفلتها أو لأننا لم نعثر له بعدُ على ذكر ذي شأن في كتب التراجم التي استطعنا أن نرجع إليها .

[2]

وصلتنا إلى الآن ثلاث كتب من مؤلفات أبي القاسم عبد الرحمن بن يوسف اللجائي ، ما تزال كلها مخطوطة ، وهي :

1 ـ قطب العارفين ، وهو الكتاب الذي نحققه اليوم ونقدم له ، وسيأتي الحديث عنه في الفصل الثاني من هذه المقدمة .

2 ـ كتاب شمائل الخصوص .

3 ـ كتاب شمس القلوب .

أولاً ـ شمائل الخصوص :

يقع هذا الكتاب في مجموع مخطوط ، محفوظ بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم :

1810د . وحصة «شمائل الخصوص» من هذا المجموع ثلاث عشرة صفحة أي من صفحة : 66 إلى صفحة : 78 .

ويقصد المؤلف «بالشمائل» الفضائل التي ينبغي للسالكين أن يتحلوا بها ، والمكارم التي يسعون إليها . أما «الخصوص» فهم صفة الصفوة من السالكين ، أو هم «شيوخ العارفين» كما يسميهم في كتابه الآخر «قطب العارفين»[1] .

وقد عقد المؤلف في كتابه هذا عدة فصول عالج فيها جملة من هذه «الشمائل» مثل الإرادة والزهد والتوكل والصبر والخوف والرجاء والشكر والمحبة والشوق والطهارة واليقين والعفو والاستقامة . وهو يفرد لكل واحدة من هذه الشمائل فصلاً خاصاً ، فهناك فصل للإرادة ، وفصل للتوكل ، وآخر للصبر ، إلى غير ذلك من الشمائل التي عالجها في هذا الكتاب . وهو يعطي في بداية كل فصل تعريفاً ينطبق على «العموم» ، وهم عامة الناس ، أو هم المبتدئون من المريدين . ثم يسوق بعد ذلك التعريفَ الذي ينطق على «الخصوص» ، وهم العارفون من السالكين . فهو يقول مثلاً في الفصل الذي خصه للخوف : «والخوف يتأتّى للعبد من مطالعة عاقبة الأمور ، وهو خوف العموم من أبناء الآخرة . وخوف الخصوص هيبة الجلال لا خوف العذاب . فإنَّ خوف العذاب يزيله الأمن بوجود الصفح والغفران ، وهيبة الجلال دائمة لله سبحانه لا يزيلها إلا الأمان والرضوان . فخوف العذاب عند الخصوص حجاب والتفات ، وهيبة الجلال هي مقام الصديقين ، ومقصد السالكين»[2] . ـ ويقول المؤلف في الفصل الذي خصَّه للرجاء : «والرجاء تعلُّقُ هِمتّك بمولاك ليغفر لك ذنبك ، ويستر عليك عيبك ، ويُقيل لك عَثرتك ، ويَقبل بالتوبة عذرك . وأيضاً يُبَرِّد عنك الرجاءُ حرارةَ الخوف ، ويَمْحَقُ عنك ظلمةَ القنوط . وهو مقام العموم من أبناء الآخرة . وأما الخصوص فالرجاء عندهم عمىً عن الدُّلَيْجة[3] ، وعِقال للسالك ، وعلة في الفتور ، ووصمة للمحب ، وتعريس لبطال ، وتجارة للغافل . وذلك نقص في حق الخصوص لأنهم رأوا الرجاء مناضلة للنفوس ، ورجوعاً للرسوم[4] ووقوفاً مع الطبع ، وبقاء مع الذات ، ونزولاً في

---

1 قطب العارفين : 92 .

2 شمائل الخصوص : الصفحة الثانية من المخطوط .

3 الدليجة : تصغير الدلجة ، هي سير السحر ، وقيل هي سير الليل كله . والمقصود هنا : ارتقاء السالك إلى مدارج السمو .

4 الرسْم في اصطلاح الصوفية هو الخلق وصفاته لأن الرسم هو الآثار . ـ وكل ما سوى الله آثاره الناشئة عن أفعاله . ـ اصطلاحات الصوفية للقاشاني 150 .

الرعونة . فرجاء الخصوص الطمعُ في رحمة الرحيم ، ليصلوا إلى الكريم ، لا إلى النعيم ، فيتمتعون في بحر الجود والألطاف ، فيسكرون من شراب أُنسِه ، ويفتخرون بمعرفته ، ويتلذذون بوجوده ، فَتَسْكنُ قلوبُهم ، وتُقبِلُ هِممُهم إليه ، فينسون أنفسهم وما يُطلَب من نعيم ، ويغيبون عن مناضلتها ، وما يُحذَر من جهنم . فإنّ تمني الثواب في حق الخصوص حجاب ، وخوفَ العذاب في حقهم عذابٌ . فإنّ الخوف والرجاء عَرَضان يَسْتَرِقّان القلوبَ عن الله سبحانه ، ويسفلان بالعبد عن مقامات أهل الوَصْلة[1] ، فيَهْوِيان به إلى مشاهدة الحال . وكل ذلك مُجانِب لأحوال الخصوص ، وخارج عن سير أهل التحقيق . فليس للأمن والقنوط إلى الخصوص من سبيل»[2]

ويبدو لنا أنّ المؤلف أراد أنْ يختصر في هذه الرسالة بعض الأفكار والموضوعات التي سبق أنْ عالجها في كتبه الأخرى السابقة أو في بعضها لتستقرَّ في الأذهان ، فهو يقول في مقدمة «قطب العارفين» : «وجعلته مختصراً قليلاً ، ولم أجعله مسلسلاً طويلاً . فإنا رأينا التطويل يمنع التحصيل»[3] .

وقد ألّف أبو القاسم اللجائي «شمائل الخصوص» بعد «قطب العارفين» ، فقد جاء في الفصل الذي عقده للطهارة قوله : «وطهارة الأوساط صقل القلب من كادوراته ، وقطعُ العلل الباطنة في الصدر على حسب ما أوردناه في جسر الصراط المعنوي من كتاب قطب العارفين»[4] . وسنرى عند دراستنا لهذا الكتاب أنّ المؤلف فرغ من تأليفه سنة 577هـ .

ثانياً ـ كتاب «شمس القلوب» :

توجد نسختان خطيتان من هذا الكتاب بالخزانة العامة بالرباط ، تقع إحداهما في المجموع رقم : 1810د ـ من الورقة 41 إلى الورقة 83 . ـ والثانية محفوظة تحت رقم : 1186ك ، وتقع في 85 صفحة .

وقد افتتح المؤلف كتابه بمقدمة مقتضبة قال فيها : «سألتني أيها الأخ الكريم أن أصنف لك كتاباً يضيء نوره في زوايا قلبك ، وينفي عنك ظلمة جهلك ، فقبلت سؤالك بما بُسِط لي وضعه ، وعجزت عما لم ينشرح لي فهمه ، فإنّ الإلهام يَلُوح في مرآة القلوب ، وحجابه الغفلة والذنوب . وسميت الكتاب «شمس القلوب . . .» . ثم عالج بعد ذلك موضوعات

---

1 الوصلة : هي الاتصال ، وكل شيء اتصل بشيء فما بينهما وصلة .

2 شمائل الخصوص : ص 4 من المخطوط .

3 قطب العارفين : 3 .

4 شمائل الخصوص : الصفحة الثامنة .

وأفكاراً مختلفة تدور كلها في محور التصوف . وقد أفرد لكل موضوع باباً قصيراً . وهذه هي أبواب الكتاب :

ـ الباب الأول : في المعرفة .
ـ الباب الثاني : في التوبة .
ـ الباب الثالث : في القناعة .
ـ الباب الرابع : في الورع .
ـ الباب الخامس : في الزهد .
ـ الباب السادس : في محاسبة النفس .
ـ الباب السابع : في ذم الدنيا .
ـ الباب الثامن : في معرفة العدو ومكائده .
ـ الباب التاسع : في العزلة والجلوس مع الله .
ـ الباب العاشر : في الفكرة والاعتبار .
ـ الباب الحادي عشر : في اليقين .
ـ الباب الثاني عشر : في التوكل .
ـ الباب الثالث عشر : في الأنس بالله والوحشة ممن سواه .
ـ الباب الرابع عشر : في القرب .
ـ الباب الخامس عشر : في المشاهدة .
ـ الباب السادس عشر : في الصبر .
ـ الباب السابع عشر : في الرضى .
ـ الباب الثامن عشر : في الصدق .
ـ الباب التاسع عشر : في الإخلاص .
ـ الباب العشرون : في الحزن .
ـ الباب الحادي والعشرون : في الخوف .
ـ الباب الثاني والعشرون : في الرجاء .
ـ الباب الثالث والعشرون : في الشكر .
ـ الباب الرابع والعشرون : في المحبة .
ـ الباب الخامس والعشرون : في التوحيد .
ـ الباب السادس والعشرون : في العلم .

ـ الباب السابع والعشرون : في الحكمة .
ـ الباب الثامن والعشرون : في حياة القلوب ونُبَذ من فسادها .
ـ الباب التاسع والعشرون : في الطب .
ـ الباب الثلاثون : في كشف أغطية القلوب .
ـ الباب الحادي والثلاثون : في وصية المريدين .

وختم المؤلف كتابه بخاتمة مقتضبة قال فيها : «فهذه وصيتنا إليكم ، وفقكم الله . والوصيةُ تذكرة للعاقل ، وتنبيهٌ للغافل . وقد نصحناكم فيما وضعناه ، وبلغه فهمنا من هذا الكتاب على وجه التذكرة . عسى الله أن يجعله سبباً لمغفرتنا ، إنه على ما يشاء قدير ، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم»[1] .

وقد أخبرنا المؤلف نفسه بتاريخ فراغه من تأليف هذا الكتاب فقال : «وكان فراغنا من تأليفه لستٍّ لليالٍ مضين من شهر المحرّم عام تسعة وسبعين وخمس مائة»[2] . فهو قد ألّف إذن «شمائل الخصوص» بعد تأليفه «قطب العارفين» بسنتين أو ما يقرب منهما .

ومما تجدر الإشارة إليه ، والتنبيه عليه ، أن المؤلف صرح لنا في آخر الكتاب أنه ألّف قبل هذا التاريخ كتاباً آخر سماه «شمس القلوب» ، ولكنه «ضاع قبل تمامه» . ولم يخبرنا المؤلف بالظروف التي ضاع فيها هذا الكتاب ، والأسباب التي أدّتْ إلى ضياعه ، بل اكتفى بالإشارة إلى ضياعه فقال : «وقد وضعنا كتاباً سميناه باسم هذا الكتاب قبل هذا التاريخ بسنين ، فذهب قبل تمامه . وقد أشرنا إليه في بعض ما وضعناه من الكتب ، ثم ابتدأنا هذا الوضع الآخر وسميناه باسم الكتاب الذي ذهب ، فعسى الله أن يجعله نوراً للمسترشد في قلبه ، ويجعله دليلاً إلى ربه . . .»[3] .

فهذه مؤلفات أبي القاسم عبد الرحمن بن يوسف اللجائي التي استطعنا أنْ نقف عليها . ونحن لا نشك قطّ في أنّ له مؤلفات أخرى إذ كان الرجل زاهداً في الدنيا ، منقطعاً لعبادة الله ، متفرّغاً للعلم . وهذه المدة الفاصلة بين فراغه من تأليف آخر كتاب وصلنا من كتبه ، وهو «شمائل الخصوص» الذي كان الفراغ منه سنة 597هـ ، وبين وفاته سنة 599هـ ـ وهي مدة اثنتين وعشرين سنة ـ كافية وحدها لتمكّن مثل هذا الرجل من وضع مؤلفات كثيرة . ولكننا لا نعرف عنها شيئاً باستثناء ما قدمناه . ولو وصلتنا لوصلنا علم كثير ولاسيما في الكلام

---

1 الورقة الأخيرة من المخطوط .

2 نفسها .

3 نفسها .

والعقائد والتصوف . فقد نشأ الرجل في بيئة مزدهرة ازدهاراً علمياً لم يسبق له مثيل في تاريخ المغرب إذ كان لمؤسسي الدولة الموحدية ــ كما رأينا ــ نصيب وافر من العلوم بما فيها علم الكلام والفلسفة ، وكان للعلم والعلماء المكانة المرموقة في دولتهم . فجاء أبو عبد الرحمن اللجائي ثمرة طيبة من ثمرات هذه البيئة المزدهرة . ولكنه بقي إلى الآن مغموراً مجهولاً . كما أنّ مؤلفاته تعتبر في حكم المجهول . فلعلّ بعضها ضاع ، ولعل بعضها ما زال قابعاً في الخزانات الخاصة . وعسى الله أنْ يقيض من الباحثين من يُنير حياة المؤلف ، ويبرز آثاره أو بعض آثاره مما سَلِم من قوارع الزمن .

الفصل الثاني
الكتاب : «قطب العارفين»

عنوان الكتاب

صرّح المؤلف في مقدمة كتابه بالعنوان الذي اختاره لكتابه فقال : وسميتُ هذا الكتاب «قطب العارفين» ، وما توفيقي إلا بالله العلي العظيم [1] . وهكذا سماه أبو الحسن اليوسي حينما ذكره في «المحاضرات» [2] ومحمد بن الطيب القادري في «نشر المثاني» [3] . وهي التسمية نفسها التي تحملها النسخ الخطية التي اعتمدناها في تحقيق الكتاب . ولكننا وجدنا واضع فهرس مخطوطات الخزانة العامة بالرباط يسمي الكتاب «قطب العارفين ، ومقامات الأبرار والأصفياء والصديقين» [4] . ولسنا ندري من أين جاء هذا التوسع في العنوان الذي ذهب إليه واضع هذا الفهرس ، فإن النسخ الموجودة بين يديه أي بالخزانة العامة بالرباط ، تكتفي بتسمية الكتاب «قطب العارفين» . وهي التسمية الصحيحة للكتاب دون مراء .

فما معنى عبارة «قطب العارفين» ؟

لكلمة «القطب» عدة معان ، منها أنّ «القطب مِلاك الشيء وقِوامه» [5] . ومنها أنه «كوكب صغير لا يزول الدهرَ» [6] .

ويبدو لنا أنّ المؤلف قصد أحد هذين المعنيين حينما اختار لكتابه هذه التسمية . فكأننا به أراد أنْ يكون كتابه هذا عُمدة العارفين وقِوام أمرهم ، أو أراد أنْ يكون كتابه هذا على صغر حجمه كوكباً وضّاء ينير طريقهم ما طلبوه ، ويهديهم سواء السبيل ما قصدوه .

و«للقطب» أيضاً معنى خاص عند الصوفية ، فهو «الواحد الذي هو موضع نَظَرِ الله تعالى من العِلْم في كل زمن» [7] ، وهو «يَسري في الكون وأعيانه الباطنة والظاهرة سريان الروح والجسد» [8] . ويسمى أيضاً «الغوث» لالتجاء الملهوف إليه [9] .

---

1 قطب العارفين : 1 .

2 الجزء الأول ، ص : 267 .

3 الجزء الأول ، ص : 373 .

4 فهرس المخطوطات العربية المحفوظة في الخزانة العامة للكتب والوثائق بالمغرب (طبعة 1998) ص : 228/1 .

5 اللسان ـ مادة : قطب .

6 نفسه .

7 معجم اصطلاحات الصوفية (للقاشاني) : 162 .

8 التعريفات : 125 .

9 معجم اصطلاحات الصوفية : 162 .

ولا نعتقد أن المؤلف قصد هذا المعنى الصوفي ، ولا يصح أن يقصده هنا على الرغم من أن الكتاب في التصوف والعقائد ، بل يبدو لنا أنه قصد أحد المعنيين السابقين .

أما «العارف» فهو الذي عرف حقيقة هذه الدنيا فاستصغرها ، وزهد فيها ، ورغب في الآخرة ، وجَدَّ في معرفة الله ، والتقرّب إليه ، والاستعداد للقائه . ويعرّفنا المؤلف نفسه «بطرف من صفات العارفين» فيقول : «وإنما العارف من عرف مولاه و ونزّهه عما لا يليق به ، وانكسر قلبه بالهيبة والتعظيم والإجلال ، واستحيى من الله تعالى أن يراه حيث نهاه»[1] . ـ وحين يتحدث المؤلف عن «استغراق العبد في بحر الجود والألطاف» يقول : «فالعارف يرى اللهَ باللهِ مع وجود فقْدِ مَنْ سوى الله»[2] .

مضمون الكتاب

يقسم المؤلف كتابه إلى ثلاثة أقسام ، أو إلى «ثلاثة أقطاب» كما سماها :

- القطب الأول : في معرفة الله سبحانه (من ص 43 إلى ص 64)
- القطب الثاني : في التهذيب والرياضة (من ص 65 إلى ص 109)
- القطب الثالث : في البواطن والأسرار (من ص 110 إلى ص 172)

وقد افتتح المؤلف القطب الأول بالتنصيص على وجوب معرفة الله فقال : «فأول الواجبات التي لا يسع العبدَ جهلُها معرفةُ الله تعالى ، وما يجوز عليه ، وما لا يليق به»[3] ، وهي فرض على الأعيان لا على الكفاية ، وتُدرَك بالفطرة والعقل السليم : «فإذا ثبت بضرورة العقل أنّ الخياطة والكتابة وسائر الصنائع التي تُدرَك بالمعالجة والتعليم أنَّ لها صانعاً صنعها ، ثبت أيضاً بضرورة العقل أنَّ الأفعال التي لا تُدرَك بالمعالجة والتعليم لا تقوم بذاتها من ذاتها إلاّ بصانع صنعها ، وحكيم نظمها ، ومخترع اخترعها ، ومُتقِن أتقنها»[4] . ثم عقد المؤلف بعد هذا جملة من الفصول في نفيِ القَبْلِيَّة والبَعْدِيَّة عن الله ، ونفيِ الحركة والسكون ، والتخييل والتكييف ، والتمثيل والتلوين ، والظلم والجور عنه سبحانه ، ونفيِ الشريك عنه والمؤازر . ثم تحدث عن صفات الله تعالى مثل القدرة والإرادة والعلم والسمع والبصر . ـ وختم هذا القطب بفصول عقدها لشرح بعض الآيات القرآنية التي قد يفهم منها تشخيص أو تجسيد للذات الإلهية مثل قوله تعالى : ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ ، وقوله عزّ وجلّ :

---

1 قطب العارفين : 42 .

2 قطب العارفين : 181 .

3 قطب العارفين : 5 .

4 قطب العارفين : 5 .

﴿هل ينظرون إلاّ أنْ يأتيهم الله في ظلل من الغمام﴾ . وذهب المؤلف في هذه الآيات ينفي عن الذات الإلهية كل تشخيص أو تجسيم .

واعتبر المؤلف هذا القطب الأول مقدمة بسيطة للعلْم الذي يطمح إليه السالكون من المتصوفة ، الراغبون في معرفة الله . فهو «القشر القريب من لباب المعرفة ، فمن قنع به وعجز عن القطبين الآخرين رضيَ لنفسه بمنازل العوام ، وأقعده العجْزُ عن منازل الخصوصية» .

ثم ينتقل بعد ذلك إلى القطب الثاني الذي خصّه «للرياضة والتهذيب» ، ويقصد بهما قَمعَ النفْسِ عن الشهوات ، وكبْح جماحها عن الملذات ، وترويضها على طاعة الله ومحبته «حتى ترى الله بالله مع وجود فَقْدِ مَنْ سوى الله»[1] . لذلك دعا في مقدمة هذا القطب إلى الاحتراس من الدنيا ، واعتبارها «دار محنة واختبار للخلائق»[2] ، ثم عقد بعد ذلك فصولاً للآداب التي لا تصِحُّ الرياضة والتهذيب إلا بها . وقسمها إلى ثلاثة أقسام : أدب مع النفْس ، وأدب مع الخَلْق ، وأدب مع الحق . «فأدب النفْس حَبسُها عن المعصية بلجام الصبر ، وتسريح عِنانها إلى الطاعة بنسيم الخشية ، وقطْعُ لسانها عن التسخُّط على مرارة القدر بالتذاذِ موافقة السيد»[3] . ــ والأدب مع الخَلْق هو أنْ «تكون لهم كما تحبُّ أنْ يكونوا لك مع التجافي عن مَساوئهم»[4] . وأما الأدب مع الحق سبحانه فهو «طلب مرضاته ولو بسخْط خلقه»[5] .

ثم تحدث المؤلف بعد هذا عن المَعارِج التي يرقاها السالكُ ليصل إلى الحضْرَة القدسية ، وعن الشواغل والعوائق التي قد تحول دون ذلك .

وانتقل بعد هذا إلى القطب الثالث الذي خصه «للبواطن والأسرار» ، وأشار في مقدمته إلى أنَّ حقائق التصوف وأسراره لا تنكشف إلا للعلماء الراسخين «ولا أعني بالعلماء أهلَ دقائق التفريع الواقفين مع القشر الظاهر ، وإنما العلماء بالله الذين زهدوا في الكونين جميعاً»[6] .

---

1 قطب العارفين : 181 .

2 قطب العارفين : 43 .

3 قطب العارفين : 59 .

4 قطب العارفين : 59 .

5 نفسه .

6 يقسم المؤلف العلماء إلى علماء الظاهر وعلماء الباطن ، «وبيّن علماء الظاهر وعلماء الباطن تفاوت . فعلماء الظاهر هم أهل حراسة الدين ، يتأتى منهم الرجم والسوط للزاني كي لا يعود ولئلا تتغير الأنساب ، وتهتك الحرم ، ويتأتى منهم قطع الأيدي كي لا تضيع الأموال ، ويتأتى منهم صلب اللصوص كي لا تسفك الدماء وما أشبه ذلك من حراسة المسلمين . ــ وعلماء الباطن يتأتى منهم مراقبة القلوب ، ومحاسبة النفوس ، ومعرفة مكامن العدو في الصدور ، والنظر إلى الدنيا بعين الاحتقار . . .» . ــ قطب العارفين : 127-128 .

ثم مضى بعد ذلك يتحدث عن ارتقاء الأرواح : «فالروح الحسيّ يَرفع ما في حضرته إلى الروح الخياليّ ، ثم يرفع الروح الخيالي ما في حضرته إلى حضرة الروح العقلي ، ثم يرفع الروح العقلي ما في حضرته إلى حضرة الروح الفكري ، ثم يرفع الروح الفكري ما في حضرته إلى حضرة الروح القدسي . فعند ذلك يقرع العبد باب اليقين ، وتنفتح له أبواب المَلكوت»[1] .

وانتقل المؤلف بعد هذا إلى الحديث عن أحوال المشاهدة ، وعِلْم القلوب ، وفضائل الزهد ، ومراتب أهل الخصوص وهم «الصديقون والروحانيون والأبدال والأولياء»[2] وعن مقاماتهم عند الله . - وختم الكتاب بالحديث عن «الجُسور» التي يقطعها السالك ليصل إلى مقام العارفين . ويقصد «بالجِسر» المرحلة التي يقطعها السالك في قمْع النفسِ ، وَوَقْمِ هواها ، وحمْلها على إيثار الآخرة على الدنيا . وهي عنده سبع مراحل أو سبعة جسور «كل جسر منها تَضَمَّنَ جزءاً من علل راسخة في القلب يتعذر جوازُ كلِّ جِسْر إلا بعد تطهير القلب من تلك العلل»[3] .

منهج المؤلف

افتتح المؤلف كتابه بمقدمة مقتضبة جداً صرّح فيها بالتسمية التي آثرها لكتابه ، وذكَر أنه قسمه إلى ثلاثة أقطاب ، فقال : «وجعلته على ثلاثة أقطاب إذ بتحصيلها تسمّى العارفون بالعارفين»[4] .

واعتبر هذه الأقطاب مترابطة فيما بينها وأنّ كل قطب منها يسوق إلى ما بعده ، ورتب هذه الأقطاب وطبَّقها على مَدارج السالكين ومراتبهم : فالمعرفة عندهم - وهي موضوع القطب الأول - تسبق الرياضة والتهذيب اللذين هما موضوع القطب الثاني ، وهما يقودان إلى التغلغل في «البواطن والأسرار» ، وهي موضوع القطب الثالث .

وقسم المؤلف كل قطب إلى فصول ورتَّبها بحسب ما عَنَّ له من الأفكار والمعاني المرتبطة بكل قطب .

وقد اعتمد الاختصار وألحّ عليه ، فقال في مقدمة الكتاب : «فاختصرته ليقرب تناوله ، وشرحته كي يفهمه طالبه»[5] . ثم أعاد الفكرة نفسها في نهاية القطب الأول فقال : «قد

---

1 قطب العارفين : 123 .

2 قطب العارفين : 159 .

3 قطب العارفين : 186 .

4 قطب العارفين : 2 .

5 قطب العارفين : 2 .

وضعنا لك في المعرفة فصولاً ، لا تحتمل شرحاً طويلاً ، وتستدعي تشقيقاً وتفصيلاً ، لكن اقتصرنا على الاختصار ، وتركنا التطويل والإكثار»[1] .

ويبدو المؤلف من خلال كتابه هذا فقيهاً أشعرياً متشبعاً بمبادىء الأشعرية . ويتجلى ذلك في القطب الأول ولاسيما في هذه الفصول التي عقدها لشرح بعض الآيات القرآنية[2] ، فهو يقول مثلاً في شرح قوله تعالى : ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ : «يجب على العبد أنْ يعلم مِن العِلْم ما يَسوس به هذه الآية حذراً مما يوهم التكْييف لأن الإيهام في صفات الربوبية يستجلب الكفر للقلوب ، فيجب عليك أولاً في تفصيل هذه الآية أن تعلم أن الله عز وجل كان قبل العرش وغيره ، فيدلك ذلك على أنّ الذي أغناه عن الكون على العرش فيما مضى يغنيه فيما بقي . ويجب عليك ثانياً أنْ تعلم أنّ العرش وجميع الحوادث في جنب عظمة الله تعالى كلا شيء ، فيدلك ذلك على أنه سبحانه لا يحمله عرش ولا غيره . ويجب عليك ثالثاً أنْ تعلم أنّ الاستواء في اللغة معلوم كما يقول الناس : استوى السلطان على ملكه ، ولم يريدوا بذلك استواءه بجسمه ، وإنما أرادوا بذلك استواءه بقهره واقتداره . فيدلك ذلك على أن استواءه سبحانه منزَّه عن الحلول»[3] .

ويقول في قوله تعالى : ﴿والسماوات مطويات بيمينه﴾ : «لا يبعد أن يكون المعنى : مطويات بقوته»[4] .

ويبدو أبو القاسم اللجائي في كتابه هذا متأثراً بكتاب «المرشدة» وهي الرسالة التي لخّص فيها المهدي بن تومرت أفكاره في التوحيد ، وبناها على طريقة الأشاعرة ، فقد رأينا أن عبد المؤمن بن علي أصدر ظهيراً سلطانياً لولاته وعمّاله يأمرهم فيه بحمل الرعية على الاعتناء بالمرشدة ، والإقبال عليها ، والاهتمام بها . فأقبل عليها الطلبة والعلماء ، ومنهم المتصوفة . وفي هذا يقول ابن النقاش : «رأيت العقيدة المعروفة بالمرشدة المنسوبة إلى الإمام المهدي رحمه الله كثيراً ما يستعملها أهل الفضل من الصوفية ويقرؤونها على جهة التبرك في أذكارهم»[5] . ـ ومما لا شك فيه أن أبا القاسم اللجائي كان واحداً من هؤلاء المتصوفة الذين تأثروا بالمرشدة . فقد عالج في كتابه هذا ـ «قطب العارفين» ـ كثيراً من المسائل التي وردت في «المرشدة»

---

1 قطب العارفين : 40 .
2 قطب العارفين : 25–39 .
3 قطب العارفين : 25 .
4 قطب العارفين : 38 .
5 الدرة المفردة : 305 .

مثل وحدانية الله[1] ، وأزليته[2] ، وتنزّهِه تعالى عن المكان والزمان[3] ، وتنزّهه عن المثيل والشبيه[4] ، ونفيِ الجور عنه عز وجل[5] ، وقدرته[6] ، وإرادته[7] . وكل ذلك على مذهب الأشاعرة .

تاريخ تأليف الكتاب

صرح لنا المؤلف نفسه في خاتمة كتابه بتاريخ فراغه من تأليفه فقال : «وكان فراغنا من تأليفه أول يوم من شهر المحرم سنة سبع وخمسين وخمس مائة»[8] .

قيمة الكتاب

لكتاب «قطب العارفين» قيمة كبيرة تتجلى أهم مظاهرها فيما يلي :

أولاً : فهو أول كتاب من كتب أبي القاسم عبد الرحمن اللجائي يظهر إلى الوجود ويعرّفنا بصاحبه . وكان من أعلام الفقهاء والمتصوفة في العصر الموحدي ، ولكنه ظل إلى الآن مغموراً مجهولاً لا نعرف عنه أو لا نكاد نعرف عنه وعن آثاره شيئاً ذا بال .

ثانياً : يمثل هذا الكتاب جانبا مهماً من جوانب التطور العلمي الذي أصابته الثقافة المغربية بُعَيد قيام دولة الموحدين . فقد كان التصوف وعلم الكلام من العلوم التي ناوءها المرابطون . وكانت وطأة الفقهاء شديدة في دولتهم ، وكانوا يُغيرون صدور الحكام على كل ما يرون فيه جرأة أو خروجاً على ما ألفوه . وإحراقهم لكتاب الإحياء لأبي حامد الغزالي أمرٌ معروف في دولتهم ، ولايكاد يخلو من ذكره كتاب من كتب التاريخ القديمة التي تحدثت عنهم . فلما قامت دولة الموحدين ـ وكان مؤسسوها ، وفي مقدمتهم المهدي بن تومرت كما رأينا ، من العلماء المتفتحين على علم الكلام والجدل وغيرهما من العلوم العقلية ـ وقع تحوّل في الثقافة المغربية . وكان من آثاره ازدهار عدة علوم منها التصوف وعلم الكلم ثم الفلسفة فيما بعد ، وظهر المذهب الأشعري وروّج له جملة من الفقهاء حتى عمَّ وانتشر .

---

1 قطب العارفين : 5-8 .

2 قطب العارفين : 12-14 .

3 قطب العارفين : 14-16 .

4 قطب العارفين : 11 .

5 قطب العارفين : 12 .

6 قطب العارفين : 18 .

7 قطب العارفين : 19 .

8 قطب العارفين : 196 .

وقد جاء كتاب «قطب العارفين» يعكس جانباً من هذا التطور . فهو كتاب في التصوف ، وهو يعالج في الوقت نفسه جملة من العقائد والقضايا التي تناولها المتكلمون ، كما يعكس إلى جانب هذا كلّه ، انتصارَ المذهب الأشعري في المغرب في هذه الفترة المهمة من تاريخه .

ثالثاً : يقدم هذا الكتاب مادة مهمة وغنية للباحثين الذين يريدون أن يدرسوا التصوف والعقائد في هذه المرحلة التي عاش فيها أبو القاسم اللجائي . وذلك أن المؤلف كما رأينا بنَى كتابه على الاختصار . وهذه الموضوعات والأفكار المختصرة تحتاج إلى تفصيل وتحليل . وقد أشار المؤلف نفسه إلى ذلك إذ قال : «قد وضعنا لك في المعرفة فصولاً لا تحتمل شرحاً طويلاً ، وتستدعي تشقيقاً وتفصيلاً»[1] . وقال أيضاً : «فافهم معنى ما ذكرت لك تستخرج بفهمك من أسرار الأمثال المتناسبة علماً جمّاً إن لم يحتكر قلبُك جهلاً وعمىً»[2] .

1 قطب العارفين : 40 .

2 قطب العارفين : 90 .

الفصل الثالث

الأصول الخطية وعملنا في التحقيق

أولاً : وصف النسخ المعتمدة في التحقيق :

اعتمدنا في تحقيقنا لهذا الكتاب على خمس نسخ خطية توجد كلها بالمغرب ، أربع منها في الخزانة العامة بالرباط ، والخامسة في خزانة القرويين بفاس . وفيما يلي وصف مقتضب لهذه المخطوطات :

نسخة الرباط الأولى : تقع هذه النسخة في مجموع رقمه : 1658د . وهو مجموع ضخم في 265 ورقة ، ويضم المخطوطات الآتية :

- شرح همزية البوصيري (محمد بن سعيد) ، يبتدىء في الورقة الأولى وينتهي في الورقة 193 .
- يلي هذا الشرح ورقتان فيهما أشعار مختلفة في مدح الرسول ، وقصيدة أخرى في ذكر أولياء مدينة مراكش وتقريظهم .
- يأتي بعد ذلك كتاب «قطب العارفين» ، من الورقة 196 إلى الورقة 235 .
- ثم كتاب «الحصن الحصين ، من كلام سيد المرسلين» لأبي عبد الله الجزولي ، من الورقة 236 إلى آخر المجموع .

وقد كتبت هذه المخطوطات بخطوط مختلفة ، وكلها خطوط مغربية عتيقة .

يقع كتاب «قطب العارفين» في 31 ورقة من الحجم المتوسط ، مكتوبة وجهاً وظهراً . تضم كل صفحة 23 سطراً ، وفي كل سطر ما يقرب من 13 كلمة أو يزيد عنها قليلاً . ونجد في ختام كل صفحة الكلمة التي تبدأ بها الصفحة التي تليها .

كتبت هذه النسخة بخط مغربي لا بأس به في الجملة . وقد حرص الناسخ على تجنب الأخطاء ، فبذل جهداً في نسخها نسخاً أميناً ولكنه وقع مع ذلك في أخطاء كثيرة .

وورد في هوامش بعض الصفحات طرر وتقييدات مختلفة ، كُتِبتْ بغير الخط الذي كُتبتْ به المخطوطة ، وتتعلق بموضوعات مختلفة ، منها بعض القواعد الفقهية ، وبعض الأحاديث النبوية ، وفوائد في أنواع الأعشاب والأدوية ، وغير ذلك مما لا علاقة له بالكتاب .

وقد ورد في آخر المخطوطة اسم ناسخها ، وهو مبارك بن إبراهيم بن محمد بن يدار

«كتبها لشيخه العالم العلامة»[1] إبراهيم بن محمد الرجراجي . ـ وكان الفراغ من نسخها عام 1219هـ .

وقد اتخذنا هذه النسخة أصلاً لتحقيق الكتاب على الرغم من أنها ليست أقدم النسخ كما سنرى . وذلك للاعتبارات الآتية :

- فهي نسخة تامة ولم يسقط منها إلا كلمات قليلة .
- هي أقل النسخ التي وصلتنا تصحيفاً وتحريفاً .

وقد رمزنا لها بحرف (ع) . وربما ذكرناها بكلمة «الأصل» .

نسخة الرباط الثانية : تقع كذلك في مجموع ، رقمه : 2201د يضم المخطوطات الآتية :

- «تحفة الأحباب في هيئة النبات والأعشاب» ، لمؤلف مجهول ، من صفحة 1 إلى صفحة 12 .
- «الفتح المبين ببيان الزكاة» ، لعبد الرحمن المَنْجرة . من صفحة 13 إلى صفحة 31 .
- صفحات في التصوف لمحمد بن علي الخروبي الطرابلسي ، من صفحة 32 إلى صفحة 60 .
- «قطب العارفين» ، من صفحة 61 إلى صفحة 161 .

فالكتاب يقع إذن في 100 صفحة من الحجم المتوسط ، في كل صفحة ما بين 23 و27 سطراً ، وفي كل سطر ما يقرب من 12 كلمة أو يزيد عنها قليلاً . وكتبت هذه المخطوطة أيضاً بخط مغربي عتيق . ونعتقد أن كاتبها كان ذا حظ من العلم لأنه حرص على تجنب الأخطاء ، ولعله اعتمد في نقلها على أصل جيد ، ولكن خطه عسير جداً ، كما أن الرطوبة فعلت فيها فعلها فمحيت كثير من الكلمات أو محي بعضها حتى عسرت قراءتها وربما استحالت .

ورد في آخر النسخة اسم الناسخ ، وهو عبد السلام الفزكاري . ـ وكان الفراغ من نسخها عام 1220هـ . فهي قرينة أختها السابقة إذ وقع الفراغ منهما معاً في «أول جمادى الأولى من سنة 1220هـ» ، كما ورد في الصفحتين الأخيرتين من المخطوطتين .

وقد رمزنا لهذه النسخة بحرف (م) .

نسخة الرباط الثالثة : تقع هذه النسخة مثل النسختين السابقتين في مجموع ، رقمه : 293د . ويضم المخطوطات الآتية :

---

1 قطب العارفين : 196 .

ـ «قطب العارفين» ، من الورقة 1 إلى الورقة 51 .

ـ «الطراز في شرح الخراز» لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الجليل الشمسي ، من الورقة 52 إلى الورقة 136 .

ـ «كتاب في شرح الشهادة» ، لمحمد بن يوسف السنوسي ، من الورقة 137 إلى الورقة الأخيرة .

فكتاب «قطب العارفين» هو أول نسخة من هذا المجموع ، وهو يقع في 51 ورقة مكتوبة وجهاً وظهراً ، تضم كل صفحة 19 سطراً ، في كل سطر ما يقرب من عشر كلمات . وقد كُتبت بخطين مختلفين ، وتغيَّر الخط ابتداءً من الورقة 36 ، وكلاهما خطٌ مغربي عتيق .

وجاءت هذه النسخة في قسميها مليئة بأخطاء النسخ المختلفة ، كما اضطرب فيها السياق .

وورد في آخرها : «وكان الفراغ منه يوم الثلاثة (كذا) قرب العصر في يوم ثمانية وعشرين من المحرم على يد العبد الذليل الحقير المذنب إدريس بن الطيب الواستدي ، كان الله له ولوالديه» .

ويبدو لنا بوضوح من هذه العبارات أنّ الناسخ أغفل ذكر السنة التي فرغ فيها من نسخ الكتاب بعد أن ذكر اليوم والشهر اللذين تم فيهما الفراغ من نسْخه .

وقد رمزنا لهذه النسخة بحرف (ب) .

نسخة الرباط الرابعة : تقع هذه النسخة أيضاً في مجموع ، رقمه : 1810د . وضم المخطوطات الآتية :

ـ «قطب العارفين» ، من الورقة 1 إلى الورقة 65 .

ـ «شمائل الخصوص» ، وهي رسالة صغيرة في التصوف للمؤلف نفسه ، من صفحة 66 إلى صفحة 78 .

ـ رسالة في تمثيل المؤمن بالمدينة ، للشيخ أبي المعالي ، من صفحة 79 إلى صفحة 81 .

ـ «شمس القلوب» لأبي القاسم اللجائي نفسه ، من صفحة 82 إلى صفحة 165 .

وقد كتب هذا المجموعَ كله ناسخ واحد هو علي بن محمد بن عبد الرحمن الهنتيفي ، «وكان الفراغ منه ضحوة يوم الأربعاء الموفي أربعة أيام من شهر الله ربيع الأول عام ستة وخمسين ومائتين وألف» كما ورد في الصفحة الأخيرة من المخطوط .

وقد رمزنا لهذه المخطوطة بحرف (ط) .

نسخة القرويين : ويوجد من كتاب «قطب العارفين» نسخة أخرى ضمن مجموع بخزانة القرويين بفاس ، رقمه : 1332/2 .

تقع هذه النسخة في 63 ورقة من الحجم المتوسط ، وقد كتبت أيضاً بخطين مختلفين ، وتغيَّرَ الخط فيها ابتداء من صفحة 37 . وكلاها خط مغربي أشبه ما يكون بالخطوط التي تكتب بها ألواح التلاميذ الذين يحفظون القرآن الكريم في الكتاتيب القرآنية بالمغرب . ويبدو أن الناسخين كانا معاً قليلي الحظ من العلم فحرفا كثيراً وصحفا .

وجاء في خاتمة المخطوطة : «كمل قطب العارفين ، تأليف الشيخ أبو القاسم (كذا) عبد الرحمن بن يوسف اللجائي رحمه الله تعالى ورضي عنه . اللهم ارحم كاتبه وكاسبه وقارئه ، آمين رب العالمين ، على يد ناسخه الفقير الراجي عفو مولاه ، عبيد الله تعالى محمد بن إبراهيم بن يوسف الخالدي ثم السجتاني ، كان الله له آمين . فرغ منه من محرم فاتح (كذا) ثماني وتسعين وتسع مائة» .

وعلى الرغم من أن هذه النسخة هي أقدم النسخ التي وصلتنا من الكتاب ، فإننا لم نتخذها أصلاً لأنها جاءت مضطربة وكثيرة الأخطاء .

وقد رمزنا لها بحرف (ق) .

ويتبين مما سبق أن هذه النسخ تقع كلها في مجاميع ، وأنها كتبت بخطوط مغربية عتيقة تشبه الخطوط التي يكتب بها معلمو الكتاتيب القرآنية ألواح تلاميذهم ، أو تلك التي يكتب بها العدول عقودهم ووثائقهم .

ثانياً : المنهج المتبع في التحقيق

اتخذت نسخة الرباط الأولى التي رمزت لها بحرف (ع) أصلاً لتحقيق الكتاب . وذلك لأنها أقل النسخ تصحيفاً وتحريفاً ونقصاً ، فنقلت منها المتن ، واستعنت في الوقت نفسه بالنسخ الأخرى لتجلية النص ، وتقويم الأخطاء المختلفة التي اعترت الأصل ، وتسديد النقص .

وقد تبيّن لي في بعض الأحيان أنّ بعض الروايات التي تقدمها النسخ الأخرى أو تقدمها إحداها أصحّ لغة أو أكثر تلاؤماً مع السياق فأثبتها في المتن وأشرت إلى الاختلافات في الهوامش .

وارتأيت أن شكل هذا النصّ الذي كتِب في القرن السادس الهجري ، والذي يخاطب فيه مؤلفُه «العارفين» ، أمر مُحبَّذ ومفيد إذ يقرِّبه من الفهم ، ويساعد على تحبيبه إلى الذوق ،

فشكلته بالشكل التام .

وفي الكتاب طائفة من الألفاظ اللغوية التي قد يشكل فهمها على القارىء العادي ، فشرحتها في الهوامش شرحاً مقتضباً يتلاءم مع السياق الذي وردت فيه ، واعتمدت في ذلك على المعاجم اللغوية الكبرى مثل لسان العرب ، وتاج العروس والقاموس المحيط وأساس البلاغة وغيرها .

كما وردت في الكتاب طائفة كبيرة من المصطلحات الصوفية ، بل لا تكاد تخلو صفحة واحدة من هذه المصطلحات ، فشرحتها أيضاً في الهوامش شرحاً مقتضباً يساعد على فهمها في السياق الذي وردت فيه . واعتمدت في شرحها على المعاجم المتخصصة مثل «اصطلاحات الصوفية» لابن عربي ، و«اصطلاحات الصوفية» للقاشاني[1] ، وغيرهما مما أشرت إليه في الهوامش وذكرته في فهرس المصادر والمراجع .

ووردت في الكتاب زمرة من الأعلام فاجتهدت في التعريف بهم ، ولم يفتني منهم إلا مَن لم أجد له ذكراً في كتب التراجم ولاسيما من الأعلام المغاربة .

كما خرّجت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الواردة في الكتاب . والتزمت بما تقتضيه قواعد التحقيق العلمي من وضع الفهارس التي تضبط الكتاب وتيسِّر الاستفادة منه فوضعت الفهارس الآتية :

- فهرس الآيات القرآنية
- فهرس الأحاديث النبوية
- فهرس القوافي
- فهرس الأعلام
- فهرس اللغة (الألفاظ والمصطلحات المشروحة)
- فهرس المصادر والمراجع
- فهرس الموضوعات

ولا يفوتني في ختام هذه المقدمة أن أعبِّر عن شكري الجزيل ، المقرون بالاحترام والتقدير ، لأستاذنا الجليل الدكتور أمجد الطرابلسي ، فنحن مدينون له بما أفدناه منه من القواعد العلمية للتعامل مع التراث ، وما تعلمناه منه من الالتزام بها ، وإيثار المَركب الصعب لإيفاء التراث حقه .

---

1 اعتمدت على الطبعتين الصادرتين من الكتاب . ـ انظر فهرس المصادر والمراجع .

وأشكر أيضاً أخي الكريم الأستاذ محمد مفتاح الذي شجعني على تحقيق هذا الكتاب وساعدني على التغلب على بعض الصعاب التي اعترضتني خلال تحقيقه .

ويسعدني أيضاً أن أشكر أخي الفاضل الأستاذ محمد بن عبد العزيز الدباغ ، محافظ خزانة القرويين ، الذي أمدني بنسخة من هذا الكتاب كما أمدني من قبل بنسخة من كتاب «منازل الأحباب ، ومنازه الألباب» لشهاب الدين محمود بن سلمان الحلبي[1] .

وبعد ، فقد بذلت ما في الوسع والطاقة لتحقيق هذا الكتاب المبارك وإخراجه في حلة هي أقرب ما تكون من حلته الأصلية . فإن أصبت فذلك المبتغى ، وهو من فضل الله وتوفيقه . وإن تكن الأخرى «فمُبلِغُ نفسٍ عُذرَها مِثلُ مُنجحِ» .

«وما توفيقي إلا بالله ، عليه توكلتُ ، وإليه أنيبُ» .

الدار البيضاء في 2000/12/2

الدكتور محمد الديباجي

جامعة محمد الخامس (أكدال) ـ الرباط

---

1 طبع الكتاب بدار صادر اللبنانية ـ (تحقيق : محمد الديباجي) .

الصفحة الأولى من نسخة الرباط الأولى (ع)



قال الشيخ العالم الامام الاوحد الولي [illegible] ابو القاسم
سيدي عبد الرحمن بن يوسف [illegible] نفعنا الله به امين

الحمد لله الذي رفع السماوات بغير عمد ترونه، ودحا الارض بقدرته وجعلها للورى
وارساها جبالا [illegible] وجعل [illegible]
[illegible] وسخر لها رياحا [illegible] والنبات والازهار
ببلاده، واخرج حب الحصيد رزقا للعباد، وجعل البحر [illegible] بالامواج [illegible]
[illegible] بقدرته [illegible] وخلق بحكمته
[illegible] واحاط علمه بالخفي والجلي، [illegible]
[illegible] واجرى كل شيء [illegible] واتقن بحكمته صنع كل شيء خلق
[illegible] وبعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالبراهين والحجج
صلى الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين وسلم تسليما. اما
بعد [illegible] لوضع هذا الكتاب [illegible] ومن
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
وسميته الكتاب [illegible]

الصفحة الأولى من نسخة الرباط الثانية (م)

الصفحة الأولى من نسخة الرباط الثالثة (ب)

الصفحة الأولى من نسخة الرباط الرابعة (ط)

الصفحة الأولى من نسخة القرويين (ق)

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

قال أبو القاسم عبدُ الرحمن بنُ يوسُفَ بن عبدِ الرحمنِ اللَّجائيُّ رحمه الله تعالى ورضيَ عنه ونفعَنا به ، آمين[1] :

الحمد لله الذي رَفَعَ السَّماواتِ[2] بغَيْرِ عَمَدٍ[3] يُرَى ، ودَحَا[4] الأرضَ بقُدْرَتِهِ دَحْياً لِلْوَرَى[5] ، وأرْسَى فيها[6] جِبالاً لِتَسْتَقِرَّ ، وقَدَّرَ فيها أقواتَها لُطْفاً بالبَشَرِ[7] ، وجعل فيها مَسافاتٍ[8] تَقرُبُ وتَبْعُدُ ، وسَخَّرَ فيها رِياحاً تَهُبُّ وتَرْكُدُ ، وأظهَرَ النَّباتَ والأزْهارَ ببلادِهِ ، وأخرجَ حَبَّ الحَصيدِ[9] رِزْقاً لعبادِهِ ، وجَعَلَ البحرَ عِبْرَةً بأمواجٍ تَصْطَفِقُ[10] ، وأَسْكَنَ حِيتاناً في قَعْرِ[11] بَحرٍ مُنطَبِقٍ ، وسخَّرَ بقدرَتِه للطيرِ الهَوَا[12] ، وفَلَقَ بحكمَتِه الحَبَّ والنَّوَى[13] وأحاطَ عِلْمُهُ بالخفيِّ والجَلِيِّ ، ونَفَذَتْ قُدْرَتُهُ في السَّعيدِ والشقيِّ ، وأجرى كلَّ شيءٍ على ما سَبَقَ ، وأتقنَ بحكمته صُنْعَ كلِّ شيءٍ خَلَقَ[14] ، وجعل الدنيا للمصائب والمِحَنِ ، وبَعَثَ[15] محمداً بالفرائضِ والسُّنَنِ .

---

1 لم ترد عبارة «ونفعنا به» في ط . ــ وفي ق : رحمه الله تعالى وعفا عنه بمنه . ــ م : قال الشيخ العالم الإمام الولي الصالح أبو القاسم سيدي عبد الرحمن بن يوسف اللجائي نفعنا الله به آمين . ــ ولم يرد هذا التقديم في ب .

2 ق ، ب : السماء .

3 عَمَد : جمع عِماد وعَمود وهو كل ما رفع شيئاً وحمله . ــ ومنه قول الله تعالى : ﴿خَلَقَ السماواتِ بِغيرِ عَمَدٍ ترونَها﴾ .

4 دحا الأرضَ : بَسَطَها . ــ ومنه قوله تعالى : ﴿والأرضَ بعْدَ ذلك دَحاها﴾ .

5 الورى : الخَلْق .

6 م ، ب : وأرساها .

7 ع ، ق : للبشر . ــ وما أثبتناه من م ، ب ، ط .

8 ب : مسافة .

9 حَبّ الحصيد : الزرع المحصود . ــ وفي التنزيل : ﴿فأنبتنا به جناتٍ وحبَّ الحصيدِ﴾ .

10 تصطفق : تضطرب وتتحرك .

11 لم ترد لفظة «قعر» في ق .

12 ب : وسبح بقدرته الطير في الهوى . ــ والهوا : الهواء .

13 النوى : جمع نواة ، وهي عَجَمَة التمر والزبيب وغيرهما . ــ وفي التنزيل : ﴿إنّ الله فالقُ الحَبِّ والنَّوى﴾ .

14 ب : وأتقن بقدرته كل شيء . ــ وفي ق : وأجرى كل شيء خلق . ــ تحريف .

15 ب : وخص .

صلى الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين[1] [وسلم تسليماً][2] .

أمَّا بعدُ يا أخي فقدِ انصرفتْ[3] هِمَّتِي لِوَضْعِ هذا الكتابِ لِمن جَهِلَ مَعناهُ ، ومَنْ له دِرايةٌ لم يَحْتَجْ إلى ما وضعناه . فاختصرتُه[4] ليقربَ تَناولُه ، وشرحتُه كي يَفهمه طالبُه ، وجعلتُه على ثلاثة أقطابٍ إذ بتَحْصيلِها[5] تَسَمَّى العارفونَ بالعارفينَ[6] .

ولا يُغْنيهِ منها[7] قُطْبٌ عن قُطْبٍ إذ لا يُسَمَّى العارفُ بالعارِفِ[8] إلاَّ بعد استكمالِها ، وتحصيل لُبَابِها ، وذَوْقِ ما استَكَنَّ تحتَ أسرارِها[9] .

وسَمَّيْتُ هذا[10] الكتابَ «قُطْبَ العَارِفِينَ» . وما توفيقي إلا بالله العلي العظيم .

---

1 ق : الظاهرين . ـ وبعدها في ب : قال أبو القاسم عبد الرحمن بن يوسف بن عبد الرحمن اللجائي .

2 الزيادة من م ، ب .

3 م ط : أما بعد فإني قد انصرفت .

4 م ، ب : لم يحتج لشيء وضعناه ، واختصرته .

5 ع ، ق ، ب ، ط : بتحصيلهم . ـ وما أثبتناه من م .

6 م : سمي العارفون بالمعرفة .

7 ع ، ق ، ب ، ط : منهم ـ وما أثبتناه من م .

8 م ، ب : لا يسمى العارف عارفا .

9 ع ، ق ، ب ، ط : إلا بعد استكمالهم وتحصيل لبابهم وذوق ما استكن تحت أسرارهم . ـ وما أثبتناه من م .

10 لم ترد لفظة «هذا» في م ، ب .

القطب الأول
في معرفة الله سبحانه
الفصل [1]
[أوّل الواجباتِ التي لا يَسعُ العبدَ جهلُها معرفةُ الله تعالى]

فأوّلُ الواجباتِ[2] التي لا يَسعُ العبدَ جهلُها معرفةُ الله تعالى وما يَجوز عليه، وما لا يَليق به. ولا تُدرَك معرفةُ الله بسَمْعٍ ولا بصرٍ[3]، ولا بتقليدٍ لأنَّ معرفةَ الله تعالى فَرْضٌ على الأَعْيانِ لا على الكِفايةِ[4]. وبالنّظرِ الصحيح بتأمُّلِ العقلِ الذي يؤدِّي[5] إلى العِلْم الضروري يُعْرَفُ اللهُ[6] سبحانهُ، وهو النَّظرُ في أفعالِه واختراعِه. وكل ما في الوجود من الأفعال على قسمين لا ثالثَ لهما: قسمٌ يُدْرَكُ بالمعالجة والتعليم، وهي[7] صنعة الآدَميِّين التي[8] يُعالجونها بأيديهم مثل الخياطة والكتابة وكل ما يُدرَكُ[9] بسببٍ مُعتادٍ. وقِسمٌ ثانٍ لا يُدْرَكُ بمعالجةٍ ولا بتعليمٍ مثل تصوير البَشَرِ من الماء وغيرِ ذلك من أفعال الاختراع والاقتدار. فالأفعالُ[10] التي تُدرَكُ بالمعالجة والتعليم لا يَصِحُّ وُجُودُها من غير فاعل. فإذا ثَبَتَ بضرورةِ العقلِ أنَّ الخياطة والكتابة وسائرَ الصنائع التي تُدْرَكُ بالمُعالجة والتعليم أنَّ لها صانعًا[11] صَنَعَها، ثَبَتَ أيضاً بضرورة العقل أنَّ الأفعال التي لا تُدْرَكُ بالمُعالجة والتعليم كتصوير البَشَرِ[12] من الماء وما أشبه ذلك، لها صانعٌ صَنَعَها، وحَكيمٌ نَظَمَها، ومُخترعٌ اخترعها، ومُتقِنٌ أتقنها. فإذا عُلِمَ بضرورة العقلِ أن الصنعةَ [التي تُدْرَكُ بالمُعالجةِ والتَّعْليمِ][13] لا تقوم بذاتِها مِنْ ذاتِها إلاّ

---

1 لم ترد كلمة «فصل» في ق.

2 يبدأ هذا الفصل في م بقوله: فيعرف بست من الواجبات. ــ وهو تحريف.

3 ق: ببصر.

4 فرض عين: ما وَجَبَ على كلِّ مُكَلَّف أنْ يقوم به أو يعرفه كمعرفة الله أو أداء الصلاة أو صوم رمضان. ــ وأما فرض الكفاية فهو ما يقوم به الواحدُ نيابة عن الجماعة كالأذان مثلاً.

5 ب: إليه يؤديه. ــ تحريف. ــ وفي م: وبالنظر الصحيح يتأمل العقل الذي يؤدي.

6 ب: لمعرفة الله.

7 في الأصل: وهو. ــ وما أثبتناه من النسخ الأخرى.

8 ط: الذي. ــ تحريف.

9 لم ترد لفظة «يُدْرَكُ» في ق.

10 ب: الاختراع والاقتداء بالأفعال. ــ تحريف.

11 ط: بالمعالجة والتعليم لا يفهم وجودها من غير فاعل وأن لها صانعاً.

12 ب: بالمعالجة فتصوير البشر. ــ تحريف.

13 الزيادة من ط.

بصانعٍ ، عُلِمَ أنَّ الماءَ الذي خُلِقَ منه الإنسانُ يستحيل في العقل أنْ يُصَوِّرَ من نفسِه يداً ورِجلاً ، وسمعاً وبَصَراً ، وكَلاماً وعقلاً ، من غيرِ صانعٍ . فإذا عُلِمَ أنَّ الصنعةَ مُفتَقِرةٌ إلى الصانعِ عُلِمَ أنَّ الصانعَ ليس في وُجودِه شكٌّ[1] . فتصويرُ البشرِ من الماءِ لا يُدْرَكُ بِمعالجة ولا بتعليم لأنَّ الخلائقَ يَعْجزُون عن ذلك .

والمخلوقاتُ على ثلاثة أقسام : حيوانٌ يَعْقِلُ ، وحيوانٌ لا يَعْقِلُ ، وجماد لا يُدْرِكُ . فلوِ اجتمعَ[2] الحيوانُ العاقلُ على أنْ يَعْرِفوا[3] كيف يَجِدُ الإنسانُ ببصرِه الألوانَ المختلفةَ ، أو كيف يَجِد بسمعِه اختلافَ الأصواتِ ، أو كيف يَجِدُ بعقلِه الأرضَ والسَّماءَ[4] ، أو يَرُدُّوا[5] إلى الجَسَدِ[6] بعد تصويره أصبعاً واحداً بعد زواله ، لم يَقْدِروا على ذلك .فإذا عَجَزَ الحيوانُ العاقلُ الذي يتأتّى منه العقلُ والفهمُ والحيلةُ ، فغيرُ العاقلِ الذي لا يَتأتّى منه عقلٌ ولا فهمٌ ولا حيلةٌ أعْجَزُ . فإذا عجز الحيوانُ العاقلُ وغيرُ العاقلِ فالجمادُ الذي [هو][7] بِمنزلة الموتى أَبْعَدُ وأبعدُ . فإذا عَجَزَ الخلائقُ عن الشيءِ المخلوقِ أنْ[8] يُكَيِّفُوهُ أو يَرُدُّوا ما زالَ منه فَهُمْ عن نشأةِ التصوير أعْجزُ[9] . فَثَبَتَ بِهذا[10] في العقل ضرورةً أنَّ الأفعالَ التي لا تُدْرَكُ بالمعالجةِ لا تُتَصَوَّرُ ولا تَنْتَظِمُ ، ولا تنمو ولا تنقُصُ ، ولا تَتَغَيَّرُ إلاّ بقُدرةِ مُكَوِّنِ الكائناتِ بلا معالجةٍ ولا مثالٍ . يقول للشيءِ كُنْ فيكونُ ، وهو اللهُ وحْدَهُ[11] لا شريكَ له .

فصل في معرفة الموجودات والفرق بين الصفات[12] الأزلية والصفات المُحْدَثات

فالموجوداتُ كلُّها على ضَرْبَيْن : مُحدَثٌ وقديمٌ . فالمُحدَثُ كلُّ موجودٍ سوى اللهِ عزَّ وجلَّ . ووجودُ المُحْدَثِ يَتَعلّق به التقْييدُ والتخصيصُ والتحييز[13] . والقديمُ هو اللهُ سبحانهُ ، ووجودُهُ

---

1 ب : مفتقرة إلى الصانع ليس فيه شك .

2 ق : اجتمعت .

3 ق : يعرف .

4 ب : السماوات .

5 في الأصل : أو يدركه . ــ وهو تحريف صوابه من النسخ الأخرى .

6 ع ، ق ، ط ، م : من الجسد . ــ وما أثبتناه من ب .

7 الزيادة من ق ، ب ، ط .

8 في الأصل : وأن . ــ تحريف صوابه من النسخ الأخرى .

9 م ، ب : من أوله أعجز .

10 ع ، ط ، ق : فثبت هذا . ــ وما أثبتناه من م ، ب .

11 ق : وهو وحده . ــ ط ، ب : وهو إله واحد .

12 في الأصل : الصفة . ــ وما أثبتناه من النسخ الأخرى .

13 لم ترد لفظة «والتحييز» في م ، ب .

على الإطلاق لأنه غيرُ مقيَّدٍ بزمانٍ ، ولا مُخصَّصٍ بجهةٍ ولا مكانٍ ، يتعالى عن صفات خَلْقِه ، ليس هو بمتصلٍ ولا منفصلٍ إذ كلُّ متصلٍ تلمسه الأيادي[1] ، وكلُّ منفصلٍ تدركه الأبصار ، وهو سبحانه قاهرٌ فوق عباده ، وفوقيَّتُه فوقيَّةُ الجلال ، والعظمة والكمال ، والعزة والاقتدار ، لا فوقية المكانِ والجهاتِ[2] ، فإنه مُنزَّهٌ عن الأماكنِ[3] والجهات ، والفوقيات والتحتيات ، بل [هو][4] عالٍ عن جميع الجهات ، بل هو متعالٍ عن الحلول في العرش والكرسيِّ والسماوات[5] .

فصل في نفي القبلية والبعدية عن الله سبحانه[6]

فالله عز وجل أزليٌّ قديمٌ ، واسْمُ القديمِ لله عز وجل[7] موضوعٌ للقدم[8] الأبديِّ الذي ليس قبلَه قبليَّةٌ ، ولا له سبحانه بدايةٌ أوجدَ منها نفسَه[9] ، بل هو دائمٌ في قدمه بلا بدايةٍ تنتهي إليها قِدَمُهُ ، [بل قِدَمُهُ][10] دائم قبل وُجودِ الخلقِ[11] بلا بدايةٍ كدوام بقائه بعد وجودِ الخلقِ بلا نهايةٍ[12] . فلمّا استحال عليه سبحانه أنْ تكون لبقائه نهايةٌ ، استحال أيضاً أنْ تكون لقدمه بدايةٌ . تعالى[13] عن ذلك علوّاً كبيراً .

فصل في نفي الحركة والسكون عن الله سبحانه

فالحركةُ والسكونُ لا يصحّان[14] إلا مِنْ تعاقب الأعراض على[15] الأجسام والجواهر[16]

---

1 ب : اليد .

2 ب : والجهل . — وهو تحريف .

3 ب ، ط ، م : المكان . — ولم ترد عبارة «فإنه منزه عن الأماكن والجهات» في ط ، ب .

4 الزيادة من م ، ق ، ب ، ط .

5 ب : في العرش والسماوات .

6 لم ترد لفظة «سبحانه» في ق ، ب .

7 ق ، ب : سبحانه .

8 ب : لاسم القديم . — م : لاسم القدم .

9 ع : نفسه القدوسية . — وهي رواية تنفرد بها هذه النسخة .

10 الزيادة من م ، ق ، ط ، ب .

11 ط ، م : الخلائق .

12 ب : بل هو دائم في قدمه بلا بداية كدوام بقائه بعد فناء الخلق بلا نهاية .

13 ب : فتعالى .

14 ب : لا يحصلان .

15 ق : عن .

16 الأعراض : جمع عَرَض وهو ما قام بغيره ، كالبياض والطول والقصر ... ونقيضه : الجوهر ، وهو ما قام بنفسه . وتعاقب الأعراض والجواهر : تغيّرها وتبدّلها .

لأنَّ الأجسامَ والجواهرَ مَحَلُّ الأعراض [1] . فإذا حَلَّتِ الأعراضُ والجواهر بالأجسام [2] تَحَرَّكَتْ . وإذا ارْتَحَلَتْ عنها سَكَنَتْ . والله سبحانه [3] ليس بِجوهرٍ ولا عَرَضٍ ، فإنَّ الجوهرَ [4] يُمَسُّ ، والعَرَضَ يُحَسُّ .

والعَالَمُ بأسرِهِ على ضربين لا ثالثَ لهما : ساكنٌ ومتحرِّكٌ . فإذا اتَّصفَ العَالَمُ بأسره بالحركةِ [5] والسكون ـ والعَالَمُ بحركته وسكونه صنعةٌ من صنائع الله سبحانه ـ فاعْلَمْ أنَّ الصنعةَ لا تشبه صانعها [6] بصفة ولا حال . والعَالَمُ ـ بفتح اللام ـ هو كلُّ ما سوى الله عز وجلّ [7] . ولوِ اتَّصفَ البَارِي سبحانه بالحركةِ والسكونِ لكَان فوقَهُ مُحَرِّكٌ يُحركه ، ومُسَكِّنٌ يُسَكِّنُهُ ، وتَتصل [8] العقول بِمعرفة صفاته لأنَّ العقول تتأتَّى منها مَعرفةُ الحركةِ والسكونِ لأنَّهما مِن صفاتِ المُحْدَثات ، والحركةُ والسّكونُ يَنقطعان وينعدمان [9] من أجل العِلَلِ الداخلة عليهما [10] لأنَّ الحركة تَبْطُلُ وتَنْعَدِمُ عند مجيءِ السكون ، والسكونَ يَبْطُلُ ويَعْدُمُ عند مجيء الحركة [11] . وكلُّ صفةٍ تَبْطُلُ وتَعْدُمُ فهي مُحْدَثَةٌ . وصِفاتُ [12] الله تعالى لا تَبْطُلُ ولا تَعْدُمُ [ولا تَتَغَيَّرُ] [13] لأنَّها صفاتُ [14] الكمالِ . فلمَّا وَجَدَتِ العقولُ أنَّهُ لا تَجوزُ [15] عليه الحركةُ والسُّكونُ عَجَزَتْ عن التَّكْييفِ والصِّفات لأنَّ العقولَ لا تَعْرِفُ إلاَّ الحركةَ والسُّكونَ ، ولا تعرفُ لهما ثالثاً أصلاً . واللهُ الموفقُ [للصواب] [16] .

---

1 ب : من تعاقب الأعراض على الأجسام والجواهر محل الأعراض . ـ تحريف .

2 ب : فإذا حلت الأعراض بالأجسام والجواهر .

3 ب : عز وجل .

4 رواية ق ، ب . ـ وفي الأصل : الجواهر .

5 في الأصل : وبالحركة . ـ وهي تحريف صوابه من النسخ الأخرى .

6 ب : صانعاً .

7 ب : والعالم هو كل موجود سوى الله تعالى .

8 في الأصل : وتتصف . ـ تحريف صوابه من النسخ الأخرى .

9 في الأصل : وينعقدان . ـ تحريف صوابه من ق ، ط ، م . ـ وفي ب : والحركات والسكون يقطعان ويعدمان .

10 ب : عليها . والعلة في المصطلح الصوفي تنبيه الحق لعبده بسبب وبغير سبب وقيل العلة كناية عن بعض ما لم يكن فكان . ـ معجم مصطلحات الصوفية (عبد المنعم الحفني) : 186 .

11 في الأصل : يبطل ويبطل عند مجيء الحركة . ـ وهو تحريف صوابه من النسخ الأخرى .

12 رواية م ، ق ، ط . ـ وفي ع ، ب : وصفة .

13 الزيادة من ب .

14 رواية م ، ق ، ط . ـ وفي ع ، ب : وصفة .

15 رواية ق ، ط ، . ـ وفي ع ، ب : فلما وجدته العقول لا تجوز عليه . ـ وفي م : فلما وجدته لا يجوز عليه .

16 الزيادة من ب ، ط .

فصل في نفي التَّخْيِيلِ[1] والتكييف والتمثيل والتلوين عن الله سبحانه

فكلُّ ما تَخَيَّلَ في وَهْمِكَ ، وتَكَيَّفَ في عقلِك ، أو تَمَثَّلَ في نفسِكَ ، أو تَلَوَّنَ في فكرِك ، فاعلم أنَّ صفاتِ الله عز وجل خِلافُ ذلك كلِّه ، لأنَّ[2] صفاتِه لا تُدْرَكُ ببصرٍ ولا بصيرةٍ[3] . واللهُ الموفقُ [للصواب][4] .

فصل في نفي التشبيه بين الخالق والمخلوق

فاللهُ سبحانه[5] لا يشبه المخلوقاتِ في شيء من الصفاتِ ولا الحركاتِ ولا السكناتِ ، ولا يستضيءُ بالأنوار كما هي ، فإنَّ نورَ الشمسِ والقمرِ والنجومِ والمصابيحِ نورٌ مَخلوقٌ[6] مُستعارٌ تُضيءُ به تلك الأشخاصُ . والله عز وجلَّ لا يستضيءُ كذلك بالأنوار . والله الموفق للصواب .

فصل في نفي الظلم والجَوْرِ[7] عن الله سبحانه

فليس في الوجود[8] من الحوادث إلاّ خَلْقُهُ ، ولا مُلْكَ في الوجود إلا مُلْكُهُ ، ولا فوقَهُ غَيْرُهُ . ففِعلُه مُتصرّفٌ في مُلْكِهِ ، وحُكْمُهُ ماضٍ[9] في خلقه ، لم يَتصرَّفْ[10] في مُلْكِ غَيْرِهِ فيَتصِفَ بالجَوْر ، ولا يتعدَّى فيما ليس له فيَتَّصِفَ بالظلم والعدوان ، بل هو القاهِرُ فوق الكلِّ ، وهو ربُّ الكلِّ ، وَهُوَ بكلِّ شيءٍ عليم .

فصل في نفي الشريك عن الله سبحانه

فاللهُ سبحانه[11] ليس معه ثانٍ في مُلْكِهِ ولا له شريك في أمره ، بل هو واحدٌ فردٌ

---

1 ب : التخيل .

2 ب : فإن .

3 البصيرة في الاصطلاح الصوفي هي « قوة للقلب منورة بنور القدس ، منكشف حجابها بهداية الحق ، ترى بها حقائق الأشياء وبواطنها ، بمثابة البصر للنفس الذي ترى به صور الأشياء وظواهرها وتسمى القوة القدسية» معجم مصطلحات الصوفية (عبد المنعم الحفني) : 35 . – انظر أيضاً معجم اصطلاحات الصوفية (القاشاني) : 64 .

4 الزيادة من ب .

5 ق ، ب : عز وجل .

6 لم ترد عبارة «نور مخلوق» في ب .

7 ب : الجور والظلم .

8 ب : الموجود .

9 لفظة «ماض» لم ترد في ق .

10 ب : لا يتصرف .

11 ق ، ب ، ط : عز وجل .

[صَمَدٌ][1] وليس بعدم الخلائقِ كان واحداً[2] على الإطلاقِ ، ولكن بثُبوتِ القدرة له والغَلَبَةِ والقهرِ والعظمة[3] والجلالِ والخَلْقِ والأمرِ كان واحداً على الإطلاقِ ، وهو مُستمِر الوجود . فإنَّ [مَنْ][4] ثَبَتَ قِدَمُهُ ، استحالَ عَدَمُهُ ، فلَمْ يَحْتَجْ إلى شريكٍ ، فإن الشريكَ لا يَخلو مِن وجهين : إمَّا أن يكون غَيْراً ، أو يكون ليس بغير . فإنْ كان الشريكُ خارجاً عن الغَيْرِيَّةِ فَمُحالٌ في العَقْلِ ، والمُحالُ ما لا يُمْكِنُ كَوْنُه ، وما لا يُمْكِنُ كَوْنُهُ فَقَطْعُ الكلامِ عنه أَوْلى . وإنْ كانَ [الشريكُ][5] غيراً فالغَيْرِيَّةُ[6] على ضربين : غَيْرِيَّةٌ مُستقِلة ، وغيريَّةٌ غير مُستقِلة .

فما كان غيرَ مُستقِلٍ فهو مُحْدَثٌ ، وإنْ كان غَيْرِيَةً مُسْتَقِلَةً[7] فلا تَخلو من وُجوهٍ : إمَّا أن تَكونَ مُتجانسةً أو مُتلاصِقةً ، أو مُتباينة أو مُتجاورةً أو مُتقابلةً . فإنْ تَعَلَّقَ بالغَيرية شيءٌ مِما ذكَرْنا فقد تَعَلَّقَ به الحُدوثُ[8] . ومَنْ تَعَلَّقَ به الحدوثُ فهو مَخلوق غير مُستقِل . والغيريةُ لا تَنفكُّ عن هذه العِلَلِ أصلاً ، واللهُ عز وجل لا يكون مغايراً لذاتِه ، ولا لشيءٍ من صفاته ، يتعالى عن ذلك علواً كبيراً .

فإذا عَلِمْتَ بضرورة عقلك تَشْقِيقَ ما ذكرتُ لك استقامَ لك قَطعاً أنْ تقولَ[9] «لا إله إلا اللهُ وحده لا شريك له» . ولو كان معه غيرُه سالماً مِمَّا ذكرنا مِنْ عِلل الغَيْرِيَّةِ[10] لكانا إلهين ، ولو كانا إلهين لَعَلا بعضُهما [على بعضٍ][11] وانفسخَ شأنُ الربوبية ، وتَعطَّل أمرُ الألوهية ، بل هو اللهُ واحدٌ كما قال عز وجل : ﴿لا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ

---

1 الزيادة من ب .

2 لم ترد لفظة «واحداً» في ب .

3 ب : بثبوت القدرة والقهر والغلبة والعظمة .

4 الزيادة من ق ، ب ، ط .

5 الزيادة من م ، ب .

6 في الأصل : والغيْرَة . ـ وهو تحريف صوابه من ق ، ب .

7 رواية م . ـ وفي الأصل : وإن كانت مستقلة . ـ وفي ط ، ق : وإن كان مستقلاً . ـ وقوله : «فإن كان غير مستقل فهو محدث وإن كان مستقلة» لم يرد في ب .

8 ب : الحدث . ـ والحدث والحدوث في ـ اصطلاح الصوفية ـ اسم لما لم يكن فكان . قال بعضهم : «إذا أراد الله تعالى تنبيه العامة أحدث في العلم آية من آياته ، وإذا أراد تنبيه الخاصة أزال عن قلوبهم ذكرى حدث الأشياء» . ـ معجم المصطلحات الصوفية (أبو خزام) : 74 نقلاً عن الطوسي (ص447) .

9 قوله «أن تقول» لم يرد في ق .

10 يسمي الصوفية عالم الكون بالغير ويطلقون عليه اسم الغيرية . معجم مصطلحات الصوفية (جورج متري عبد المسيح) 133 .

11 الزيادة من م ، ق ، ب ، ط .

فإيَّايَ فارْهَبُون﴾[1] .

فصل في نفي المكان عن الله سبحانه

فالله عز وجل لا يَحتاجُ إلى المكان[2] ، وكلُّ مَنْ كانَ في مكانٍ فهو مُحتاجٌ [إليه][3] . والله عز وجل كان في الأَزَلِ قبل أنْ يَخْلُقَ المكانَ ، بل قبل أنْ يَخلقَ العَالَمَ بأسره مُنْفرِداً ليس معه غيرُه[4] بلا مكانٍ ولا تشبيهٍ ولا تكييفٍ ، ثم أحدثَ الحوادثَ ، وصنعَ الصنائعَ ، وخلقَ العرشَ والثَرى[5] وما بينهما من السماواتِ والأرضِ وأصنافِ الموجوداتِ التي لا تَنحصرُ . فَقَدَّرَ عليهمُ الموتَ والفناء ، والوجود بعد العَدَمِ ، والعَدَمَ بعد الوجودِ ، والزيادةَ والاعتدالَ ، والنقصانَ والتغييرَ والانتقالَ ، والحركةَ والسكونَ ، والتقديمَ والتأخيرَ ، والبعثَ بعد الموت ، والوقوفَ بِعَرصَةِ القيامةِ[6] ، والخلودَ في الدارَين . جَرَتْ أحكامُ الله تعالى على خلقه في ذلك كُلّه . فهو كما كان[7] في الأزل بلا مكانٍ ، وهو الآنَ على ما عليه كان ، لا زوالَ لَهُ عَنْ صِفَةِ القِدَمِ . والأماكنُ[8] مُحدثَةٌ لا يَحُلُّ فيها إلاَّ مُفْتقِرٌ إليها ، والله عز وجل أعظمُ وأكبرُ مِن أنْ يَفتقِرَ إلى المكان وغيرِه . وإنَّما اللهُ عَز وجلَ شيءٌ[9] واحدٌ قَدِيمٌ غنيٌّ عن خلقِه مِنْ مكان وغيره . وخلْقُهُ شيءٌ ثانٍ ، أحْدَثَهم بعد أنْ لم يَكونُوا ، فهم مُفْتَقِرون إليه .

وليس في الوجود إلاَّ مُحدَثٌ وقديمٌ لا ثالِثَ لهما ، فالقديمُ لا يَحُلُّ في مُحدَثٍ ولا يُجاوِرُه ولا يُقابلُه ولا يَمَسُّهُ[10] ولا يُلاصِقُهُ . والـمُحدَثُ مع القديم كذلك . ولو حلَّ ربُّنا في مكان لكان مُحتاجاً إلى المكان ، ولو احتاجَ إلى المكان لعجز عن تكوين المكان وغيره .

وكل كائنٍ في مكانٍ لا يَخلو من ثَلاثَةِ أوجُهٍ : إمَّا أنْ يكون أصغرَ مِنَ المكان ، أو مُقدَراً[11]

---

1 سورة النحل . الآية : 51 .

2 ب : إلى مكان .

3 الزيادة من م ، ق ، ب ، ط .

4 ب : كان في الأزل قبل أن يخلق الخلق ليس معه غيره .

5 الثرى : الأرض والتراب . ــ ومنه قوله تعالى : ﴿الرحمنُ على العَرْشِ استوَى . له ما في السماواتِ وما في الأرض وما بينهما وما تَحْتَ الثَّرَى﴾ .

6 العرصة : وهي الساحة الواسعة . ــ وفي ب : بعرصات .

7 ب : و كما كان .

8 في الأصل : والإمكان . ــ تحريف صوابه من ق ، ط .

9 لم ترد لفظة «شيء» في ب .

10 ب : ولا يشبهه .

11 في الأصل : مقتدراً . ــ وما أثبتناه من النسخ الأخرى .

بتقديرِ المكان ، أو تقديرُ المكان أصغرُ مِنْ تقديرِهِ . ومَنْ كانتْ هذه صِفَتَهُ ، جاز عليه التَّحييزُ[1] والخصوصيةُ بالجهات ، وكان وجودُه وجوداً على التَّغيير[2] لا وجوداً على الإطلاق ، ولا بدّ مِنْ كونه جسماً أو جوهراً [أو عَرَضاً][3] ، وكلُّ جِسمٍ أو جوهر [أو عَرَضٍ][4] مَخلوقٌ . تعالى الله سبحانه أنْ يُقدَّرَ بحدٍّ ولا مِقدارٍ .

فصل في معرفة صفات[5] الله تعالى

فذاتُهُ وصفاتُهُ قديمةٌ [غيرُ مُحْدَثَةٍ][6] . ومن صِفاتِه الحياةُ التي بانَ[7] بِها عن الأحياء والأموات وأحيَى[8] كلَّ حيٍّ بِحياته .

ومن صفاته القدرةُ التي خَلَقَ بِها الأشياءَ من لا شيء[9] ، ثمَّ جَعَلَها موجودةً ، وخَلَقَ بقُدْرَتِهِ الصِّفاتِ والأجناسَ والذَّوات[10] .

ومن صفاته العِلْمُ الذي أحاطَ [به][11] بجميعِ المَعْلومات ، والأمورِ الخافِياتِ ، والأحوالِ الباطِناتِ ، والأشياءِ الغامِضات .

ومن صِفاتِه الإرادةُ التي صَرَّفَ بِها أصنافَ المَوجوداتِ ، وأجرَى عليها الأمورَ الباقياتِ ، وأمضَى عليها الأشياءَ الماضِياتِ .

ومن صفاته السَّمْعُ الذي أدْرَكَ به جميعَ الأصواتِ ، وسَمِعَ به جميعَ المَسْموعاتِ .

ومن صفاته البصرُ الذي أدْرَكَ به جميعَ المُبْصَراتِ ، وخَرَقَ[12] به سِتْرَ[13] الظُّلُماتِ ، واطَّلَعَ به على أخفَى[14] الخافِياتِ .

---

1 ب : التحيز .

2 ب : على التقييد .

3 الزيادة من ق ، ب ، ط .

4 الزيادة من ق ، ب ، ط .

5 ع ، ب : صفة . ـ وما أثبتنا من ق ، ب . ـ وفي م : في معرفة الله سبحانه .

6 الزيادة من ب ، ط . ـ وفي م : فذاته وصفاته غير محدثة .

7 ق ، ب ، ط : يبين .

8 م ، ب : بان بها عن الموات والأموات فأحيى .

9 ب : القدرة التي هي خلقُ الأشياء من لا شيء .

10 رواية ق . ـ وفي ط ، ب : الأدوات . ـ تحريف .

11 الزيادة من ط .

12 رواية ق ، ب . ـ وفي ع ، م ، ط : أخرق .

13 ب : ستور .

14 ع ، ق : إخفاء . ـ وما أثبتناه من م ، ب ، ط .

ومن صفاته الكلامُ الذي فارَقَ به الخَرَسَ والسكوتَ ، وتَنَزَّهَ به عن[1] النَّقائصِ والعاهاتِ ، وتعالى [به][2] عن الصَّمْتِ والمُضْمَرات .

ومن صفاته القِدَمُ الذي سَبَقَ به جميعَ المَوجودات ، والدُّهورَ الماضيات .

ومن صفاته البَقاءُ الذي يبقى بعدَ فناء الفانيات[3] ، وتنزَّهَ به عن الآماد[4] والنِّهايات ، وتقدَّسَ به عن الفَناء والغايات ، وهو سبحانه راضٍ في أزَليَّته[5] عمَّنْ قَدَّرَ خَتْمَ عملِهِ بالإيمان ، وغَضْبانُ في أزَليَّتِهِ[6] عمَّنْ قَدَّرَ خَتْمَ عملِهِ بالكُفر . وغَضَبُه ليس بِحَنَقٍ ولا غَيْظٍ ، ولا مَشَقَّةٍ ولا تَرْويعٍ ، ولا حِقْدٍ يَعْتَريه . وليس هو بذي طَبْعٍ يَتَغيَّرُ . فإنَّه مُقدَّسٌ عن الميل والنُّفور . ومَشيئتُهُ ومَحبَّتُه ، ورِضاهُ ورحمته ، وكراهته وغضبُه ، وسُخْطُه ووِلايَتُه وعداوَتُه ، كلُّ ذلك راجعٌ إلى إرادته . وإرادتُه صفةٌ من صفاتِه . وصفاته قديمةٌ غيرُ مُحْدَثَة .

واعلمْ أنَّ إرادةَ الله سبحانه قديمةٌ ، وأجْرى أمورَ خَلْقِه كلِّهم عليها ، لا تحدُثُ إرادتُه بِحُدوثِ الحَوادِثِ ، إذِ الحوادثُ تأخَّرَ وُجودُها[7] بعدَ التَّقديرِ . والإرادة سبقت الحوادِثَ . فالحوادثُ جاريَةٌ على وِفْقِ الإرادةِ السابقة القديمة[8] . تعالى [اللهُ][9] أنْ تجوز على إرادتِهِ بدايةُ المحدَثات .

فصل في القدرة والسمع والبصر والتدبير

فاللهُ عزَّ وجلَّ إذا أرادَ شيئاً كَوَّنَهُ بقُدْرَته ، فيُصوِّرُ الشيءَ مِنَ الشيء ، ويُصَوِّرُ الشيءَ مِنْ لا شيءَ ، بلا أنْ يقولَ بكلامِ « كُنْ »[10] ، وهي الغايةُ في مُبالَغةِ اسم القَديرِ لأنَّ قولَه « كُنْ » تَعلَّقَتْ به جميعُ الكائناتِ ، وهو قديمٌ سَبَقَ الحوادِثَ بِسَبْقِ[11] الإرادةِ ، لا يتكرَّرُ مع كلِّ حادِثَةٍ حَدَثَتْ[12] . ومَنْ زَعَمَ أنَّ كلَّ كائنٍ كوَّنه اللهُ عزَّ وجلَّ بقدرتِه لا يكونُ حتى يقولَ

---

1 ق : ونزه عن . ـ تحريف .

2 الزيادة من ق ، ب ، ط .

3 ب : بقاؤه الذي ببقائه فناء الفانيات .

4 ب : الأمد .

5 لم ترد لفظة «أزليته» في ب .

6 قوله «قدر ختم عمله بالإيمان ، وغضبان في أزليته» لم يرد في ق .

7 رواية ق ، ب . ـ وفي ع ، م ، ط : وجودهم .

8 لم ترد لفظة «القديمة» في ب .

9 الزيادة من ق ، ب .

10 ب : بلا إذا أراد شيئا أن يقول له : «كن» .

11 رواية ق ، ط . ـ وفي ع ، م : بسبوق . ـ ب : بمسبوق .

12 ب : مع كل حادثة حادثة .

له بكلامه «كنْ» فقد عَظُمَ جهلُه[1] .

واعلمْ أنّ بإرادته وُجدتِ الأشياءُ ، وبإرادتِه عُدِمتْ ، وبقدرته تصَوَّرتْ ، وبِحكمتِهِ نُظِّمتْ . فلا يشغَلُه سَمْعُ المَسموعات عن رُؤيةِ المَرْئياتِ ، وعن تصويرِ[2] المُصوَّرات . ولا يشغله أهلُ الأرضِ عن أهلِ السماوات ، بل يَسمعُ المَسموعاتِ ، ويَرى المَرْئياتِ ، ويُصوِّرُ المُصوَّراتِ ، ويَكشِفُ المَضرَّاتِ[3] ، ويقضي الحاجاتِ معاً[4] ، فَلا عجْزَ يُدرِكُه ، وبذلك انْفردَ بالِاقتدارِ . وكيف لا يكون مُقتدِراً مَنْ لا يصنعُ الصّنائعَ بالآلاتِ[5] ، ولا تُدرِكُه المَوانِعُ المانِعاتُ ؟ فلو كان سَمعُه بِحاسّةِ الأُذن[6] لم يُحِطْ سَمعُهُ بِجميعِ المسموعات ، ولو كانت رُؤيته بِحاسَّةِ العين[7] لم تُحِطْ رُؤيتُه بِجميع المرئياتِ ، ولو كان تدبيرُه بفِكْرِ فؤادٍ لم يُدَبِّرْ أمرَ[8] جميعِ الكائناتِ ، ولو كان عِلمُه عِلْمَ اِستِدلالٍ لم يَعلمْ جميعَ الخافِياتِ ، ولو كان صُنعُه بالآلةِ[9] لجازت عليه المُعالجاتُ ، ولو جازتْ عليه المُعالَجات لتناهتْ عليه المَقدورات[10] ، وتنحَصِرُ له المَعلوماتُ ، ولو كان في جهة لكان من جُملةِ المُتحَيِّزاتِ ، ولا يجوزُ السؤالُ عنه بِما يوهِمُ التَّكييفَ[11] فلو جَازَ السؤالُ عنه «بكيف» لاتَّصفَ بالمِثالِ ، ولو جَازَ السؤالُ عنه «بما» لاتَّصفَ بالأجناس ، ولو جاز السؤالُ عنه «بمتى» لاتّصف بالزمان ، ولو جاز السؤالُ عنه «بأين» لاتّصف بالمكان . وكيف يتَّصِف بالمكان مَنْ هو حيثُ لا أين [ولا مكان][12] ، ولا يعلم أين هو مَلَكٌ ولا إنسٌ ولا جانٌّ ، تعالى اللهُ أنْ تتناهى مَقدوراته ، أو تنحصِرَ معلوماتُه ، أو تُشْبِهَهُ مَخلوقاتُه ، أو تُوصَفَ ذاتُه . فإنَّ العُقولَ مَحجوبةٌ عن إدراكِ ذاتِ اللهِ عز وجلَّ ، لا تُدْرَكُ له صِفةٌ ولا كُنْهُ عظَمَة[13] ، وهو سبحانه بكلِّ شيءٍ عليم .

---

1 ب : ومن زعم أن كل كائنة كونها الله بقدرته لا يقول كنْ . ـ تحريف .

2 ق : تصوّر .

3 ب : المضطرات .

4 لم ترد لفظة «معا» في ق ، ب ، ط .

5 في الأصل : من يصنع الصنائع بالآلة . ـ وهو تحريف صوابه من النسخ الأخرى .

6 ق : أذن .

7 ب : عين .

8 لم ترد هذه اللفظة في ق ، ب ، ط .

9 ب : ولو كانت صنعته بالآلات .

10 ق : لجازت عليه المعالجات لتناهت له القدورات . ـ تحريف .

11 قوله «ولا يجوز السؤال عنه بما يوهم التكييف» لم يرد في ق . ـ وفي ب : بما يوهم من التكييفات .

12 الزيادة من ق ، ب ، ط .

13 لم ترد لفظة «عظمة» في ب .

فصل في عجز العقول والأوهام عن إدراك صفات الله سبحانه

فكلُّ ما جانَسَ العقولَ والأوهامَ في الحَدَثِ اتَّصَلَتْ[1] بصفاته . وكلُّ حادِثَةٍ في الوُجودِ مُقيَّدةٌ بالزمان والمكان والجِنسِ ، لا انْفِكاكَ لحادِثةٍ عن ذلك . وكل ما تَضَمَّنَتْه هذه التَّقييداتُ الثلاثُ هو حَدُّ العقولِ التي تقِفُ عندَه لا تتعدَّاهُ وهو العجْزُ عن التَّكييفِ ، ليس للعُقولِ وراءَ ذلك مَجالٌ تَجولُ فيه[2] إلاَّ غُموضُ الوَحدانية ، وصفاتُ الربوبية ، ولا يَطَّلع على ذلك إلا الجبّارُ الأعظمُ وحدَه لا شريكَ له ، تعالى اللهُ أنْ تُحيطَ تَطْليعَةٌ[3] بذاتِه . لكنْ بالمُقايَساتِ العقليات الفاسدات[4] ظنَّ الجُهّالُ أنْ يُدركوا الصِّفاتِ الأزليَّاتِ . هَيْهَاتَ ! إنَّ مِنْ وراءِ حُجُبِ[5] العقلِ ذاتاً مُقدسةً[6] ليس البصرُ والبصيرةُ لَها[7] بلاحِظَاتٍ ، ولا الأوهامُ لَها بِلاحقاتٍ[8] ، ولا العقولُ لَها بِمُكَيِّفاتٍ ، ولا النفوسُ لَها بِمُمثِلاتٍ[9] ، ولا الأفكارُ لَها بمُخيِّلاتٍ ، ولا الأذهانُ لَها بِمُدْرِكَاتٍ ، ولا الألسنُ لَها بواصفاتٍ ، ولا الآذانُ لَها بِسامعاتٍ[10] ، ولا الفَوقِيّاتُ لَها برافِعاتٍ[11] ، ولا التَّحتِيات لَها بواضِعَاتٍ ، ولا السماواتُ لَها بكانِفَاتٍ ، ولا فوْقِيَّاتُ[12] العرشِ لَها بمُجاوِراتٍ ، ولا تَحْتِيَّاتُ الثَّرى لَها بِمُقابلاتٍ ، ولا جوانبُ الحوادثِ لَها بِمُحادِياتٍ ، ولا الأعراضُ لَها بِمُغَيِّرَاتٍ ، ولا الجواهرُ لَها[13] بِمُجانِساتٍ ، بل هو رفيعُ الدرجات عن جميع المُحدَثاتِ . حيٌّ قَيّومٌ له ما في الأرضِ والسماواتِ .

---

1 ط : اتصف بصفاته . ـ وفي م : اتصفت بصفاته .

2 لم ترد لفظة «فيه» في ب .

3 م : يحيط تطليعه به . ـ ب : تحيط تطليعة به . وفي اللسان (مادة : طلع) : اطلع على الأمر واطلعه وتَطلَّعَه : علمه .

4 ب : الفاسدة .

5 ط ، ب : حجاب .

6 ب : ربا مقدسا .

7 ب : له .

8 ب : له بلاحقة . . .

9 قوله «ولا العقول لها بمكيفات ، ولا نفوس لها بممثلات» لم يرد في ق .

10 ب : ولا الأفكار له بمخيلة ، ولا الأذهان له بمدركة ، ولا الألسن له بواصفة ولا الآذان له بسامعة . . .

11 ق : ولا الفوقية لها برافعات .

12 ب : ولا فوقية .

13 ب : لها . ـ وهكذا وردت في (ب) في كل الجمل السالفة .

فصل في القُربِ والبُعْدِ والحلولِ بالعرشِ والسماواتِ والأرضين[1]

وكلُّ ما يقعُ عليه اسمُ المُحْدثِ[2] لا يَحُلُّ اللهُ عز وجل فيه أبدا ، فإنّه سبحانه لا يَحُلُّ في شيءٍ ، ولا يَحُلُّ فيه شيءٌ ، ولا يوجدُ في شيءٍ ، ولا يوجدُ فيه شيءٌ[3] ، ولا يُمازِجُ شيئاً ، ولا يُمازِجهُ شيءٌ ، ولا يَمَسُّ شيئاً ، ولا يَمَسُّهُ شيءٌ ، ولا يُلاصِقُ شيئاً ، ولا يلاصقه شيءٌ ، ولا يُجاوِرُ شيئاً ، ولا يُجاوره شيْءٌ ، ولا يُقابِلُ شيئاً ، ولا يُقابله شيءٌ ، ولا يُقارِبُ[4] بذاتِهِ شيئاً ، ولا تَقْرُبُ منه ذاتُ شيءٍ . ومَنْ قرُبَ منه مِنْ خَلْقِهِ فهو قُرْبُ[5] إكرامٍ وجاهٍ ، ورِفعةٍ وعنايةٍ ، لا قُرْبُ الذاتِ مِنَ الذاتِ . ومَنْ بَعُدَ منه[6] من خَلْقِهِ فبُعْدُهُ بُعْدُ إهانةٍ وعقوبةٍ ، وحرمانٍ وخِذْلانٍ . وقُرْبُهُ من خلقِهِ بسمعِهِ و نظرِهِ العميمِ عليهم ، وبعِلْمِهِ المحيطِ بهم وبقدرته التي بِها أَوْجَدَهُمْ ، وبِحِكْمته النافِذةِ[7] فيهم يُقارِبُهم[8] بكلِّ ما ذكرتُ بلا مُقابَلةٍ ولا مُجاوَرَةٍ ، ولا تَشبيهٍ ولا تكْييفٍ . قَرُبَ فشَهِدَ النَّجْوَى ، وبَعُدَ فلا يُرى . تعاظَمَ جلالُهُ أنْ تَقرُبَ ذاتُهُ من الذواتِ المُؤتلفاتِ[9] .

فصل في الرحمة والغضب

فالرحمةُ فضلٌ مِنَ اللهِ عز وجل على مَنْ أطاعهُ ، والغضبُ عدلٌ منه على مَنْ عصاهُ ، والرحمةُ والغضبُ صفتانِ من صفات أحكامِ اللهِ تعالى ، اتَّصفَ بِهما الجبارُ جلَّ جلالُهُ . فالغضبُ لاحقٌ بأهلِ الحرمان والخِذْلانِ من أهلِ المُخالَفات ، والرحمةُ لاحقةٌ بأهلِ التوفيقِ والعِنايةِ مِنْ أرباب الموافقاتِ . وأمرُ الرحمةِ والغضبِ مُسْتَتِرٌ تحت قناعِ المشيئةِ . قال اللهُ سبحانه[10] : ﴿يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ﴾[11] ، فعَلَّقَ الرحمةَ والغضبَ بِمَشِيئَتِهِ كي لا يَقْنَطَ مُذْنِبٌ ، ولا يأمنَ مُطيعٌ ، فإنَّ القنوط والأَمْنَ كُفْرٌ حقيقيٌّ ، واللهُ عز وجل لا يَتعاظَمُ عليه ذَنْبٌ يَغْفِرُهُ وإنْ جَلَّ ، ولا يُؤْمَنُ سُخطُهُ في صغيرِ ذَنْبٍ وإنْ قَلَّ . فالفَرْضُ اللازمُ على

---

1 ب : الأرضون . ، تحريف .

2 ب : الحادث .

3 قوله «ولا يوجد فيه شيء» لم يرد في ق .

4 في الأصل : ولا يقرب . ـ وما أثبتناه من النسخ الأخرى .

5 ب : من خلقه فقربه قرب .

6 ب : عنه .

7 ب : وبحكمه النافذ .

8 ب : يقابلهم . ـ تحريف .

9 ب : الذوات والمؤتلفات .

10 ب : تعالى .

11 سورة العنكبوت . الآية : 21 . ـ وردت الآية محرفة في ع ، ط : يرحم من يشاء ويعذب من يشاء .

العبدِ في هذا المعنى لزومُ الطاعةِ ، وتركُ المعصيةِ ، والتمسُّكُ بالخوفِ ، والرجاءِ مع مُفارقةِ الأمْنِ والقُنوطِ .

واعْلَمْ أنَّ الاتكالَ على رحمة الله [تعالى][1] مع تَرْكِ أعمالِ الطاعاتِ ، وركوبِ المعصيةِ[2] ، ورؤيةِ العملِ الصالحِ لا يَنفعُ ، يوجبُ اللعنةَ لأنَّ ذلكَ من أفعالِ المُرْجِئةِ[3] كما رُوِيَ عنه عليه السلام [أنه قال][4] : «ألا وإنَّ الله لعَنَ المُرْجِئةَ والقَدَرِيَّةَ[5] على لسان سبعين نبياً أنا آخِرُهم»[6] .

فصل في الترتيب

فقد رتَّبَ الله عز وجل مَقاديرَ خَلقِهِ في سابقِ عِلْمِهِ ، فلا يَرِدُ على العبد خيرٌ ولا شرٌّ ، ولا نَفْعٌ ولا ضُرٌّ ولا إيمانٌ ولا كُفرٌ[7] ، ولا زيادةٌ ولا نُقْصانٌ ، ولا ربح ولا خُسرانٌ ، ولا جَمْعٌ ولا افْتِراقٌ ، ولا حركةٌ ولا سُكونٌ إلاّ ما سَبَقَ به قضاؤُهُ وقدرُهُ .

وكذلك رَتَّبَ في أزليته صفاتِ خَلقِهِ ، فعَلِمَ[8] الأبيضَ والأسودَ ، والصحيحَ والسقيمَ ، والفقير والغنيَّ ، والسعيدَ والشقيَّ قبل وجودِ خَلْقِه . فلمَّا أخرجهم مِنَ العَدَمِ إلى الوجودِ استعمَلهم[9] على ما سَبَقَ مِنْ إرادتِه وتقديرِه ، وصوَّرَهم على الصِّفاتِ السابقةِ في عِلْمِهِ ، لا زيادةَ[10] في ذلكَ ولا نُقصانَ لأن المقادير لا تُفسخُ ، والشِّقْوَةَ لا تُنسَخُ ، وإليهِ الإشارةُ بقوله تعالى : ﴿لا تختَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بالوَعِيدِ مَا يُبَدَّلُ القَوْلُ لديَّ وما أنا بظلاَّمٍ للعَبيدِ﴾[11] . فهذا ترتيبُ الله تعالى في خَلْقِهِ لا يَقْدِرُ على هذا الترتيب إلاّ الجبار ، ولا يُتْقِنُهُ إلاّ القهار ، وفي تَفكُّرِ ذلكَ عِبرَةٌ لأولي الأبصارِ .

---

1 الزيادة من م ، ق ، ب ، ط .

2 ب : المعصيات .

3 رأى كثير من المرجئة أن الإيمان هو التصديق بالقلب فقط ، فمن آمن بقلبه فهو مؤمن مسلم ، وليس الإقرار باللسان ولا الأعمال من صلاة وصوم ونحوهما جزءاً من الإيمان . ـ انظر في تفاصيل ذلك : ضحى الإسلام 3/316–329 .

4 الزيادة من ب ، ط .

5 والقدرية : فرقة زعمت أن كل عبد خالق لفعله ، ولا يرون الكفر والمعاصي بتقدير الله تعالى .

6 لم أعثر عليه في كتب الحديث التي بين يدي .

7 في الأصل : ولا كفر ولا إيمان . ـ وما أثبتناه من النسخ الأخرى .

8 ع ، ط ، ق : فيعلم . ـ وما أثبتناه من م ، ب .

9 ق : استعمرهم .

10 ع ، ق : ولا زيادة . ـ وما أثبتناه من م ، ب ، ط .

11 سورة ق . الآيتان : 50–51 .

فصل في شرح كلام الله عز وجل[1]

فأقولُ واللهُ المُستعانُ : القرآنُ هو كلامُ الله تعالى على الحقيقةِ لا على المَجازِ وهو أزليٌّ قديمٌ غيرُ مَخلوقٍ ، وليس هو بِحرفٍ ولا صوتٍ ولا لُغةٍ ، مكتوبٌ في المصاحِفِ ، مقروءٌ باللسانِ ، مَحفوظٌ في القُلوبِ[2] ، وهو غيرُ حالٍّ في شيءٍ من ذلك . ويتَّضحُ [لك][3] ذلك بالمثالِ[4] إذا أنزلتَ كلامَ الله تعالى في المِثالِ كأنه رجلٌ[5] فتذكُرُ الرَّجلَ بلسانك[6] فيكونُ ذِكرُ[7] الرَّجلِ حالاً على لسانِكَ ، والرَّجلُ بنفسه غيرُ حالٍّ على لسانِك . فهذا معنى «مقروءٌ باللسانِ» . وتَحفظُ في قلبِك أمْرَ الرَّجُلِ إذا أمَرَك بشيءٍ ، أو نهاكَ عن شيءٍ ، أو خوَّفَكَ من شيءٍ ، أو شوَّقَكَ في شيءٍ ، تَحفَظُ جميعَ ذلك في قلبِك ، والرَّجلُ الذي أمرَكَ ونَهاكَ وخوَّفَكَ وشوَّقَكَ غيرُ حالٍّ فيك أي في قلبِك[8] . فهذا معنى «مَحفوظٌ في القلوبِ» . وتكتُبُ اسمَ الرَّجلِ في كُتُبٍ فيكُونُ اسمُ الرَّجلِ حالاً في الكُتُبِ ، والرجلُ بنفسه غيرُ حالٍّ في الكُتُبِ[9] . فهذا معنى «مكتوبٌ في المصاحفِ» .

ولا تَحسبنَّ التلاوةَ والقراءةَ هما كلامَ الله القديمَ ، فليس ذلك كذلك ، وإنَّما هما دالَّتان على كلامِ الله سبحانَه . ولو كانت التلاوةُ والقراءةُ كلامَ الله القديمَ لحَلَّ كلامُ الله سُبحانَهُ على اللسانِ بِحلولِ التلاوةِ والقراءةِ عليه . ولو حَلَّ كلامُ الله سبحانَه[10] على اللسانِ لَحَلَّ اللهُ حيثُ حَلَّ كَلامُهُ . فإنَّ كَلامَهُ مقرونٌ بذاتِه لا يَفترقانِ . وقد أجمعَ شيوخُ أهلِ السُّنَّةِ رضي الله عنهم أجمعين على أنَّ كلامَ الله لا يكُونُ قائماً بذاتَينِ ، ولا يَتكلَّم به متكلِّمانِ ، فلا يتكلم بكلامِ الله أحدٌ إلاَّ اللهُ .

واعلَمْ أنَّ نسبةَ التلاوةِ والقراءةِ لكلامِ الله تعالى في المَثَلِ كنسبةِ الظِّلِّ إلى الصورةِ[11] . فمَنْ

---

1 في الأصل : في شرح الكلام . ـ وما أثبتناه من النسخ الأخرى . ـ ولم ترد «عز وجل» في ق ، ب .

2 ق : القلب .

3 الزيادة من ط .

4 ق ، ط : بالأمثال . ـ وفي م : في المثال .

5 ق : ويتضح ذلك بالمثال كأنه رجل . ـ نقص وتحريف .

6 ق : بلسانه . ـ تحريف .

7 لم ترد لفظة «ذكر» في ب .

8 ب : غير حال في قلبك .

9 في م ، ق ، ب ، ط : الكتاب .

10 قوله «سبحانه» لم يرد في ب .

11 ب : إلى الشجرة .

ظنَّ أنَّ التلاوةَ والقراءةَ هما كلامُ الله القديمُ فهو كرَجلٍ رأى ظِلَّ صورةٍ فقالَ : هذا الظّلُّ هي الصورةُ بِعَينِها .

واعْلَمْ أنَّكَ إنْ سَمعتَ كلامَ الله مِنَ البَشَرِ[1] سَمِعْتَه مَتلُواً ومقروءاً . وإنْ سَمِعْتَهُ مِنَ الله تعالى في الآخرةِ سَمِعْتَهُ لا متلواً ولا مقروءاً فإن القرآن راجعٌ في حقِّ البشريةِ إلى التلاوةِ والقراءةِ ، والحُروفِ والأصواتِ واللُّغاتِ [وهو في حقِّ الرُّبوبيةِ مُنَزَّهٌ عن التلاوة والقراءة والحروفِ والأصواتِ واللُّغاتِ][2]. فإنَّ الله عز وجل إذا تكَلَّمَ لا يَلْفِظُ ولا يَنْطِقُ [فإنَّ اللَّفظ والنُّطْقَ مُفْتَقِرانِ إلى الحروف والأصوات واللغات والله مُنَزَّهٌ عن ذلك][3] . وكَلامُ الله تعالى شيءٌ واحد يُفْهَمُ منه الأمْرُ والنَّهْيُ والترهيبُ والترغيبُ ، وليس هو بِعربي ، ولو كان عربياً ، لكان لغةً من اللغاتِ ، وإنّما التلاوةُ عنه عربيةٌ فقط . وتَسْمِيَةُ كلامِ الله تعالى «قرآناً» تَسْميةٌ إلهيةٌ لا تسميةُ اصْطِلاحٍ .

فهذه جُمْلَةٌ مُقْنِعةٌ في شرح كلام الله سبحانَهُ ، ولِلّسانِ في شَرْحِ هذا الفصلِ مَجالٌ مُتّسِعٌ ، ولكنْ فيما أوْمأنا إليه كفايةٌ لأهلِ العقولِ الراجحات .

فصل في الاستواء

قال الله سبحانه : ﴿الرَّحْمَنُ على العَرْشِ اسْتَوَى﴾[4] . يَجِبُ على العبدِ أنْ يَعْلَمَ مِنَ العِلْمِ ما يَسوسُ به تفصيلَ هذه الآيةِ[5] حَذَراً مِمّا يوهِمُ التَّكْييفَ لأنَّ الإيهامَ في صفات الرُّبوبيَّةِ[6] يَسْتَجلِبُ الكُفْرَ للقلوبِ ، فيجبُ عليك أولاً في تفصيلِ هذه الآيةِ أنْ تَعْلَمَ أنَّ الله عزَّ وجَلَّ كان قبلَ العرشِ وغيْرِهِ ، فيَدُلُّكَ ذلك على أنَّ الذي أغْناهُ عن الكونِ على العرشِ فيما مَضى يُغْنيهِ فيما بَقِي .

ويَجِبُ عليك ثانياً أنْ تَعلَمَ أنّ العرشَ وجميعَ الحوادثِ في جَنْبِ عظمة الله تعالى كَلاَ شيءٍ ، فيَدُلُّكَ ذلك على أنَّه سبحانه لا يَحمله عرشٌ ولا غيرُه .

ويَجِبُ عليك ثالثاً أنْ تَعْلَمَ أنَّ الاستواءَ في اللُّغةِ مَعْلومٌ كما يقولُ الناسُ : استوى السُّلطانُ على مُلْكِهِ ، ولم يُريدوا بذلك اسْتواءَهُ بِجِسْمِهِ ، وإنَّما أرادوا بذلك[7] اسْتِواءَهُ

---

1 قوله «من البشر» لم يرد في ق .
2 الزيادة من م ، ق ، ب ، ط .
3 الزيادة من ب .
4 سورة طه . ــ الآية : 5 .
5 ب : ما به تفصيل هذه الآية .
6 رواية ب ــ وفي ط ، ق : إيهام صفات الربوبية .
7 في الأصل : أرادوا به . ــ وما أثبتناه من النسخ الأخرى .

بقَهْرِهِ واقْتِدارِهِ[1] . فيدُلُّكَ ذلك على أنَّ استواءَه سبحانَهُ مُنَزَّهٌ عن الحلول .

ويَجِبُ عليك رابعاً أنْ تَعْلَمَ أنَّ الاسْتِواءَ في حقِّ البَشَرِيَّةِ راجعٌ إلى المُماسَّةِ والتَّمكينِ والاسْتِقْرارِ . فيَدُلُّكَ ذلك على أنَّ نوحاً عليهِ السلامِ استوى على الفُلْكِ تَمكُّناً واستقراراً[2] .

ويَجِبُ عليك خامساً أنْ تَعْلَمَ أنَّ الاستواءَ في حَقِّ الربوبية راجعٌ إلى القُدْرَةِ والقَهْرِ والإرادَةِ . فَيَدُلُّكَ ذلك على أنَّ اللهَ سبحانَه استوى على عَرْشِهِ قَهْراً واقْتِداراً .

فإذا فَهِمْتَ تَـأْويلَ ما ذَكَرْتُ لَكَ عَلِمْتَ بالضَّرورَةِ[3] أنَّ اللهَ عز وجل لا يَنْتَقِلُ عمّا كان عليهِ في القِدَمِ إلى اصْطِلاحِ المُحدثاتِ[4] ، وليس للعَقلِ فوْقَ العرش مَجالٌ ولا ما يُعَبِّرُ عنه لسانٌ ، ولا ما يُدْرِكُهُ عِلْمُ مخلوق . «وما تحت الثَّرى»[5] كذلك ، فإنَّهُ ليس فوق العرش ولا تَحت الثَّرَى إلاَّ غُموضٌ[6] عِلْمِ اللهِ تعالى . وعِلْمُهُ مُحيطٌ بِجَميعِ الكائناتِ .

فصل في الغمام

قال اللهُ سبحانه : ﴿هَل يَنظُرُونَ إلاَّ أن يَأتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الغَمامِ والمَلائِكَةُ﴾[7] .

اعْلَمْ رحِمَكَ اللهُ أنَّ حُروفَ الخَفْضِ يَجوز بَدَلُ بعضِها مِنْ بَعْضٍ عِنْدَ أَهْلِ اللُّغَةِ فَتَحْتَمِلُ الآيَةُ أن يَكونَ تَقديرُها «هَلْ يَنْظُرُونَ إلاَّ أَنْ يَـأتِيَهُم اللهُ بِظُلَلٍ مِنَ الغَمامِ والملائِكَة» فتكونُ الفاءُ بِمعنى الباءِ . وتَحتملُ الآيةُ وَجْهاً آخرَ : «هَلْ يَنْظُرُونَ إلاَّ أنْ يَـأتِيَهم مَلَكٌ مِنْ مَلائِكَةِ اللهِ تعالى في ظُلَلٍ مِنَ الغَمامِ والمَلائكةِ» فيكون ذلك علامَةً للحِسابِ ، فيُحْذَفُ المُضافُ ويُقامُ [المُضافُ][8] إليهِ مُقامَهُ . ولا تَحتملُ الآيَةُ أكْثَرَ مِنْ هذين الوجهين . ومَنْ توَهَّم أنَّ اللهَ تعالى يَـأتِي يومَ القِيامَةِ في ظُلَلٍ من الغمامِ والملائكةِ بمعنى الحُلولِ والانْتِقالِ ، وسَجَدَ[9] لِمن هذه صِفَتُهُ فقَد سَجَدَ لِغَيْرِ اللهِ تعالى . فإنَّ الغمامَ خَلْقٌ مِنْ خَلْقِ اللهِ سبحانه ، والخالِقُ لا يَحُلُّ في المَخْلوقاتِ . تَعالى اللهُ عَنْ ذلك عُلواً كبيراً .

---

1 ق ، ب ، ط : باقتداره وقهره . ـ ولم ترد العبارة في م .

2 قوله «فيدلك ذلك . . . تمكناً واستقراراً» لم يرد في ب .

3 ب : ضرورةً .

4 ب : إلى الحدوث .

5 يشير إلى قوله تعالى : ﴿لَهُ مَا في السَّماواتِ ومَا في الأَرضِ ومَا بَيْنَهُمَا ومَا تَحْتَ الثَّرَى﴾ وهي الآية العشرون من سورة طه : 6 .

6 ب : ولا غامضُ . ـ تحريف .

7 سورة البقرة . الآية : 210 .

8 الزيادة من م ، ق ، ب ، ط .

9 في الأصل : ومن سجد لمثل بهذه الصفة . ـ تحريف صوابه من النسخ الأخرى .

فصل في النَّجْوَى

قال الله سبحانه : ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ إلاَّ هُوَ رابِعُهُمْ﴾ الآية . . .[1] معناهُ أنَّ الله عز وجل يَعْلَمُ ما في مَكْنُونِ ضمائِرِهم ، وما انْطَوَتْ عَلَيه سَرائِرُهُمْ مِنْ غيرِ مُجاوَرَةٍ ولا إصْغَاءٍ . فإنَّهُ عالِمٌ بِالأشْياء ولا يَحُلُّ فيها . تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

فصل في المَجِيء

قال الله تعالى[2] : ﴿وجاء رَبُّكَ والمَلَكُ صَفاً صَفاً﴾[3] فالله عز وجل لا يأتي يومَ القِيامَةِ في كَتَائِبِ[4] الملائكةِ وصُفُوفِها بمعنى الحلول والانْتِقَالِ . فإنَّ الله عزَّ وجلَّ يَفْصِلُ بينَ خَلْقِهِ يومَ القيامةِ ولا تَشْغَلُهُ مُحاسَبَةُ أَحَدٍ عَنْ أحدٍ بلا حلولٍ مَعَهُمْ في عَرْصاتِ[5] القِيامَةِ ، ولا قُرْبٍ مِنْهُمْ ، ولا بُعْدٍ عَنْهُمْ . فإنَّ القُرْبَ والبُعْدَ يَتَضَمَّنانِ المَسافَةَ والله عز وجل لا مَسافةَ بينَهُ وبينَ خَلْقِهِ . فإنَّهُ قَديرٌ ، وقُدْرَتُهُ لا تُدْرِكُها العُقولُ .

ومَنْ تَوَهَّمَ أنَّ لله حَرَكَةً إلى يومِ القيامة[6] بِمَجيءٍ أو ذهابٍ فهو كافِرٌ على الحقيقة . والله ولِي التوفيق .

فصل في الضحك

ورد في الخَبَرِ أنَّ الله عز وجل يضحكُ لِمَنْ حَبَّسَ على فِئَةٍ في سبيلِ الله[7] . فالضَّحكُ وطلاقَةُ الوجه للأضْيافِ عند العَوامِّ أعلى كرامةً عِنْدَهُمْ لأنَّ الضحك وطلاقَةَ الوَجْهِ تَدُلُّ الأَضْيافَ على كرَمِ مَنْ أضافهُمْ ورِضاهُ[8] بِكَرامَتِهِم . هذا بينَ العَوامِّ . وليس الضحكُ مِنْ صِفَةِ المُلوكِ ، وإنَّما عَطِيَّتُهُمْ ومِنَنُهُمْ بَدَلٌ مِنْ ضَحِكِهِم . هَذا في مُلوكِ الدُّنْيا ، وهذا ضَرْبُ مَثَلاً لأنَّ المؤمنين يَجِدون عِنْدَ الله كَرامَةً ومِنَناً وطَرائِفَ وهَدايا لم تَسْمَعْها آذانُهم ولا حَدَّثَتْهُم أنْفُسُهُم أنَّهُم يَجِدون تلك المواهِبَ مِنْ سَيِّدِهِم لأنَّ عُقولَهُم لَم تَبْلُغْ إلى عِلْمِ[9] ذلك . فهذا

---

1 قال تعالى : ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوى ثلاثَةٍ إلا هو رَابِعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلاّ هو معهمُ أيْنما كانوا﴾ سورة المجادلة . الآية : 7 .

2 ب : سبحانه .

3 سورة الفجر . الآية : 22 .

4 ب : في كباكب . ــ تحريف . ــ والكتيبة : ما اجتمع فلم ينتشر ولذلك قيل لجماعة الخيل أو الجيش : كتيبة .

5 م ، ق ، ط : عرصة .

6 ب : أن الله تعالى له حركة إلى القيامة .

7 لم أعثر عليه في كتب السُّنة التي بين يدي .

8 ب : ورضاهم .

9 ب : لم تبلغ علم .

معنى الضحك عند شُيوخ أهلِ السُّنَّةِ رضي الله عنهم أجمعين .

فصل في الرؤية[1]

قال الله سبحانه : ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرةٌ إلى رَبِّها نَاظِرَةٌ﴾[2] . فالمؤمنونَ يَنْظُرون إلى الله عز وجل في دارِ السَّلام . ودَارُ السَّلامِ هي فَحْصَةُ عرشِ الرحمنِ[3] ، وهي فحصةٌ لا يَعْلَمُ[4] طرفَها إلاّ خالِقُها ، يَخْرُجُ إليْها المؤمِنونَ في كُلِّ جُمُعَةٍ كَما يَخْرُجُ النَّاسُ إلى مُصَلاَّهُم يَوْمَ الفِطْرِ والأضحى . فبينما أهلُ الجنَّةِ في فَحْصَتِهِمْ فإذا بالحُجُبِ قَدْ كُشِفَتْ عَنِ الخَلائقِ لأنَّ الحُجُبَ على الخلائقِ لا عَلَى الخَالِقِ عَزَّ وَجَلَّ . ومَنِ اعْتَقَدَ أَنَّ الحُجُبَ تَجُوزُ على الخَالِقِ سُبْحانَهُ فَقَدْ جَهِلَ صِفَةَ الرُّبوبِيَّةِ . ولو جازَ عَليه الحِجابُ لانْهَدَمَتِ السماواتُ والأرضُ ، فإذا انكشفتْ [لَهُمُ] الحُجُبُ[5] بَدا لَهُمُ الجبّارُ جَلَّ جَلالُهُ فَيَنْظُرونَ إلى شيءٍ ﴿ليس كَمِثْلِهِ شيءٌ وهو السَّميعُ البَصيرُ﴾[6] فينظُرُ العبدُ المُؤْمِنُ فَلا يَرى تَحتاً ولا فوقاً[7] ، ولا يَميناً ولا شِمالاً ، ولا أماماً ولا خَلْفاً إلا الله [سُبْحانَهُ][8] ، ولا يَخْطُرُ ببالِهِ شَيءٌ إلاَّ اللهُ ، ولا يَجِدُ لشيءٍ لذَّةً إلاَّ النظَرَ لِوَجْهِ الله فَيُحَيَّرُ العَبْدُ في العَظَمَةِ والجَلالِ حتى لا يَعْرِفَ اسمَ نَفْسِهِ ولا يَشْعُرَ بِمَنْ حَوْلَهُ من الخلائِقِ ويَنْسى كَلَّ شيءٍ إلاّ الله سبحانه فَيَنْظُرُ العبدُ حينئذٍ لمَولاهُ بالبصر والبصيرة من غيرِ أن يُدْرِكَ بِبَصَرِهِ ولا بِبَصيرتِهِ[9] مِنَ الصِّفاتِ شَيْئاً بِمعنى النهايةِ والإحاطةِ ، فإنَّهم يَرَوْنَهُ على الحقيقةِ ولا تُتَخَيَّلُ صفتُه في عقولِهم ولا أوْهامِهِم في حين الرُّؤيَةِ ولا بَعْدَها . فإنَّ العَقْلَ يَعْجِزُ هناك عَنِ الفَهْمِ ، ويَعْجِزُ الفَهْمُ عن الدَّرْكِ ، ويَعْجِزُ الدَّرْكُ عن الصفاتِ ويَتلاشَى الكُلُّ في جَنْبِ عَظَمَةِ الله عز وجل . فإنَّ الله تعالى إذا تَجَلَّى لَهُم فليس في تَجَليهِ حركَةٌ ولا سُكونٌ ولا مَجيءٌ ولا ذهابٌ ، وإنّما يتجلى لِخَلْقِهِ سبحانه من ذاتِه بلا تَشْبيهٍ ولا تكييفٍ[10]

---

1 قوله «في الرؤية» لم يرد في ب .

2 سورة القيامة . الآية : 22 .

3 في القاموس المحيط (مادة : فحص) : الفحص كلُّ موضع يُسكن وفي اللسان (مادة : فحص) : «وفي حديث الشفاعة : فانطلق حتى أتى الفحص أي قدام العرش» .

4 ب : لا يعرفُ .

5 الزيادة من ق ، وفي م ، ب : الحجاب .

6 سورة الشورى . الآية : 11 . وفي ب : فينظرون إلى الله تعالى ليس كمثله شيءٌ .

7 ب : فلا يرى فوقاً ولا تحتاً .

8 الزيادة من ق ، ب . ـ وفي م : تعالى .

9 ب : وبصيرته .

10 ب : بلا تكييف ولا تشبيه .

﴿لا تُدْرِكُهُ الأبْصارُ وهُوَ يُدرِكُ الأبصارَ وهُوَ اللّطيفُ الخَبيرُ﴾[1] .

فصل في المِثال

قال الله سبحانه : ﴿ليس كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّميعُ البَصيرُ﴾[2] وكيف يَتعلّقُ المثالُ بِمَنْ هو غيرُ مُصوّرٍ[3] ولا مُركَّبٍ ولا مُؤلَّفٍ ولا مُجْتَمِعٍ ولا مُفْتَرِقٍ[4] ولا يَتَّصِفُ سبحانه بِحُمْرَةٍ ولا بِصُفْرةٍ ولا بِبَياضٍ ولا بِسَوادٍ ولا بلونٍ مِنَ الألوانِ ، لم يوجَدْ مِنْ شيءٍ[5] كانت منه بدايَتُهُ . سميعٌ بِلا أُذْنٍ ، بصيرٌ بلا مُقْلَةٍ ، صانعٌ بلا مُعالجَةِ يَدٍ ، ذو وجْهٍ بلا صورةٍ ، حَيٌّ بلا نَفسٍ مُتَرَدِّدٍ ، مُتكلّمٌ بلا كلامٍ مُتَعَدِّدٍ . فاليدان راجعان إلى القُدْرَةِ ، وكلتا يَدَيْهِ يَمينٌ . والسَّمْع راجعٌ إلى إدراك المَسْموعات ، والبَصَرُ راجع إلى إدراك المُبصَراتِ ، والوَجْهُ راجع إلى الوُجودِ لا لِسِمَةِ[6] المُحْدَثاتِ ، لا يَخْتَصُّ بعضُه بالوجه دون بعض . وكذلك اليدانِ والسَّمْعُ والبصرُ . تعالى الله أنْ يَتَبَعَّضَ أو يَجوزَ عليه كُلٌّ ، فإنَّهُ لا يَتَبَعَضُ إلاّ مَنْ يَتَجزّأُ[7] ، ولا يليقُ الكُلُّ إلاّ بِمَنْ لَهُ حَدٌّ ، ولا يُعْقَلُ مِنْهُ إلاّ الوُجودُ فقط لأنَّ صفاتِهِ تَعَذَّرتْ عَنِ العُقولِ[8] مَعْرِفَتُها . وكيف يوصَفُ مَنْ تَنزَّهَ عنِ الآمادِ والنهاياتِ ، وتعالى عن الحَدِّ والبداياتِ . تعالى الله أنْ يُحيطَ عِلْمٌ بِذاتِه[9] ، أو تُدْرِكَ العقولُ شيئاً مِنْ صفاتِه ، فتَنَزَّهَ عن زيِّ الذكور والإناث ﴿له الخَلْقُ والأمْرُ تَبارَكَ الله ربُّ العالَمين﴾[10] .

فصل في التلاوة[11]

قال الله سبحانه : ﴿ذلك نَتْلوهُ عَلَيْكَ مِنَ الآياتِ والذِّكْرِ الحَكيم﴾[12] يَحْتَمِلُ أنْ يكون جِبْريلُ هو التّالِي ويُضيفَ الله سبحانه ذلك إلى نَفْسِهِ كما قال تعالى[13] : ﴿ثُمَّ شَقَقْنا الأرضَ

---

1 سورة الأنعام . الآية : 103 .

2 سورة الشورى . الآية : 11 .

3 ب : مُتَصَوَّر .

4 ب : مُتفرق .

5 ب : لم يوجد شيء .

6 ب : إلى الوجوه لا لَمَسَّةِ المُحدثات .

7 ق ، ط : إلا من يتحيز .

8 ق : على العقول .

9 في الأصل : أن يحيط به علم بذاته . ــ وما أثبتناه من م ، ق ، ط . ــ وفي ب : من تنزه عن الأمد والبداية وتعالى عن الحد والنهاية ، تعالى أن يحيط علم بذاته .

10 سورة الأعراف . الآية : 54 .

11 ب : فصل في التلاوة والقراءة .

12 سورة آل عمران . الآية : 58 .

13 ب : كما قال الله سبحانه .

شَقّاً﴾[1] ، وهمُ[2] الحرَّاثونَ شقُّوا الأرضَ [شَقّاً][3] فأضافَ اللهُ سبحانه ذلك إلى نَفْسِهِ . ومَنْ زَعَمَ أنَّ اللهَ عز وجل قارىء وتال فقد خرَجَ عن مَذهب المسلمين لأنّ معنى التلاوةِ و القراءةِ[4] عند أهلِ السّنَّةِ صوْتُ القارىء ونَغْمَتُهُ . فتعالى اللهُ عن ذلك علواً كبيراً .

فصل في سَمْعِ الكلامِ

قال اللهُ سبحانه : ﴿فَأَجِرْهُ حتى يَسْمَعَ كلامَ اللهِ﴾[5] ، معنى ذلك كَمَثَلِ مُعَبِّرٍ يُعَبِّرُ لرَجُلٍ عن كَلامِ غَيْرِه ، فَيَفْهَمُ المُعَبَّرُ له مِنْ كلام المُعَبِّرِ[6] ما يَسْتَدِلُّ به على فَهْمِ كلام المُعَبِّرِ عنه . فَافْهَمْ [وباللهِ التوفيق][7] .

فصل في الآيات

قال اللهُ سبحانه : ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ في صُدُورِ الّذينَ أوتُوا العِلْمَ﴾[8] . معناه أنّ العقول فهِمَتْ[9] مِنْ كلامِ اللهِ الوعدَ والوعيدَ والمواعظَ والأمثالَ وغيرَ ذلك مِنَ المعاني فصار الفَهْمُ دلالةً على المَفهومِ بِلا أنْ يَحُلَّ المَفْهومُ في كَنْزِ[10] الصدورِ . والمَفْهومُ هو الكلامُ القائمُ بالمَلِكِ الغفورِ .

فصل في النزول

قال اللهُ سبحانه : ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ القُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالحَقِّ﴾[11] . وَرُوحُ القُدُسِ هو جِبْريلُ عليه السلام ، يَحْتَمِلُ معنى ذلك أنَّ جبريل عليه السلام[12] كان في جِهةِ الفَوْقِ فسَمِعَ كلامَ اللهِ مِنَ اللهِ أو بِوَحْيٍ[13] ، واللهُ عز وجل ليس هو في جهةِ فَوْقَ ، ولا في جِهَةٍ من الجهاتِ ، فَعَبَّرَ جبريل

---

1 سورة عبس . الآية : 26 .

2 في الأصل : وهو . ــ تحريف صوابه من النسخ الأخرى .

3 الزيادة من ب .

4 ب : معنى القراءة والتلاوة .

5 سورة التوبة . الآية : 6 .

6 م : من كلام الغير .

7 ب : فافهمه . ــ والزيادة من ط .

8 سورة العنكبوت . الآية : 49 .

9 ب : تفهم .

10 ع ــ ط : كور . ــ ق : كون – تحريف صوابه من م ، ب .

11 سورة النحل . الآية : 102 .

12 لم ترد عبارة «عليه السلام» في ق ، ب ، ط .

13 ب : أو يوحى إليه .

لمحمد عليه السلام[1] بلسان عربيٍّ [مُبينٍ][2] عمَّا فَهِمَ مِنْ كَلامِ الله ، وعَبَّرَ مُحمَّدٌ ﷺ[3] بِلِسانٍ عَرَبيٍّ لأُمَّتِهِ عما فَهِمَ مِن عِبارَةِ جبريل عن كلامِ الله تعالى. فالعِبارةُ عَربيةٌ[4] ، والمُعَبَّرُ عنه غير عَرَبِي . فهذا معنى «النزول» . وليس المقصودُ بالنُزول انْفِصالَ كَلامِ الله عن الله ، بِمعنى الانحطاطِ من عُلُوٍ إلى سُفْلٍ . فتعالى الله عن ذلك عُلواً كبيراً .

فصل في العُلو

قال الله تعالى : ﴿أأمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّماءِ﴾ [5] . فكلُّ شيءٍ عَلا فهو سَماء [6] . وسَماءُ البَيْتِ سَقْفُهُ . وليس المَقصودُ بالآيةِ[7] سَماءَ الدُّنيا ولا غيرَها مِنَ السَّبْعِ الطِباقِ ، وإنَّما المقصودُ بِمعنى الآيةِ : أمِنْتُم مَنْ فِي العُلُوِّ وهو عُلُوُّ الجلالِ والإكرام[8] ، وليس كَوْنُ الله تعالى في سماء الحوادث مِنْ صِفاتِ الكَمالِ . فتعالى الله عن ذلك عُلواً كبيراً .

[فصل][9] جامعُ القولِ في التنْزيه

تَنَزَّهَ رَبُّنا عن كُلِّ نَقيصةٍ يتعذَّرُ مِنْ أجْلها وُجوبُ الكمال لأنَّهُ مُنَزَّهٌ عن البداية . والبدايةُ أُصلُ كُلِّ نَقيصةٍ . والأرضُ وجميعُ الخلائقِ يومَ القيامةِ في قبضةِ قَهرِه واقتداره ، ﴿والسَّماواتُ مَطْوِياتٌ بِيمينِهِ﴾[10] لا يَبْعُدُ كَوْنُ المعنى : مَطْوِياتٌ بقُوَّتِهِ ، ويستحيل نزول الله تعالى[11] إلى سماء الدنيا بِمعنى التَنَقُلِ والتَّحَوُّلِ[12] والحُلول . ولا يَبْعُدُ حَمْلُ الحَديثِ على نزولِ مَلَكٍ من المُقَرَّبين فيُحْذَفُ المُضافُ ويُقامُ المُضافُ إليه مُقامَهُ .

وقوله عليه السلام : «فيضع الجبارُ قَدَمَه في النار» لا يَبعُدُ حَمْلَ القدم على كُلِّ[13] جبار مُتكبِّرٍ كان في الشرِّ رأساً فتطْلُبُ النارُ الزيادةَ حتى تستقر فيها قدمُ[14] كل متكبر جبارٍ شقيٍّ ، فلا

---

1 ب : ﷺ .
2 الزيادة من ق ، ب .
3 وردت الجملة الدعائية في النسخة الأصلية وحدها .
4 ق ، ط : فالعبارات عربيات .
5 سورة الملك . الآية : 16 .
6 ب : وكل شيء علا سُمي سماء .
7 ب : بمعنى الآية .
8 لم ترد لفظة «والإكرام» في ب .
9 الزيادة من ع ، ب .
10 سورة الزمر . الآية : 67 .
11 ق ، ب ، ط : نزوله تعالى .
12 ب : والتحليل . ـ تحريف .
13 لم ترد لفظة « كل» في ق ، ط .
14 قوله «جبار متكبر كان في الرأس شراً . . . قدم كل» لم يرد في ب .

تَطلُبُ النارُ بعد ذلك زيادة .

وقوله تعالى : ﴿وإِنَّهُ تعالى جَدُّ رَبِّنَا﴾[1] معناه : عظمة ربنا . وتقُولُ العَرَبُ[2] : جَدَّ فُلانٌ في قَوْمِهِ إذا عَظُمَ فيهم .

وقوله تعالى : ﴿إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وقُرْآنَهُ﴾[3] : لا يَجوزُ الجَمْعُ والنَّظْمُ إلاّ على العبارةِ والرَّقْمِ المُسْتَدلِ بهما على الكلامِ القديم لأنَّ العبارة نزلتْ مُفْترِقَةً فجُمِعَتْ بالرقم ونَظْمِ السُّوَرِ . واعْلَمْ أنّ استواءه سبحانه وإتيانَهُ[4] ومَجيئَهُ ، وضَحِكَهُ ورُؤْيَته ، وتَنْزِيهَهُ ونزولَهُ ، بلا مُقابلةٍ ولا مُجاورةٍ ، ولا تشبيهٍ ولا تكييفٍ . ﴿لَيسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّميعُ البَصيرُ﴾ .

قد وَضَعْنا لك في المَعرفةِ فُصولاً لا تَحْتَمِل شرحاً طويلاً ، وتستدعي تَشْقيقاً وتفصيلاً ، لكنِ اقْتصرْنا على الاخْتصارِ ، وتركنا التطويل والإكثار . فنسأل الله تعالى أنْ يَمُنَّ علينا بالحظِّ الجزيلِ ، وحياةِ القلب العليل ، وطهارةِ الذنوبِ بالعفوِ والصَّفح الجميلِ ، [والنُزولِ غداً في الظلِّ الظَّليلِ . وهو حَسْبُنا ونعمَ الوكيل][5] .

واعلمْ رحمكَ الله أنَّ هذا القطب الأول يُدْرَكُ بالقراءة والتلقين ، وتشتركه العامة والخاصة ، ويفهمه الصالح والطالح ، ويدور على ظاهره المُتَكَلِّمون ، ويَكشِفُ عن باطنِه العارفون . وهذا القطبُ هو القِشْرُ[6] القريب من لُبابِ المَعرفة[7] ، فمَنْ قَنعَ [به][8] وعَجَزَ عن القُطبين الآخَرين فقد رضيَ لنفسِه بمَنازل العَوامِّ وأقْعَدَهُ[9] العجزُ عن منازلِ أهل الخصوصيةِ[10] .

كَمُلَ القطب الأول بِحمد الله [تعالى وحُسن عونِه وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه][11] .

---

1 سورة الجن . الآية : 3 .

2 ع ، ط ، ق : وقول العرب . ـ وما أثبتناه من م ، ب .

3 سورة القيامة . الآية : 17 .

4 في الأصل : أن استواءه وآياته . ـ تحريف صوابه من ق ، ب ، ط . ـ وفي م : واعلم أن إتيانه سبحانه ومجيئه .

5 الزيادة من م ، ب ، ط .

6 القِشْرُ في اصطلاح الصوفية هو كل علم ظاهر يصون العلم الباطن الذي هو لبه ، عن الفساد كالشريعة للطريقة ، والطريقة للحقيقة . ـ معجم مصطلحات الصوفية (أبو خزام) : 143 .

7 المعرفة عند الصوفية هي تحقيق القلب بإثبات وحدانية الله بكمال صفاته وأسمائه . ـ معجم مصطلحات الصوفية (عبد المنعم الحفني) : 246 ومعجم المصطلحات الصوفية : 165 .

8 الزيادة من م ، ق ، ب ، ط .

9 ب : وأعقده . ـ تحريف .

10 بعدها في م : والسلام .

11 الزيادة من ب ، ط .

القطب الثاني
في التهذيب والرياضة

فصل [مَنْ عَرَفَ مولاهُ تهيّأً للقائه]

اِعلمْ رحمكَ اللهُ أنَّ مَنْ عَرَفَ مولاهُ تَهيّأً للقائه ، فإنَّ [مَنْ][1] عرَفَ تَنْزِيهَ مولاهُ على حَسَبِ ما ذكرناهُ ولَمْ يُنَزِّه نَفسَهُ عن معاصي اللهِ تعالى ، ولَمْ يُؤْثِرِ الآخرةَ على الدنيا فَنسبَتُهُ[2] إلى العارفين باطلٌ ، وليس الانكِبابُ على قاذوراتِ الدنيا مِنْ صِفةِ العارفينَ . وإنما العارفُ مَنْ عَرَفَ مولاه ونَزَّهَه عمّاً[3] لا يَليقُ به ، وانْكسَرَ قلبُه بالهَيْبَةِ والتَّعظيم والإجلال ، واستحيى مِنَ اللهِ تعالى أنْ يراهُ حيثُ نَهاهُ . فهذا طَرَفٌ مِنْ صِفةِ[4] العارفين . وأمّا مَنْ يُنَزِّهُ مولاه عن صفات الحُدوث[5] ، ونَفَى عَنْهُ كُلَّ ما لا يليق به ، ويقتحم مع ذلك[6] ما نَهاه اللهُ عز وجل[7] عنه فإليه الإشارةُ بقوله تعالى : ﴿أفَرأيْتَ مَنِ اتَّخذَ إلَهَهُ هَواهُ وأضَلَّهُ اللهُ على عِلْمٍ وخَتَمَ على سَمْعِهِ﴾[8] وليسَ عِبادَةُ الهوى مِنْ صِفةِ العارِفينَ . ولا تَقولَنَّ : الهوى لا يُعْبَدُ ، وقَدْ قال تعالى : ﴿أفرايتَ مَنِ اتَّخذَ إلَهَهُ هواهُ﴾ الآية . . . . وقال عليه السلام : «الهوى أبْغَضُ إلَهٍ عُبِدَ»[9] . فإنَّ الهوى حِجابٌ للعقولِ ، فإذا حُجبَتِ العقول فلا سبيلَ إلى المعرفةِ لأنَّ المعرفةَ نتيجةٌ من نَتائج العقل[10] ، والبصيرة نتيجةٌ مِنْ نتائج المعرفة ، ومَنْبعُ العِلْمِ مِنَ العقل . فإنَّ نسبة العلم إلى العقل كنسبةِ نورِ الشَّمس إلى الشمس . ومُسْتَقَرُّ العقل في الرأس ، أعني بالرأس القلبَ[11] ، وهو قول أبي جعفر [الفَرْجي][12] رحمه الله لأنَّ العقل

1 الزيادة من م ، ق ، ب ، ط .

2 ب : فنسبه .

3 ب : عمّن .

4 ب : صفات .

5 ب : الحَدث .

6 ب : بعد ذلك .

7 قوله «عز وجل» لم يرد في ب .

8 سورة الجاثية . الآية : 23 . وقوله تعالى : ﴿وأضله الله على علم وختم على سمعه﴾ لم يرد في ق .

9 لم أعثر على الحديث بلفظه في كتب الحديث التي بين يدي .

10 في الأصل : العقول ـ وما أثبتناه من النسخ الأخرى .

11 ب : أعني برأس العقل القلب .

12 الزيادة من م ، ب ، ط . ـ ولم نهتد بالتعريف بأبي جعفر الفرجي .

رأس الجوارح وأميرُها[1] وهو [معنى][2] قولِ عبدِ الله بنِ مسعود[3] رضي الله عنه قال : «العقولُ معادنُ الرأْس ، والعِلْمُ دِلالةٌ على أعمالِ الطاعة[4] ، والمعرفةُ دِلالةٌ على آفاتِ الأعمالِ ، والبصائرُ دِلالةٌ على اختبارِ عَواقِبِ الأمورِ واختبارِ مواردِها وتصريف مصارفها» .

فصل [الدنيا بحر عميق والآخرة من وراء ذلك البحر]

واعْلَمْ أنَّ الدنيا مِحْنَةٌ واختبارٌ للخلائقِ . فإنَّ الدنيا بَحرٌ عميق[5] ، والآخرةَ مِنْ وراء ذلك البحرِ ، لا ينكَشفُ الحجابُ عن قلب عبدٍ إلى النظرِ إلى الآخرة إلا من بعْدِ جوازِ ذلك البحر[6] العميقِ[7] في سُفنِ الصبرِ والرضى لأنَّهُ بَحرٌ ﴿لُجيٍّ يغشاهُ موجٌ من فوقِهِ مَوْجٌ من فوقه سحابٌ . ظُلُماتٌ بعضُها فوق بعضٍ﴾[8] . وهذه صفاتٌ ضُرِبَ بها المِثالُ للدُّنيا لأنَّ صفاتِها وصفاتِ المُغْتَرينَ بها مِثْلُ ذلك الموجِ الأولِ ، مَوْجِ الشّهواتِ الدّاعيةِ إلى صفاتِ البَهيمَةِ . وذلك اشتغالُ العبدِ بشهوةِ بطنِه وفَرْجِه ، وتَخَبُّطُ قلبه في بُحورِ التفكُّرِ في ذلك . فمَنِ اتَّصَفَ بِهذه الصِّفاتِ فقدِ اتَّصفَ بصفاتِ البهيمةِ لأنَّ البهيمةَ ليس لها عملٌ إلاّ الاشتغالُ بِبَطْنِها وفَرْجِها[9] لكِنَّ البهيمَةَ لا لوْمَ عليها لأنَّ اشتغالَها بِبَطْنِها يُكْثِرُ شَحْمَها[10] وثمَنَها ، وباشتغالِها بفَرْجِها يَكْثُر نَسْلُها[11] ، وتنمو لأربابِها . ولذلك خُلقتْ . فمَنْ كانتْ هِمَّتُهُ في بَطْنِهِ و فَرْجِهِ[12] كان كالبَهيمةِ بل رُتْبَته أسفلُ مِنْ رُتبةِ البَهيمةِ لأنَّ البَهيمةَ ليس لها عقلٌ تَعْرِفُ به خساسةَ حالِها[13] وأمَّا العبدُ فقد جَانَسَ البَهيمةَ في صِفةِ فِعْلِها بعد إفادةِ العَقلِ الذي هو مِيزانُ

---

1 ب : وأميرهم .

2 الزيادة من م ، ق ، ب ، ط .

3 عبد الله بن مسعود ، أبو عبد الرحمن ، صحابي جليل ، كان خادم رسول الله الأمين وصاحب سره ورفيقه في حله وترحاله وغزواته . قال عنه عمر بن الخطاب : وعاء ملىء علماً توفي سنة 32هـ . ـ الأعلام : 137/4 .

4 ب : والعقل معادن الرأس والعقل دلالة على أعمال الطاعات .

5 ما أثبتناه من ب ، ط . ـ وفي : ع ، م ، ق : غميق .

6 لم ترد كلمة «البحر» في ب .

7 ما أثبتناه من ب ، ط . ـ وفي : ع ، م ، ق : غميق .

8 سورة النور . الآية : 40 .

9 ب : ببطونها وفروجها .

10 ق ، ب ، ط : شحومها .

11 ب : لأن اشتغالها ببطونها يكثر شحومها وأثمانها ، وباشتغالها بفروجها تكثر أنسالها .

12 ب : في فرجه وبطنه .

13 ب : خساسة عقلها وحالها .

اللهِ تعالى في أرْضِهِ . وإلى هذا الصِنفِ الإشارَةُ بقَولِه تعالى[1] : ﴿[إنْ هُمْ إلاَّ كالأنعام] بل هُمْ أضَلُّ سَبيلاً﴾[2] ، فَهُمْ أهلُ المَوْجِ الأولِ ، وهو مَوْجٌ مُظْلِمٌ وأهلُه مُلقَبون بالحَماقَةِ . وصِنْفٌ ثانٍ قادَتْهُمُ الصِّفاتُ المُعْمِيَـةُ[3] إلى الغضبِ والعداوةِ ، والحِقْدِ والشَّحْناء وحُبِّ الجاهِ والشَّرَفِ ، وحُبِّ المَنزِلَةِ عند الناسِ . فَهؤلاء أهلُ المَوْجِ الثّاني وهو مَوْجٌ مُظْلِمٌ أشدُّ سواداً من الموجِ الأولِ . وهذا الصِنْفُ مُلقَّبٌ بالعَمى[4] والصَّمَمِ .

وصِنفٌ ثالثٌ هُمْ أهلُ السّحابِ المُظلِمةِ ، وهُم أهلُ الاعتقاداتِ الخَبيثَةِ لأنَّ مِنْ صفاتِ السَّحابِ أنْ يَحْجُبَ نورَ الشمسِ عن الأرضِ . والاعتقاداتُ الخبيثةُ تَحْجُبُ نورَ العقلِ أنْ يُفيضَ على القُلوبِ . وهذا الصِنْفُ[5] هم أهلُ ظُلُماتٍ بعضُها فوقَ بعضٍ .

وصِنْفٌ رابعٌ هُمْ أهلُ سحابٍ مُظْلِمَةٍ فوقَ أولئكَ ، حُجِبوا عن الإيمانِ والاسْتِيضاءِ بنورِ شَمسِ القرآنِ العظيمِ ونورِ العَقْلِ . فهذا الصِنْفُ ﴿إذا أخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَراها﴾[6] . فإذا كانَتِ المَعْرِفَةُ نوراً مِنْ أنوارِ العقلِ ، وهي مَواهِبُ مِنْ مَواهِبِ[7] اللهِ تعالى ومَنَعَ اللهُ عز وجل مِنْها هذا الصِّنْفَ . فإليهِ الإشارةُ بسِرِّ قوله تعالى : ﴿ومَن لَمْ يَجْعَلِ اللهُ لَهُ نوراً فما لَهُ من نورٍ﴾[8] .

فصل [الطبيعة مثل المزرعة ، وكل أرض تنبت ما زرع فيها]

فإنْ كان العبدُ مُستغرقاً في حُبِّ الدُنْيا ، مُقْبِلاً عليها[9] بِقلبِهِ ، فَرِحاً بِما أوتـيَ منها ، حَزيناً على ما فاتَهُ منها ، زاهِداً فيما في يَدِهِ ، راغِباً فيما يَدْخُلُ منها عليه ، مُعَظِّماً لقَدْرِ مَنْ أقْبَلَتْ عليه الدنيا فإلَيْهِ الإشارةُ بقول تعالى : ﴿إنَّ هؤلاءِ يُحِبُّونَ العَاجِلَةَ ويَذَرونَ وراءَهُمْ يَوْماً ثَقيلاً﴾[10] .

---

1 م ، ب ، ط : بسر قوله .

2 سورة الفرقان . الآية : 44 . ـ والزيادة من م ، ق ، ب ، ط .

3 في الأصل : الصفات المعصية . ـ وما أثبتناه من ق ، ط . ـ وفي م : الصفات العمية . ـ وفي ب : الصفاتُ الشبعية والعمية إلى الغضب . ـ تحريف .

4 في الأصل : وهو الموج الملقب بالعمى ـ تحريف صوابه من النسخ الأخرى .

5 ع ، م : وهذا صنف . ـ وما أثبتناه من ق ، ب ، ط .

6 سورة النور . الآية : 40 .

7 لم ترد كلمة «مواهب» في ب .

8 سورة النور . الآية : 40 .

9 ب : مُستقبلاً عليها .

10 سورة الإنسان . الآية : 27 .

واعْلَمْ ـ رحِمكَ الله ـ أنَّ الدُّنيا إذا عَظُمَتْ وجَلَّتْ في قَلْبِ عَبْدٍ فإنَّ ذلك العَبْدَ يُعظِّمُ قَدْرَ مَنْ أَقْبَلتْ عليه الدُّنيا ، ويتَمنى أنْ يَنالَ منها ما نالَ[1] . فإنَّ كُلَّ إنسانٍ يُعَظِّمُ ما اشتهتْ نفسُهُ . وهذه صِفَةُ عَبِيدِ الدنيا وعَبيدِ أهوائِهم[2] ، وهي صِفَةُ مَنْ أسْكَرَتْهُ الغَفْلَةُ وخَرَجَتْ عَظَمَةُ الله عزَّ وجلَ من قَلْبِه . وإلى هذا الصِّنْفِ الإشارةُ بقوله تعالى[3] : ﴿قال الَّذينَ يُريدون الحياةَ الدّنيا يا ليتَ لنا مِثْلَ ما أوتيَ قارونُ إنَّهُ لذو حظٍ عظيم﴾[4] . وكُلُّ مُحِبٍّ للدنيا مُسْتَغْرِقٍ في حُبِّها فهُو لاحِقٌ بالَّذينَ تمَنَّوْا رُتْبَةَ قارون[5] .

واعْلَمْ أنَّ الدنيا إذا رَسَخَتْ في القلبِ واسْتَوْطَنَت ، ظَهَرَ ذلك على جَوارِحِ العبدِ بِتكالُبِهِ ومُقاتَلَتِهِ[6] عليها ، وشِدَّةِ رَغْبَتِهِ فيها ، فَيَسْلُبُهُ الله تعالى لَذةَ القناعَةِ ويَمْنَعُهُ سياسةَ الزّاهِدين ، ويُبْعِدُهُ عن وَرَعِ العارِفينَ . فإنَّ القلبَ إذا لَمْ يَقْنَعْ لَوْ مَلَكَ الدُّنيا بِحَذافيرِها لَمْ يَشْبَعْ . وقال بعضُ الحُكماء : مَنْ سَمِنَتْ قناعَتُهُ طابَ لهُ مَرَقُهُ[7] . وقال بعْضُهُم : القناعة هي الغنى الأكْبَرُ ، ولَنْ تَخفى صِفَةُ القانِعينَ .

واعْلَمْ أنَّ قلبَ مُحِبِّ الدنيا مثلُ البحرِ العميقِ[8] تَجْري فيه أنْهارُ الدنيا وعُيونُها[9] منذُ كانتْ ولا تَظْهَرُ له زيادةٌ ولا عُذُوبَةٌ . وقال بعضُهُم : قَلْبُ مُحِبٍّ الدنيا مِثْلُ النّارِ الموقدَةِ كُلَّما ازْدادَ حَطَبُها ازْدادَ لَهَبُها .

واعْلَمْ رحِمَكَ الله أنَّ حُبَّ الدنيا مُوافِقٌ لِطَبائِعِ النُّفوسِ يَسْتَلِذُّهُ الطَّبْعُ . وكُلُّ شَيْءٍ يَسْتَلِذُّهُ الطَّبْعُ لا يزولُ إلاَّ بِشُرْبِ مَرارةِ الصَّبْرِ[10] . والصَّبْرُ ليسَ كُلُّ الرِّجالِ رِجالَهُ .

واعْلَمْ رحِمَكَ الله أنَّ حُبَّ الدنيا مِثْلُ الحَبِّ الذي يُبْذَرُ حولَ الفخِّ ، فَكُلُّ طائر يَلتَذُّ[11] بذلك الحَبِّ ويَنْسى خديعةَ الفخِّ[12] ما أَسْرَعَ هَلاكَهُ . واعْلَمْ أنَّ الفخَّ لا يَكيدُ إلاَّ بِعُصفورٍ

---

1 أي : يتمنى الذي عظمت الدنيا وجلت في قلبه أن ينال منها ما ناله من أقبلتْ عليه .
2 في الأصل : هواهم . ـ وما أثبتناه من النسخ الأخرى .
3 ب : بسرٌ قوله تعالى .
4 سورة القصص . الآية : 97 .
5 ب : مستغرق في حبها فهؤلاء بالدين تمنوا زينة قارون . ـ وهو تحريف .
6 ب : ومقالته . ـ تحريف .
7 ب : طابت له كل مرقة .
8 ما أثبتناه من ب ، ط . ـ وفي ع ، م ،ق : غميق .
9 لم ترد كلمة «وعيونها» في ب .
10 ب : أن حب الدنيا موافق لطبائع النفوس وكل شيء استلذه لا يزول ولا يشرب مرارة الصبر ـ وهو تحريف .
11 ق ، ب : يستلذ .
12 قوله «واعلم رحمك الله أن حب الدنيا . . . وينسى خديعة الفخ» لم يرد في ب .

يَلْتَذُّ[1] بِطُعْمِ ما في الفخِّ ، وليس لهُ على السُّنونيَةِ[2] مِنْ سبيلٍ لأنَّ السُّنونية أشبَهُ الأشياء بالزُّهَّادِ . فافهَمْ معنى ما أشرنا بِهِ إليك ، وإياكَ أنْ تقْتَحِمَ ما فيه هَلاكُكَ وإتْلافُ دينِكَ . فإنَّ أشْرارَ الرِّجالِ يَنْكَبُّونَ على ما تَهواهُ أنْفُسُهُم ، ويَتكالَبون على ما يُوافِقُ طَبائِعَهُم بعدَ مَعْرِفَتِهِم بنَهْيِ[3] سَيِّدِهِم ، وتَحْذيرِ[4] رُسُلِهِم ، ونَصيحَةِ عُلَمائِهِم . وإلى هذا الصِّنْفِ الإشارَةُ بقوله[5] تعالى : ﴿ولَقَدْ جاءَهُمْ مِنَ الأنْباءِ ما فيهِ مُزْدَجَرٌ . حِكْمَةٌ بالِغَةٌ . فما تُغْني النُّذُرُ﴾[6] . فكُنْ يا أخي لِطَريقِ أهلِ الزُّهْدِ سالِكاً ، ولأحوالِ المُغترين تاركاً ، وإيَّاكَ أنْ تكونَ كمَنْ لَعِبَتْ به دنياهُ ، ولم يَزْجُرْهُ عن غَيِّهِ خَوْفُ مَوْلاهُ ، ونَبَذَ المواعظَ[7] خَلْفَ ظَهْرِهِ ، واشتَغلَ بلَذَّةِ بَطْنِهِ وفَرْجِهِ . وإلى هذا الصِّنْفِ الإشارةُ بقوله[8] تعالى حِكايَةً عن [قوْمِ][9] هودٍ : ﴿سَواءٌ عَلَيْنا أوَعَظْتَ أمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الواعِظينَ﴾[10] . واجْتَهِدْ في سَلامَةِ دينِكَ فإنَّ بِسلامَتِهِ تَسْلَمُ . وإيَّاكَ أنْ تُضَيِّعَهُ فإنَّ بإضاعَتِهِ تَنْدَمُ ، ولا تكُنْ كقَوْمٍ بَسَطَ اللهُ لهم أيادِيَهُ فهم عاكِفون على مَعاصيه . وإلى هذا الصِّنْفِ الإشارةُ بقوله[11] تعالى : ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِنْ حَيْثُ لا يَعْلَمونَ﴾[12] . والاسْتِدْراجُ معناهُ في اللُّغَةِ : نأخُذُهُم[13] قَليلاً قليلاً وهم لا يَشْعُرونَ . وفي التفسيرِ : كُلَّما جَدَّدوا خطيئَةً جَدَّدْنا لَهُم نِعْمَةً وأنْسَيْناهُمُ الاسْتِغْفارَ . فافهَمْ ما أوْمَأْنا به إليك ، واشْكُرْ ما مَنَّ اللهُ به عليك[14] . وإنْ فُتِحَ لكَ بابُ خَيْرٍ فاغْتَنِمْهُ ، وإنْ نُهيتَ عن شَيْءٍ فاجْتَنِبْهُ ، ولا

---

1 ق ، ب : يستلذ .

2 ورد في هامش (م) : «لعلها الخُطَّيْف لأنها زاهدة في الحَب» . ـ والخطَّيْفُ أو الخُطَّافُ : طائر أسود يتخذ عشه في المساجد . وقد يُسمى «السُّنونو» كما جاء في المعجم الوسيط (مادة : خطف) . ـ وفي اللسان (مادة : خطف) : «وهو الذي تدعوه العامة عصفور الجنة . وجمعه : خطاطيف» .

3 ب : عن نهي .

4 ق : وتحديث .

5 ب : بسر قوله .

6 سورة القمر . الآية : 4 .

7 ب : الموعظة .

8 ب : بسر قوله .

9 الزيادة من ق ، ط ، ـ وفي م ، ب : عن قوم سوء .

10 سورة الشعراء : الآية : 136 .

11 ب : بسر قوله .

12 وردت هذه الآية في سورتين : سورة الأعراف . الآية : 182 وهي قوله تعالى : ﴿والّذينَ كَفَروا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون﴾ . ووردت في سورة القلم . الآية : 44 وهي قوله تعالى : ﴿فذرني ومن يكذب بهذا الحديث سنستدرجهم من حيث لا يعلمون﴾ .

13 في الأصل : يأخذهم . ـ وما أثبتناه من النسخ الأخرى .

14 ب : أشكر نعماً من الله بها إليك .

تَكُنْ كقَوْمٍ ذُكِّروا[1] فأَبَوْا ، وأُرْشِدُوا فنَأَوْا . وإليهم الإشارةُ بقوله تعالى : ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بآياتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْها ونَسِيَ ما قَدَّمَتْ يَداهُ﴾[2] وهَذِّبْ من الخيانةِ[3] باطِنَك ، ورُضْ بالصَّبْرِ [4] نَفْسَكَ التي بينَ جَوانِحِكَ[5] ، وإياكَ والكِبْرَ فاحْذَرْهُ ، وشَمِّرْ[6] ، ومتى رأَيْتَ في الناسِ شَرّاً[7] منك فأنتَ مُتَكَبِّرٌ . ولا تَكُنْ كَقَوْمٍ تكَبَّروا على مَنْ سِوَاهُم ونَأَوْا[8] عن سَيِّدِهِم ، ورَكِبوا ما عَنْهُ نَهاهُمْ . وإليهم الإشارَةُ بقوله تعالى[9] : ﴿أَلَيسَ في جَهَنَّمَ مَثْوىً للمُتَكَبِّرينَ﴾[10] .

واقْصُرْ[11] يا أخي أَمَلَكَ ، فإنَّكَ لا تَدْري متى أَجَلُكَ ، ولا تَكُنْ كَقَوْمٍ تَمَتَّعوا بِشَهَواتِهِمْ ، واغْتَرّوا بِطُولِ آمالِهِمْ ، ولَمْ يَشْعُروا[12] بفسادِ أَدْيانِهِم ، حتى جازَ عَلَيْهِم وَقْتُ وَفاتِهِمْ . وإليهم الإشارةُ بقوله تعالى : ﴿ذَرْهُمْ يأكُلوا ويَتَمَتَّعوا ويُلْهِهُمُ الأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمون﴾[13] .

وَزِنْ بِميزانِ العقلِ نُطْقَكَ[14] وعَمَلَكَ ، فإنَّ نُطْقَكَ وصَمْتَكَ ، وتِلاوتَكَ وحَرَكَتَكَ وسُكونَكَ[15] عَمَلٌ مِنْ أعمالِكَ ، مُحْصاةٍ عليكَ ، إمَّا لكَ وإما عليكَ . وإليهِ[16] الإشارة بقوله تعالى : ﴿وما تَكونُ في شَأْنٍ وما تَتْلو مِنْهُ مِنْ قُرآنٍ ولا تَعْمَلونَ مِنْ عَمَلٍ إلاَّ كُنّا عليْكُم شُهوداً إذْ تُفيضُونَ فيه﴾[17] . ولا تَعْتَقِدْ في صدْرِكَ[18] ، ولا يُكْتَبْ عليكَ في صحيفتِكَ ، في

---

1 ب : تذكروا . ــ تحريف .

2 سورة الكهف . الآية : 57 .

3 ب : من الخبائث .

4 راض نفسَه بالصبر يروضها إذا وطَّأها .

5 ب : جوانبك .

6 لم ترد هذه اللفظة في م .

7 لم ترد كلمة «شرا» في ب .

8 في الأصل : وبأوا . ــ تصحيف صوابه من ق ، ب .

9 ب : بسر قوله .

10 وردت هذه الآية ثلاث مرات في القرآن الكريم :
ــ سورة العنكبوت . الآية : 68 ؛ سورة الزمر . الآية : 32 ؛ سورة الزمر . الآية : 60 .

11 ب : واقصد . ــ وهو تحريف .

12 رواية ب . ــ وفي الأصل : ولا يشعروا . ــ تحريف . ــ وفي ق : ولا يشعرون .

13 سورة الحجر . الآية : 3 .

14 ب : لفظك .

15 ق : وسكناتك .

16 ق : وإليهم .

17 سورة يونس . الآية : 61 . ــ وقوله تعالى : ﴿إذ تُفيضون فيه﴾ لم يرد في الأصل . ــ وزيادته من النسخ الأخرى .

18 ب : صبرك .

لَيْلِكَ[1] ونـهارِكَ ، إلاَّ ما يَسُرُّكَ غداً ، وتَفْرَحُ له[2] أبداً ، فإنَّ كُلَّ ما عَمِلْتَ واعْتَقَدْتَ في دُنْياكَ ، يُنَبِّؤُكَ به غداً مَوْلاَكَ . وإليه الإشارة بقوله تعالى : ﴿إذا بُعْثِرَ ما في القُبورِ . وحُصِّلَ ما في الصُّدورِ . إنَّ رَبَّهُمْ بِهِم يَوْمَئِذٍ لَخَبيرٌ﴾[3] .

واحْذَرْ مَقامَكَ غداً بين يديْ اللهِ عز وجل[4] ، [فإنَّهُ][5] يَبْدو لكَ عَمَلُكَ ويُكَلِّمُكَ فتَراهُ وتَسْمَعُ كلامَهُ بلا حِجابٍ ولا تُرْجُمانٍ في عَرْصَةٍ يَرْشَحُ[6] فيها عَرَقُ جَبينِكَ ، ويُخْشَى[7] فيها على نَفْسِكَ من المهالِكِ حَنينُكَ[8] فيُعَرِّفُكَ نِعْمَتَهُ عليك فتَعْرِفُها ، ويُسْمِعُكَ ذُنوبَكَ فتسمعُها ، فيَقْشَعِرُّ مِنْ أجلِ ذلك جِلْدُكَ ، ويَتغَيَّرُ لونُكَ ، ويَطيرُ فَهْمُكَ[9] ، وتَرْعَدُ فَرائِصُكَ ، ولستَ تدري لأيِّ منزلٍ يَكونُ إليه انصِرافُكَ مِنْ بينِ يَدَيْهِ ولا مأوىً يَقِرُّ فيه قَرارُكَ ، وإليه الإشارةُ بقوله[10] تعالى : ﴿يومَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ ما عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً . وما عَمِلَتْ من سوءٍ تَوَدُّ لَوْ أنَّ بيْنَها وبَيْنَهُ أَمَداً بَعيداً . ويُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ﴾[11] . وكُفَّ نَفْسَكَ عن الظُّلْمِ فإنَّ المَظالِمَ تُرَدُّ على أهلها[12] فتَطلب[13] مِثْقالَ حَبَّةٍ من خَرْدَلٍ مِنَ التَّباعات[14] بين الخَلْقِ فلا تُوجَدُ[15] . فحينئذٍ يَسْتَقِرُّ أهْلُ الدَّارينِ في مَنازِلِهِم . وإليه[16] الإشارة بسر قوله تعالى : ﴿وإنْ كانَ مِثْقالَ حَبَّةٍ مِنْ

---

1 في الأصل : في ليلتك . ـ تحريف صوابه من النسخ الأخرى .

2 ب : به .

3 سورة العاديات . الآية 9 .

4 ب : بين يدي سيدك .

5 الزيادة من م ، ق ، ط .

6 ب : في عرصته يرتشحُ .

7 م ، ط ، ق : ويحق فيها على نفسك .

8 م : جبينك . ـ ط : ويحق فيها . ـ ق : ويحن فيها . ـ وهو تصحيف . ـ وقوله : «ويخشى فيها على نفسك من المهالك حنينك» لم يرد في ب .

9 قوله «ويطير فهمك» لم يرد في ق .

10 ق ، ب ، ط : بسر قوله تعالى .

11 سورة آل عمران . الآية : 30 .

12 في الأصل : ترد إلى أهلها . ـ وما أثبتناه من م ، ق ، ط . ـ وفي ب : ترد على أهلك .

13 رواية ب . ـ وفي ع ، ق ، ط : فيطلب . ـ وفي م : فإن المظالم ترد على أهلها فتُطْلَبُ (وردت الكلمة مشكولة في المخطوطة) .

14 ق : اتباعات . ـ والتباعة والتبعة : ما اتبعت به صاحبك من ظُلامة ونحوها ، أو ما فيه إثم يُتبع به . ـ اللسان : تبع .

15 ع ، ق : يوجد . ـ وما أثبتناه من م ، ب ، ط .

16 ب : وإليهم .

خَرْدَلٍ أتَيْنا بِها وكفى بِنا حاسِبِينَ﴾[1] .
وإيّاكَ أنْ تكونَ كَمَنْ رَسَخَ حُبُّ الدنيا في قَلْبِهِ حتى ذَهَبَ بنُورِ بَصيرَتِهِ[2] ولا تُلْقِ جِلْبابَ الحياءِ عن وَجْهِكَ ، وتأْكُلْ دُنياكَ بدينكَ[3] ، وتَقْتَحِمِ القبائحَ بعدَ العِلْمِ ، وتُغَلِّبْ شَهْوَتَكَ على عَقْلِكَ ، وجَهْلَكَ على عِلْمِكَ[4] ، وتَتَعَدَّ مِنَ الحُدودِ ما عَلِمْتَ . ولا يَرُدُّكَ عنْ شَهْوَتِكَ نَهْيٌ ، ولا يُبْعِدُكَ عن المَحارِمِ وَرَعٌ ، ولا يُؤخِّرْكَ[5] عن السَّمْعِ[6] صَمْتٌ . فلا بُدَّ لهذه الصفةِ المَذْمومَةِ من رِجالٍ يَحْمِلونَها ، وتكونُ لِطَبائِعِهِم موافِقَةً ، ولو قُطِّعَتْ أيديهِم وأرْجُلُهُم عليها ما تَرَكوها ، ولا يَجِدونَ لها بَدَلاً ، ولا يَبْغُونَ عنها حِوَلاً ، ولا لها عِوَضاً ، ولَوْ قُبِضُوا ورَأَوْا العِيانَ[7] ثُمَّ رُدُّوا لعادُوا لِما طُبِعوا عليه[8] . وإليه الإشارة بقوله تعالى : ﴿وَلَوْ رُدّوا لعادُوا لِما نُهُوا عَنْهُ . وإنَّهُمْ لَكاذِبونَ﴾[9] .
واعْلَمْ أنَّ الشَرَّ أنواعٌ مُخْتَلِفَةٌ ، وكُلُّ نَوْعٍ منها[10] مَطْبوعٌ مَمْزوجٌ بِطَبيعَةِ العَبْدِ كما يكونُ الصِّباغُ الأَسْوَدُ مطبوعاً ممزوجاً بالثَّوْبِ لا يُفارِقُهُ ما بَقِيَتْ مِنَ الثوبِ بقيةٌ ، ولو غُسِلَ ما نَفَعَهُ الماءُ بِشَيْءٍ ولو طالَ فيه[11] مُكْثُهُ . فإنَّ الطِّباعَ لا تَذْهَبُ إلاَّ بذَهابِ النفوسِ . وكذلك أَصْلُ الشَّرِّ إذا طُبِعَ في الطَّبيعَةِ . وكُلُّ ما طُبِعَ في العَبْدِ فَباقٍ فيه ، ولا زوالَ للطَّبيعَةِ إلاَّ بزَوالِ الجَسَدِ . ولِذَلِكَ قيلَ : كُلُّ طَبيعَةٍ دَخَلَتْ باللَّبَنِ ، مع الروحِ تَخْرُجُ . واعْتَبِرْ ما ذَكَرتُ لكَ في أَرْذَلِ الخَلْقِ تَجِدْهُ كما ذَكَرْتُ لك ، فإنَّ فِعْلَ القبائحِ[12] يَزولُ إذا لم يَكُنْ مَطْبوعاً في الطبيعَةِ ، وإنْ كانَ مَطْبوعاً فيها[13] فلا زوالَ لَهُ إلاَّ بالمَوْتِ . فإنَّ الجَسَدَ والروحَ والنَّفْسَ والطَّبيعَةَ أساسُ العَبْدِ ، ولا يَفْتَرِقُ[14]

1 سورة الأنبياء : الآية : 47 .
2 ب : حتى أذهب نور بصيرته .
3 في الأصل : ولا تأكل دنياك دينك . ـ وما أثبتناه من النسخ الأخرى .
4 ب : شهوتك على قلبك وجهلك على فهمك .
5 ب : ولا يجزرك .
6 ب : السجع . ـ وهو تحريف .
7 العيان : مصدر عاين يعاين إذا رأى رأي العين .
8 ق : طبعوا به .
9 سورة الأنعام . الآية : 28 .
10 ب : منه .
11 لم ترد الكلمة في ق ، ط .
12 ب : الفعل القبيح .
13 رواية ق ، ب . ـ وفي الأصل : مطبوعاً في الطبيعة .
14 في الأصل : ولا يفارق . ـ تحريف صوابه من النسخ الأخرى .

واحدٌ مِنها[1] عن صاحبِهِ إلاّ بالمَوْتِ . فإنَّ الطَّبيعَةَ مِثْلُ المَزْرَعَةِ[2] ، وكُلُّ أرْضٍ تُنْبِتُ ما زُرِعَ فيها [مِنْ خَيْرٍ أو شَرٍّ][3] . وإليه الإشارةُ بقوله تعالى : ﴿والبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَباتُهُ بإذْنِ رَبِّه . والذي خَبُثَ لا يَخْرُجُ إلاَّ نَكِداً﴾[4] .

واعْلَمْ أنَّ اللهَ يَرْزُقُ البَرَّ والفاجِرَ ، فما رُزِقْتَ من نِعْمَةٍ فاشْكُرْها ، ولا تُغَيِّرْ نِعَمَ اللهِ بِمَعاصيهِ ، فإنَّ شرَّ الرِّجالِ مَنْ يَمُنُّ اللهُ عز وجل عليه بِما يُحِبُّ وهو مُقيمٌ على مَعاصيه ، ويَفرَحُ بِما يَبْسُطُ[5] لهُ مِنَ النِّعَمِ ، ولا تَزْجُرُهُ تَذْكِرَةٌ[6] عن معصيةِ اللهِ تعالى . وإليه الإشارة بقوله تعالى : ﴿فلمَّا نَسُوا ما ذُكِّرُوا به فَتَحْنا عليهم أبوابَ كُلِّ شيْءٍ حتى إذا فَرِحُوا بِما أُوتُوا أخَذْناهم بَغْتَةً فإذا هم مُبْلِسُونَ﴾[7] .

وإياكَ أنْ تُصِمَّ بِشَهْوتِكَ في الدُّنيا[8] سَمْعَ قَلْبِكَ عن المواعِظِ ، فإنَّ الانْكِبابَ على الحَظِّ العاجِلِ ، وقَبولَ القَلْبِ على الفاني ، ونَأْيَهُ عن الإنذارِ[9] دليلٌ على قَحْطِ القلبِ مِنَ الجَلالِ[10] والعَظَمَةِ . وإليه الإشارة بقوله تعالى : ﴿ولا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعاءَ إذا ما يُنْذَرونَ﴾[11] .

وإياك أنْ تكونَ إرادَةُ قَلْبِكَ تَبَعاً لشهْوَةِ نَفْسِكَ ، وتَكونَ دُنْياكَ أَحَبَّ إليكَ مِنْ آخِرَتِكَ ، وقَلْبُكَ مِنْ ذِكْرِ مَوْلاكَ خالياً مُعرضاً فإنّها مِنْ صِفَةِ المُهلَكينَ . وإليه الإشارةُ بِقوله[12] تعالى : ﴿فأعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عنْ ذِكْرِنا ولم يُرِدْ إلاَّ الحَياةَ الدنيا . ذلك مَبْلَغُهُم مِنَ العِلْمِ﴾[13] .

وطَهِّرْ قَلْبَكَ من الأدْناسِ فإنَّهُ مَوْضِعُ نَظَرِ اللهِ تعالى . فإيّاكَ أنْ يَرى فيهِ مِنَ الاعتقادات [الخبيثةِ][14] شيئاً ، وطَهِّرْهُ مِنَ القَسْوَةِ والحسدِ والكِبْرِ وحُبِّ الجاهِ والشرَفِ ، وحُبِّ المَنْزِلَةِ

---

1 ب : منهم .

2 ب : مثل الأرض المزروعة .

3 الزيادة من م ، ق ، ب ، ط .

4 سورة الأعراف . الآية : 58 .

5 ب : أبسط .

6 ب : ولا تجزره معصية .

7 سورة الأنعام . الآية : 44 .

8 ق : بشهواتك . ـ وفي ب : أن تصم بشهوات الدنيا سمع قلبك .

9 ب : الإقرار .

10 ق : الحلال . ـ تصحيف .

11 سورة الأنبياء . الآية : 45 .

12 ب : الإشارة بسر قوله .

13 سورة النجم . الآيتان : 29–30 .

14 الزيادة من م ، ق ، ب ، ط .

عند الناسِ ، وطُول الأمَلِ ، والفرَحِ بالعـاجِلِ ، والغَضَبِ وحَمِيَّةِ الجاهليَّةِ . فإنَّ هذه صِفَاتٌ[1] تُبعِدُ العَبْدَ عن القُرْبِ مِنَ اللهِ تعالى[2] ، والعبْدُ مسؤولٌ عنها ، ومأْخُوذٌ بِها ، وهِي حرامٌ كالمِيتَةِ . وإليه الإشارة بقوله تعالى : ﴿إنَّ السَّمْعَ والبَصَرَ والفُؤادَ كُلُّ أولئك كان عنه مَسْؤُولاً﴾[3] .

ولا تكُنْ عبادَتُـكَ مُرتبطةً بالحَظِّ العاجلِ ، إنْ وَجَدْتَ دنياكَ عَبَدْتَ مَوْلاكَ ، وإنْ زُوِيتْ عَنْكَ[4] انقلَبْتَ على عَقِبِكَ . ومتى تَلَقَّتْكَ[5] الزلازِلُ والمِحَنُ ، وصَدَّتْكَ عن دِينِكَ فلسْتَ بصادِقٍ في عِبادَتِكَ . وإليه الإشارَةُ بقوله تعالى : ﴿ومِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ على حَرْفٍ فإنْ أصابَهُ خَيْرٌ اطْمَأنَّ به ، وإنْ أصابَتْهُ فتنَةٌ انقلَبَ على وَجْهِهِ خَسِرَ الدنيا والآخرة . ذلك هو الخُسْرانُ المُبين﴾[6] .

وإياكَ أن تعتقِدَ في الناسِ شَرّاً منكَ[7] وإنْ كان عاصياً وأنت مُطِيعٌ ، فإنَّ الأمْرَ يَحْدُثُ بعد الأمْرِ ، وسِرُّ اللهِ تعالى في خلقِهِ غامِضٌ ، والشقاوَةُ والسعادةُ[8] خَفِيَّتان لا يُدْرَى مَنْ يَبُوءُ بالشَقاوةِ ولا مَنْ يفوزُ بالسعادَةِ . وقد يَتَلقَّى العبدُ رِضَى اللهِ [تعالى][9] بحَسَنَةٍ واحِدَةٍ ، ويَتَلَقَّى سُخْطَهُ بذَنْبٍ واحدٍ ، ولا يَدْري أحَدٌ مَنْ تُصيبُهُ رَحْمةُ اللهِ ولا مَنْ يُصيبُهُ غَضَبُهُ . فإنَّ أمْرَ الخَلْقِ خَفِيٌّ في غُموضِ المشيئةِ . وإليه الإشارة بقوله تعالى : ﴿يَغْفِرُ لِمَنْ يشاءُ ويُعَذِّبُ مَنْ يَشاءُ وكانَ اللهُ غفوراً رحيماً﴾[10] . وكن لِهَمِّ قلبك راعياً ، وزِنْهُ[11] بِميزانِ العقلِ ، فإنْ عَرَضَ لك أمرٌ تَهْواهُ نَفسُكَ مِنْ مَحْظورٍ فزِنْ بعقلِكَ مَقامَ الأمرِ الذي عَرَضَ لك ، ومَقامَ اللهِ عز وجل على قلبِكَ ، فإنْ كان مقامُ اللهِ عز وجل أهَمَّ إليكَ فذلك هو المطلوبُ والمرغوبُ ، وإن كانَ الأمْرُ الذي عَرَضَ لكَ أهمَّ إلَيْكَ فذلك هو العمى والبُعْدُ عن اللهِ عز وجل . وإليه الإشارة بقوله تعالى : ﴿فأمَّا مَنْ طَغَى وآثَرَ الحَياةَ الدنيا فإنَّ الجحيمَ هي المَأْوَى ، وأمَّا مَنْ خافَ مَقامَ

---

1 ع ، م : صفة . ــ وما أثبتناه من ق ، ب ، ط .

2 ب : صفات تعقب البعد من الله عز وجل .

3 سورة الإسراء . الآية : 36 .

4 زوي عنه الشيء : صُرِف عنه .

5 ب : ثقلتك .

6 سورة الحج . الآية : 11 . وقوله تعالى : ﴿ذلك هو الخسران المبين﴾ لم يرد في ع ، ق ، ط . ــ وزيادته من ب .

7 أي : أن تعتقد أن يوجد في الناس من هو أكثر منك شرّاً .

8 ب : والسعادة والشقاوة .

9 الزيادة من ب .

10 سورة الفتح . الآية : 14 . وقوله تعالى : ﴿وكان الله غفوراً رحيماً﴾ لم يرد في ع ، ق ، ط. وزيادته من م ، ب .

11 ب : وزنهم . ــ تحريف .

رَبِّه ونَهى النَّفْسَ عن الهَوى فإنَّ الجنَّةَ هي المَأْوَى﴾[1].

وإياك ومُحقَّراتِ الذنوبِ فإنَّ نسبةَ العذابِ إلى الذُّنوبِ كنِسْبةِ السُّمِّ لأفواهِ الأفاعي[2]. والعبدُ إذا أذْنَبَ ذنباً يُساوي ذَرَّةً فلا مَخْرَجَ[3] له منه إلاّ بالعَفْوِ أو النّارِ. وحُقْرَةُ الذَّنْبِ[4] الذي يَجِبُ العذابُ من أجلِهِ جَهْلٌ وحماقَةٌ، فإنَّ اللهَ عز وجل لم يُحَقِّرِ الذنبَ الدَّقيقَ حينَ قَدَّرَهُ عليك في الأزلِ، وإنما قَدَّرَهُ لأحدِ أمْرَيْنِ: إمّا لِمَغْفِرَةٍ تَمْحوهُ عنكَ ويَظْهَرُ الفَضْلُ، وإما لعُقوبَةٍ تُصيبُكَ ويَظْهَرُ العدلُ. فكُلُّ ذنبٍ عملْتَهُ مكتوبٌ مَوْجودٌ، والسَّلامَةُ منه مجهولَةٌ. وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ شراً يَرَهُ﴾[5].

وابتغِ بقِراءَتِكَ كِتابَ اللهِ تعالى وَجْهَ اللهِ عز وجل، ولا تَكُنْ مُجادِلاً بشيءٍ مِنْ معانيهِ، ولْيَكُنْ عَمَلُكَ تبعاً لِتِلاوَتِكَ فإنَّ تِلاوَةَ التّالي أحْسَنُ شيءٍ سَمِعَهُ السّامِعونَ. وفي تِلاوةِ القرآنِ مع تَرْكِ الاستقامَةِ وتَعَدّي الحُدودِ قُبْحٌ عَظيمٌ. وقدْ رُوِيَ عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ أنَّهُ قال: «يَخْرُجُ في آخرِ الزَّمانِ قَوْمٌ أحْداثُ الأسْنانِ، سُفَهاءُ الأحْلامِ، يَقْرَؤُونَ القُرآنَ لا يُجاوِزُ تَراقِيَهُمْ[6]، يَقُولونَ مِنْ قَوْلِ خيرِ البَرِيَّةِ، يَمْرُقونَ مِن الدِّينِ كما يَمْرُقُ السَّهْمُ من الرَّمِيَّةِ»[7] وهذا حديثٌ صحيح رواه البخاري ومسلم و الترمذي. وإياكَ أنْ يكون قَلْبُكَ خالياً من عظمَةِ مَوْلاكَ وجَلالِهِ ومَعْرِفَتِهِ، فإنَّ نورَ المَعْرِفَةِ يُحْرِقُ حُبَّ الدُّنْيا من القُلوبِ، وعَظَمَةُ اللهِ عز وجلَّ إذا حَلَّتْ في قَلْبِ عَبْدٍ[8] أورَثَتْهُ الحَياةَ[9] والهَيْبَةَ. ومَنْ لم يَعْرِفْ مَوْلاهُ عَظُمَتْ دنياهُ في قَلْبِهِ. وقد رُوِيَ أنَّ اللهَ

---

1 سورة النازعات. الآيات: 37–40. ـ وقوله تعالى: ﴿وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى﴾ لم يرد في ع، ق، ط. ـ وزيادته من م، ب.

2 في الأصل: إلى أفواه. ـ وما أثبتناه من م، ق، ب. ـ وفي ط: فإن نسبة العذاب كنسبة إلى الذنوب السم لأفواه الأفاعي. ـ تحريف.

3 في الأصل: فلا يخرج له منه. ـ تحريف صوابه من النسخ الأخرى.

4 في الأصل: ومحقرات الذي يجب. ـ وهو تحريف صوابه من النسخ الأخرى. ـ وحقرة الذنب: تحقيره وتصغيره.

5 سورة الزلزلة: الآيتان: 7–8. وقوله تعالى: ﴿ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾ لم يرد في ع، ط، ق. ـ وزيادته من م، ب.

6 التراقي جمع الترقوة وهي عظمة مشرفة بين ثُغرة النّحر والعاتق. وبلغت الروح التراقي كناية عن الإشراف عن الموت.

7 المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي 453/1.

8 ب: العبد.

9 ق: الحيا.

عز وجل يُمْسِكُ السماواتِ على أُصْبُعٍ ، والأرضَ[1] على أُصْبُعٍ ، والماءَ والثَّرى على أصبُعٍ ، والجبالَ والبحرَ على أصبعٍ[2] ثم يَهُزُّهُنَّ ويَقول : أنا المَلِكُ أنا المَلِكُ . فضَحِكَ رسول الله ﷺ ثم قرَأَ : ﴿وما قَدَرُوا الله حقَّ قَدْرِهِ﴾[3] . وفي الحديث قصة لم نَستكْمِلْها . وهذا حَديثٌ[4] صحيحٌ رواه البخاريُّ[5] ومُسْلِمٌ والتِّرْمِذِيُّ : لا يَبْعُدُ حَمْلُ الأصابع على مَلَكٍ مِنَ الملائكةِ العظامِ الجسامِ يُمْسِكُ على أصابِعِهِ السماواتِ والأرضَ[6] والجبالَ والشجرَ والماءَ والثَّرى ثم يَهُزُّهُنَّ فيُضافُ ذلك إلى الله عز وجل إضَافَةَ مِلْكٍ .

وكُنْ يا أخي حَزيناً ما دُمْتَ حَيّاً ، فإنَّ أمْرَكَ مَجهولٌ ولسْتَ تَدْري بِمَا يُخْتَمُ لَكَ ، وقد سَبَقَتْ فيكَ إرادَةُ الله تعالى[7] ، ولستَ تَدْري ما يُرادُ بك[8] . قالَ عبد الله بن عَمرو بنُ العاص[9] : خَرَجَ علينا رسول الله ﷺ وفي يَدِهِ كتابان ، فقال : أتَدْرون ما هذان الكتابان ؟ فقُلْنا[10] : يا رسول الله لا ، إلاَّ أنْ تُخبِرَنا[11] . فقال لِلَّذي في يَدِهِ اليُمْنى : هذا كِتابٌ مِنْ ربِّ العالَمينَ فيه أسْماءُ أهْلِ الجَنَّةِ وأسماءُ آبائهم وقبائِلِهم . ثم أجْمَلَ[12] على آخرهم فلا يُزادُ فيهم ولا يُنْقصُ منهم

---

1 ب : والأرضين .

2 قوله : «والماء والثرى على أصبع والجبال والبحر على أصبع» لم يرد في (ب) .

3 وردت هذه الآية ثلاث مرات في القرآن الكريم :
ـ في سورة الأنعام . الآية 91 : ﴿وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء﴾ .
ـ وفي سورة الحج . الآية 74 : ﴿ما قدروا الله حق قدره إن الله لقوي عزيز﴾ .
ـ وفي سورة الزمر . الآية 67 : ﴿وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه . سبحانه وتعالى عما يشركون﴾ .

4 المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي 64/1 .

5 ورد في صحيح البخاري (كتاب التوحيد) : «أن يهودياً جاء إلى النبي ﷺ فقال : يا محمد ، إن الله يمسك السماوات على أصبع ، والأرضين على أصبع ، والجبال على أصبع ، والشجر على أصبع ، والخلائق على أصبع ، ثم يقول : أنا الملك . فضحك رسول الله ﷺ تعجبا وتصديقاً له» . ـ وقيل : «جاء رجل إلى النبي ﷺ من أهل الكتاب فقال : يا أبا القاسم إن الله يمسك . . .» .

6 ب : والأرضين .

7 قوله : «ولست تدري . . . إرادة الله تعالى» لم يرد في ق .

8 في الأصل : بم يراد بك . ـ تحريف صوابه من النسخ الأخرى .

9 عبد الله بن عمرو بن العاص القرشي : صحابي ، من النساك ، كان يكتب في الجاهلية وكان يشهد الحروب والغزوات . امتنع من مبايعة يزيد بن معاوية ، وانقطع للعبادة حتى توفي سنة 65هـ الأعلام : 111/4 .

10 في الأصل : فقلت . ـ وما أثبتناه من النسخ الأخرى .

11 ب : فقلنا : لا يا رسول الله إلا أن تخبرنا .

12 في الأصل : أجمع . ـ وهو تحريف صوابه من النسخ الأخرى .

أبداً . ثم قال لِلّذي في شِمالِهِ : هذا كِتابٌ من رَبِّ العالمين فيه أسماءُ أهل النارِ وأسماءُ آبائِهم وقبائِلِهم ثم أجْمَلَ على آخرهم فلا يُزادُ فيهم ولا يُنْقصُ منهم أبداً[1] . فقال أصحابُهُ : فَفيمَ العَمَلُ يا رسول الله [إنْ كان][2] أمْرٌ قد فُرِغَ منه ؟ فقال : سَدِّدُوا وقارِبُوا فإنَّ صاحبَ الجَنَّةِ يُخْتَمُ لَهُ بِعَمَلِ أهلِ الجنةِ وإنْ عَمِلَ أي عَمَلٍ . وإنَّ صاحبَ النَّارِ يُخْتَمُ لَهُ بعمل أهل النار وإنْ عَمِلَ أي عَمَلٍ[3] . ثم قال : فَرَغَ ربكم من العباد ﴿فَريقٌ في الجنة وفريقٌ في السَّعير﴾[4] . وهذا حديثٌ صحيح رواه الترمذي[5] .

فَرِّضْ[6] نفسَكَ أيُّها المسكينُ وهَذِّبْها من دناءَةِ الأخلاقِ لعلك تَجدُ إلى النجاةِ سبيلاً ، لكِنْ لا تَصلحُ الرياضَةُ والتهْذيبُ إلاّ بوجود الأدبِ والتسديدِ . والأدبُ مُطَّرِدٌ في[7] ثلاثةِ أوجهٍ : أدبٌ مع النَّفسِ وأدَبٌ مع الخَلْقِ وأدبٌ مع الحَقِّ سُبْحانَه . ـ فأدَبُ النفسِ حَبْسُها عن المعصيةِ بلجامِ الصَّبْرِ ، وتَسْريحُ عِنانِها إلى الطَّاعةِ بِنَسيم[8] الخَشْيَةِ ، وقَطْعُ لِسانِها عن التسَخُّطِ[9] على مَرارةِ القَدَرِ بالْتِذاذ موافَقَةِ إرادةِ السَّيِّدِ . ـ والأدَبُ مع الخلْقِ أنْ تكونَ لَهم كما تُحِبُّ أن يَكونُوا[10] لك مع التَّجافي عن مَساوِئِهِم . ـ والأدبُ مع الحَقِّ سُبْحانه طَلَبُ مَرْضاتِهِ ولو بِسُخْطِ خَلْقِهِ .

فصل [ما يتفرَّع من الأدب مع النفس]

ويَتفرَّعُ مِنَ الأدبِ[11] مع النَّفْسِ قِصَرُ الأمَلِ بِخَوْفِ نُزولِ المَوْتِ بَغْتَةً ، ورُؤْيةُ اقترابِ الأجَلِ ، والتَفَكُّرُ في سُرْعَةِ فَقْدِ مَنْ مَضَى ، وكَيْفَ كانَ الفَناءُ مُطَّرِداً في مَحْقِ الأُمَمِ[12] .

---

1 قوله : «ثم قال للذي في شماله . . . ولا ينقص منهم أبداً» لم يرد في ق .

2 الزيادة من م ، ق ، ب ، ط .

3 رواية ب . ـ وفي ط ، ق : فإن أصحاب الجنة يختم لهم بعمل أهل الجنة وإن عمل أي عمل ، وإن أصحاب النار يختم لهم بعمل أهل النار وإن عمل أي عمل .

4 سورة الشورى . الآية : 7 .

5 الترمذي : قدر 8 ، وأحمد 167/2 .

6 ع ، ق ، ط : فريض . ـ تحريف صوابه من م ، ب . ـ وراض نفسه يروضها على الشيء إذا وطنها عليه .

7 ب : على .

8 ب : بنسيج . ـ تحريف .

9 ب : السخط .

10 ب ، ق : أن يكون . ـ تحريف .

11 م : ويتفرد الأدب . ـ تحريف .

12 ع ، م ، ق : في محو الاسم . ـ تحريف صوابه من ب ، ط .

ويتَفَرَّعُ من الأدبِ مع النَّفسِ أيْضاً[1] حَبْسُها في سِجْنِ القناعَةِ وغَلْقُ البابِ عَليها بِقُفْلِ[2] العِفَّةِ ، وقَطْعُ تَهْويساتِ الطَّمَعِ والحِرْصِ[3] ، والرِّضى بالقِسْمَةِ السابقَةِ في الأزَلِ[4] بِوُجودِ السُّكونِ والصِّدْقِ والطُّمأنينةِ[5] عِنْدَ فَقْدِ الرِّزْقِ وظُهورِ المَخاوِفِ .

ومِنْ شُروطِ القناعَةِ أيضاً قِلَّةُ الغَذاءِ مع وُجودِهِ[6] مع صَرْفِ الهِمَّةِ عن الإكثارِ مِنَ الاسْتِمْتاعِ بالمَطْعَمِ[7] والمَلْبَسِ والوِقاعِ[8] إلا بعدَ مَسِّ الحاجةِ إليه .

ومِنْ شُروطِ القناعَةِ أيضاً إصانَةُ الفقْرِ بكِتْمانِ الشِّدَّةِ ، وقَطْعُ الشكايَةِ مع التَّهاوُنِ بالدنيا في أكثَرِ أوقاتِ العُمْرِ ، واتِّخاذُ الفقْرِ حِرْفَةً مع وُجودِ السُّرورِ به ، وفَقْدُ النُّفورِ عَنْهُ كما قيلَ : إذا رأيْتَ الفقرَ مُقْبِلاً فقُلْ مرحباً بشِعارِ الصالِحينَ ، وإذا رأيتَ الغِنى مُقْبِلاً فقُلْ : ذَنْبٌ عُجِّلَتْ عُقوبَتُهُ .

ومِنْ شروطِ القناعَةِ أيضاً الاقْتِصارُ على قُوَّةِ القَلْبِ مِنَ اللهِ عز وجل ، والالْتِذاذُ بإجالَةِ الوَهْمِ في عَظَمَتِهِ وجَلالِهِ ، وصَرْفُ الهِمَّةِ عمَّنْ سواه ، والصَّوْمُ عن كُلِّ مَلْذوذٍ إلاّ لَذَّةَ الفرحِ ، والاشْتِياقُ للوصولِ إلى النظرِ لِوَجْهِ اللهِ[9] الكريمِ إلاَّ ما يَضْطَرُّ العبدُ إليهِ ، ولا يَسَعُهُ الغَناءُ عنه مِمّا لا تَسْتَبِدُّ منه طَبائِعُ البَشَريةِ مِنْ مَطْعَمٍ ومَلْبَسٍ [ومَشْرَبٍ][10] وما أشْبَهَهُ بعد ما تَمَسُّ الضرورةُ إليه كما تَمَسُّ إلى أكلِ المِيتَةِ .

ويَتَفَرَّعُ مِنَ الأدبِ مع النَّفْسِ أيْضاً اطِّلاعُ نَظَرِ البَصيرَةِ على عُيوبِ النَّفْسِ وذَبيبِ ضميرِها إلى الخيانَةِ . فإنَّ القلْبَ هو بَيْتٌ[11] فيه جواهِرُ ويَواقيتُ رفيعةٌ نَفيسَةٌ ، والعقلُ رَبُّ البيتِ ، والنَّفْسُ أيضاً[12] ربَّةُ البيتِ . فإذا غفَلَ رَبُّ البيتِ عن البيتِ سَرَقَتْ ربَّةُ البيتِ المَتاعَ ، فلا أمانَ ولا راحَةَ لِرَبِّ البَيْتِ مِنْ أجلِ خيانةِ رَبَّةِ البيتِ . فإذا كانَ السَّارِقُ مِنَ

---

1 لم ترد هذه اللفظة في ق .

2 ب : بقفال .

3 ب : الطمع و المحرم .

4 ب : في الأجل . ـ وهو تحريف .

5 ب : بوجود السكون والهدى وطمأنينية (كذا) .

6 م ، ب : بعد وجوده .

7 ع : بالمطمع . ـ ب : في المطمع . ـ وكلاهما تحريف صوابه من النسخ الأخرى .

8 الوقاع : الجماع . ـ وهو مصدر واقع ، يُواقع ، مواقعة ، ووِقاعاً .

9 ب : لوجهه .

10 الزيادة من ق ، ب ، ط .

11 ب : فإن القلب بيت .

12 لم ترد لفظة «أيضاً» في ب .

أهلِ البَيْتِ تواعَرت[1] حِراسَتُهُ ولا سيما إذا كان السَّارِقُ مَحْبوباً لا يُسْتطاعُ[2] فِراقُهُ .

فصل [ما يتفرّع من الأدب مع الخلق]

ويَتَفَرَّعُ من الأدبِ مع الخَلْقِ تَساوي نَفْسِكَ وأهلك وولدك مع الخلق في الحقِّ عند وُرودِ مَرارةِ أحْكامِ الحقِّ ولو كان مُرّاً لا يُوافِقُ طَبائعَ النُفوسِ . وهذهِ دقيقةٌ صَعْبَةٌ تَنفُرُ منها النفوسُ ويَعْجِزُ عنها الرِّجالُ ، لا يَقْتَحِمُها ولا يَذْعَنُ لها إلاَّ مَشايخُ العارفين[3] ، ولا يَلْتَذُّ بِها ولا يَسْتَظِلُّ بظِلِّها إلاّ وَليٌّ أو رُوحانيٌّ أو صِدِّيقٌ . فإنَّ إنزالَ النَّفْسِ والأهلِ والوَلَدِ[4] مع الخَلْقِ في الحق بمَنْزلَةٍ[5] واحِدَةٍ بوُجودِ لَذَّةِ التَسْوِيَةِ ، مِنْ أفْعالِ المُقَرَّبينَ . وفي فَقْدِ تَسْوِيَةِ النَّفْسِ والأهلِ والوَلَدِ مع الخَلْقِ في الحق نَقْصٌ في حَقِّ الصَّفِيِّ[6] والولي والصِّدِّيقِ ، كما قيل إنَّ نوحاً عليه السلام لَمَّا أشرفَ ابنه على الغَرَق[7] قال[8] : ﴿ربِّ إنَّ ابني مِنْ أهلِي﴾ ، فأوحى اللّٰه عز وجل إليه : «خَصَصْتَ وَلَدَكَ دونَ سائرِ عِبادي ، وابْنُكَ واحِدٌ مِنهم ، ﴿إني أَعِظُكَ أنْ تكونَ مِنَ الجاهلينَ﴾[9] » في أنْ تَقْضيَ[10] حقَّكَ على الخُصوصِ وتُهْمِلَ حُقوقَ عِبادي بأجْمَعِهم .

انظُرْ أيُّها المسكينُ إلى نوح عليه السلام ، وهو من الصَّفْوَةِ وأولِي[11] العَزْمِ من الرُّسُلِ ، نَصَحَ اللّٰه[12] عز وجل في خَلْقِهِ ، واحْتَمَلَ أذاهم ، وحَرَصَ على هُداهم أَلفَ سنةٍ إلاَّ خَمْسينَ

---

1 ب : توعدت .

2 ب : لا يستطيع .

3 ب : لا يدعي عنها لها إلا مشايخ العارفين . ـ تحريف .

4 ب : والأولاد .

5 ب : منزلة .

6 رواية ع ، م : الصفي . ـ وفي ق ، ب ، ط : الصوفي .

7 ب : على الهلك والغرق .

8 في الأصل : وقال . ـ تحريف صوابه من النسخ الأخرى .

9 قال تعالى : ﴿ونادى نوحٌ ربه فقال : ربِّ إنَّ ابني من أهلي وإنَّ وَعْدَكَ الحقُّ . وأنتَ أحْكَمُ الحاكِمينَ . قال يا نوحُ إنه ليس من أهلكَ . إنَّهُ عملٌ غير صالح . فلا تَسْأَلْني ما ليس لك به علم إني أعظك . أن تكون من الجاهلين . قال ربِّ إني أعوذُ بك أن أسألَكَ ما ليس لي به علم وإلا تغفر لي وترحمني أكنْ من الخاسرين﴾ . ـ سورة هود . الآيتان : 45–46 .

10 في الأصل : في أن تقض . ـ وفي ب : فإن تقتضي . ـ م : في أن تقتضي . ـ وما أثبتناه من ق ، ط .

11 ب : وهو من الصفة وأولو . ـ تحريف .

12 كذا في ع ، م ، ق ، ط . ـ وفي ب : نصيحة الله .

عاماً[1] ثمَّ قال[2] ﴿إنَّ ابني مِنْ أهلي﴾ فَعُوتِبَ عليه فأبْكاهُ ذلك أربعين سنةً فيما قيلَ . فلمَّا اشتدَّ عليه كَرْبُ ذلك قال ﴿وإلاَّ تغفِرْ لي وتَرْحَمْني أكُنْ من الخاسِرينَ﴾ . لَعَمْرُكَ ما تَحَقَّقَ أَهْلُ الحَقِّ بالحقِّ حتى عَذُبَ عندَهم مَذاقُ مَرارَةِ أحكامِ الحقِّ ولم يَرَوْا في الوجودِ إلاَّ اللهَ وأفعاله[3] . وذلكَ مِنْ شِيَمِ[4] مَشايخِ العارفينَ .

ويَتفرَّعُ مِنَ الأدبِ مع الخَلْقِ أيضاً طَرْحُ ما يُسْتَقْبَحُ من أخْلاقِهِم عن أخلاقِكَ ، والاقْتِداءُ بأهلِ العِلْمِ والبَصائِرِ مِنْهم ، وليس كلُّ عالِمٍ يُقْتَدى به ، فإنَّ العُلَماءَ على ضَربينِ ، ضربٌ أوَّلٌ : عالِمٌ صحيحُ القلبِ سالِمُ البَصيرةِ والبَصرِ[5] مِنْ غِشاوَةِ حُبِّ الدنيا ، مُسْتَغْرِقٌ في حُبِّ الدَّارِ الآخِرَةِ ، مُنَزَّهُ النَّفْسِ[6] عن دناءَةِ الأخلاقِ ، مُسْتَخِفٌّ بالدنيا في أكْثَرِ أوقاتِه ، هارِبٌ مِنَ المَحارمِ والشُّبُهاتِ ، مُسْتَظِلٌّ بظلِّ الورعِ . فهذا صِنْفٌ واجِبٌ اتباعُهُ والاقتداءُ به . ــ وضربٌ [ثانٍ][7] : عالِمٌ[8] باللسانِ ، جاهلٌ بالقلبِ والجَنانِ[9] .

ومِنْ شروطِ جَهْلِ القلبِ الرَّغْبَةُ في الدنيا ، والتَّكالُبُ عليها ، والاسْتِكْثارُ من جمْعِها ، واستغراقُ القلبِ في تدبيرِها ، وانصرافُ الهِمَّةِ[10] إليها .

ومِنْ شُروطِ جَهْلِ قَلْبِ العالِمِ[11] الغَيْرَةُ على العِلْمِ ، واستجلابُ الحِيَلِ التي تُظْهِرُ جاهَهُ[12] عند الخَلْقِ مِنْ أجْلِها مِثْلَ كَثْرَةِ الكلامِ بالعِلْمِ على وَجْهِ اسْتِجْلابِ الجاهِ والشَّرَفِ مع صُحْبَةِ فسادِ النِّيَّةِ وخُبْثِ السَّريرةِ . وقد كان مَنْ مَضَى مِنْ السَّلَفِ الصَّالحِ إذا اشتهى الكلامَ بالعِلْمِ أمْسَكَ عنِ الكلامِ به حَذَراً مِنْ دقائقِ العِلَلِ المشينةِ للنيةِ والصِّدْقِ والإخلاصِ . وإذا لم يَشْتهِ الكلامَ بالعِلْمِ تكلَّمَ به لأنَّ الحِرصَ على الكلامِ بالعِلْمِ دليلٌ على خيانَةِ النَّفْسِ وخُبْثِ السريرةِ لأنَّ الكلامَ بالعِلْمِ لا

---

1 هذه إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومِهِ فلبِثَ فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً فأخذَهم طوفانُ وهم ظالمون﴾ سورة العنكبوت . الآية : 14 .

2 لم ترد الكلمة في ط .

3 ب : ولم يرى (كذا) في الوجود إلا الحق سبحانه .

4 ب : من شيخ . ــ وهو تحريف .

5 ب : سالمة بصيرتُك . ــ تحريف .

6 ب : منزه عن النفس . ــ تحريف .

7 الزيادة من م ، ق ، ب ، ط .

8 ب : وضرب ثان ضرب عالم .

9 لم ترد لفظة : «والجنان» في ب .

10 ب : الهمم .

11 ب : القلب العالم .

12 ق : تطهر . ــ تصحيف . ــ وفي ب : واستجلاب الحيل الذي يظهر جاهه . ــ تحريف .

يخلو مِنْ وجهين : إمَّا أنْ يَكونَ سالماً مِنْ سوءِ الاعتقادِ[1] ودقائقِ العِلَلِ الشَّائِنَةِ[2] للعِلْمِ . ـ وإمَّا أنْ يَكونَ مَبْنياً على قاعِدَةٍ مُعْتَلَّةٍ مَشُوبةٍ بِحُبِّ اسْتِجْلابِ قُلوبِ النَّاسِ واستِمالَةِ وُجوهِهِم نَحوَ المُتَكلِّم ، طَلَباً منه لِحُبِّ[3] الجاهِ والشرَفِ وعُلُوِّ المَنْزِلَةِ . وهذانِ الوجهانِ مُطَّرِدانِ في جميعِ الأعمالِ لأنَّ العمَلَ شِبْهُ بضاعةٍ حَمَلَها رجُلٌ في طريقِ مَفازَةٍ[4] ذاتِ لُصوصٍ[5] وعاهاتٍ ، فإنْ لَمْ يَكُنْ لحاملِها سلاحٌ يَذودُ به عن بضاعتِهِ وإلاَّ سُبِيَتْ[6] بِضاعتُهُ عنه[7] .

لَعَمْرُكَ لقد تَتَعَلَّقُ الصعوباتُ بسلامَةِ البضاعةِ المَحْمولةِ في طريقِ المخاوفِ ولو كانَ لِحامِلِها سلاحٌ[8] يَذودُ به[9] عن بِضاعَتِهِ . فكيف بِمَنْ يُهْمِلُ بضاعتَهُ وليس له سلاحٌ يَذودُ به اللُّصوصَ في المَفاوِزِ[10] .

ومِنْ شُروطِ جَهْلِ قلبِ العالِمِ[11] أيضاً خوفُ شدائد السِّنينَ الآتِيَاتِ ، وصَرْفُ الهِمَّةِ[12] إلى الاسْتِعْدادِ[13] لها قبل مَجيئِها بِمُصاحبَةٍ للاضْطِراب والطَّيْشِ وفَقْدِ الطمأنينةِ بالقِسْمَةِ السَّابقةِ[14] في الأزَلِ . ومَنِ اتَّصَفَ بهذه الصِّفَةِ فقدِ انْسَلَخَ مِنَ العُبودِيَةِ ونازَعَ الرُّبوبيةَ[15] .

ومن شروط جَهْلِ قلب العالِمِ أيضاً عَدَمُ مَعْرِفَةِ خساسَةِ حالِهِ ، وقُبْحُ ما هو عَلَيْهِ مُقيمٌ مع تَرْكِ الإقلاعِ ، وهي صِفَةُ أمواتِ الأحْياءِ و عَوائِدُ أهْلِ الإصْرارِ ، وسِيَرُ أرَاذلِ[16] الغافِلِينَ .

ويَتفرَّعُ من الأدب مع الخَلْقِ أيضاً[17] تَرْكُ الاسْتِكْبارِ عليهم مع إزالَةِ الاحْتِقارِ والازْدِراء ،

---

1 ب : الاعتقادات .

2 ع ، ق ، ط : المشينة . ـ وما أثبتناه من م ، ب .

3 ق : بحب .

4 المفازة : الصحراء والأرض الشاسعة الخلاء . وسميت مفازة لأن الإنسان قد يفوز فيها أي يهلك ويموت .

5 ب : ذات المصوم . ـ وهو تحريف .

6 م ، ب : وإلا سُلبت .

7 لم ترد لفظة «عنه» في ب .

8 وقع بعد هذا في م اضطراب في السياق وسقطت جملة من العبارات تقدر بنصف صفحة .

9 ب : بها . ـ وفي ق : سلاح يذاذ بها فكيف .

10 ب : يذود بها المصوم المفاوزة . ـ وهو تحريف .

11 ق : القلب العالم .

12 ب : الهمم .

13 ق ، ط : استعداد .

14 رواية ب . ـ وفي ع ، ق ، ط : بالقسم السابق .

15 ب : نازع من الربوبية .

16 ق ، ب ، ط : أرذل .

17 لم ترد كلمة «أيضاً» في ب .

وقبولُ الحقِّ مِنَ الشريفِ والدَّنيء منهم ، ووُضوعُ النَّفْسِ مع الخَلْقِ في الحقِّ في كَفَّةٍ واحدةٍ . وهي دَرَجَةٌ يَرْقى العَبْدُ إليها عَقَبَةً صَعْبَةَ المَرْتَقى[1] ، لا تَثْبُتُ عليها قَدَمٌ لِمَنْ لم تَثْبُتْ عَظَمَةُ اللهِ وخشْيَتُه في قَلْبِهِ[2].

فصل [ما يتفرّع من الأدب مع الحق]

ويَتفرَّعُ مِنَ الأدبِ مع الحقِّ سبحانه[3] الحَذَرُ[4] من سُخْطِهِ ونِقْمَتِهِ [ولو][5] في ذَنْبٍ يُساوي خَرْدَلَةً[6] ، وشِدَّةُ الخوف مما تُنْتِج بقيةُ العُمرِ مِنَ الزَّلَلِ والقبائحِ .

ويَتفرَّعُ من الأدبِ مع الحقِّ[7] عز وجل الرَّجاءُ المُتَعَلِّقُ باللهِ ولو أذنَبَ العَبْدُ ذنوباً تَرْجَحُ بِجميعِ ما في الوُجودِ مِنَ الحوادِثِ . فمَنْ فَعَلَ ذلك فقد اعْتَدَلَ خَوْفُهُ ورجاؤُهُ . وبذلك وُصِفَ المؤْمنُ كما قيل : لو وُزِنَ رجاءُ المؤمنِ وخوفُهُ لاعتدلا[8] . وهذه إشارةٌ إلى العُمومِ مِنْ أبناءِ الآخرةِ لا لخُصوصِهم لأنَّ الخوفَ والرّجاءَ مِنْ سِيَرِ عَوامِّ أهلِ الطريقِ لا مِنْ سِيَرِ الخُصوصِ لأنَّ الخُصوصَ رَقَوْا مقاماتٍ أرَقَّ مِنْ ذُبابِ السُيوفِ[9] فسَمَوْا عن الخوفِ والرَّجاءِ لأنَّهُما مناضَلَةُ النفوسِ .

ويَندَرِجُ تحت هذه الإشارة[10] في حقِّ العوامِّ الوُقوفُ مع الرُّسومِ ، ومُشاهَدَةُ الحالِ ، والميلُ إلى الطَّبْعِ . وليس ذلك من مَقاماتِ[11] أهْلِ الوَصْلَةِ[12] لأنَّهم غرقوا في بَحرِ الهَيبَةِ الدائمةِ

---

1 م ، ق ، ب ، ط : المرقى .

2 ب : عظمة الله عز وجل في قلبه .

3 ق ، ب ، ط : مع الحق عز وجل . ـ وفي م : مع الله عز وجل .

4 يقال : الحِذْرُ ـ بكسر الحاء وتسكين الذال ـ ، والحَذَرُ ـ بفتح الحاء والذال ـ ، وهو الحِيطة . قال تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا خذوا حِذْركم﴾ . قال تعالى : ﴿يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حَذَرَ الموت﴾ . ـ وفي المثل : «لا ينفع حَذَر من قَدَر» .

5 الزيادة من م ، ق ، ب ، ط .

6 الخرذلة والخردلة (بإعجام الدال وإهمالها) : حَبُ نبات عشبي يضرب المثل بصغره وفي القرآن الكريم ﴿وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين﴾ .

7 م : مع الله .

8 ط : لاعتدل .

9 ذُباب السيف : حد طرفه الذي بين شفرتيه ، وقيل ذباب السيف : حدُّه . ـ اللسان : ذبب .

10 ب : تحت هذه الآية الإشارة . ـ تحريف .

11 ب : مقامة .

12 الوصلة هي ربط الشيء بالشيء واتصاله به ، فإذا اجتهد السالك وحظي بالمنة الإلهية والفتح الرباني يقال إنه وصل أي تحقق مراده . ـ معجم ألفاظ الصوفي (الشرقاوي) : 286 .

لله عز وجل في الدارينِ جميعاً ، ولم يَجدوا لَمشامِّ[1] الخوفِ والرجاء سبيلاً لأنَّ الرجاءَ يُفيدُ العوامَّ تَبْريدَ حرارةِ الخوفِ كي لا يُفضيَ[2] بِهم إلى القُنوطِ ، والرَّجاءُ عند الخُصوصِ شكوىً وعَمىً لأنَّ وُجودَ الحَقِّ سبحانه بِمُشاهَدةِ الهيْبَةِ والتعظيمِ والإجْلالِ مع مُصاحَبَةِ أحوالِ الاسْتِغْراقِ في بَحرِ المِنَنِ والجُودِ والألْطافِ لم يَتْرُكْ للرجاءِ في قُلوبِ الخُصوصِ أثَراً . ولذلك قال بعضُ العارفينَ : الرَّجاءُ وهَنٌ وغَفْلَةٌ وعِقالٌ ، وهو في الفَتْرةِ[3] عِلَّةٌ ، وفي المحبَّةِ[4] وَصْمَةٌ . فالغَيْبَةُ عنِ الرُّسومِ ، والإزالَةُ عن مُناضَلَةِ[5] النفوس ، ورؤيَةُ الوعيدِ منه وَعْدٌ ، والعذابُ فيه سبحانه عَذْبٌ . كُلُّ ذلك يَسْتَدْعي ملْذوذَ الوَجْدِ[6] في العذابِ ، ويُفيدُ ذلك الاسْتغراقَ في المُشاهَدَة ، والحَيْرَةَ في بِساطِ الأنْسِ ، فَيَمْتَحِقُ[7] الخوفُ والرجاءُ مِنْ أجلِ ذلك بأسْرِهِما[8] . وهو المقامُ المطلوبُ المرغوبُ فيه مِنْ مقاماتِ أربابِ حُظوظِ القُلوبِ . وليسَ هذه الصِّفَاتُ مِنْ مَقاماتِ أرْبابِ حُظوظِ النُّفوسِ ، فإنِ اسْتَغرَقَتْ القُلوبُ في ملذوذٍ[9] حَظِّها مِنَ الجَبّارِ[10] حارتْ وتَحَيَّرَتْ حين تَتَجَلَّى[11] لوائِحُ الغَيْبِ للقُلوبِ بعْدَ صَقْلِ[12]

---

1 الخوف عند الصوفية هو الحياء من المعاصي والمناهي والتألم فيها . ويرى الإمام الغزالي أن قوة الخوف تكون بحسب المعرفة بجلال الله . ـ معجم مصطلحات الصوفية (عبد المنعم الحفني) : 93 ومعجم ألفاظ الصوفية (الشرقاوي) : 132 .

2 رواية ق ، ب . ـ وفي الأصل : يفيض .

3 الفترة هي الخمود والفتور . ـ وفي الاصطلاح الصوفي هي خمود نار البداية المحرقة لدى السالك بمعاودة آثار الطبيعة المخدرة للقوى الطلبية ـ معجم مصطلحات الصوفية : 204 .

4 المحبة في الاصطلاح الصوفي هي الاستغراق في حب الله ، فلا محبوب سواه . وقيل : «المحبة هي الموافقة» أي طاعة الله فيما أمر ، والانتهاء عما زجر ، والرضى بما حكم وقدر . ـ معجم ألفاظ الصوفية : 254 ومعجم المصطلحات الصوفية (أبو خزام) 156 .

5 ق : عن مناطلة . ـ والمناضلة : قمع النفوس عن المعاصي وترويضها على التقوى ومحبة الفضائل .

6 ب : الوجود . ـ تحريف . ـ والوجد عند الصوفية هو خشوع الروح عند مطالعة سر الحق ، وقيل : عجز الروح من احتمال غلبة الشوق عند وجود حلاوة الذكر ، وقيل : الوجد مصادفة الباطن من الله تعالى واردا يورث فيه حزنا أو سروراً أو يغيره عن هيئته ويغيبه عن أوصافه بشهود الحق . ـ معجم مصطلحات الصوفية (عبد المنعم الحفني) : 264 .

7 يمتحق الخوف والرجاء : يزولان ويتبددان . ـ وفي ع ، ق : فيستحق . ـ تحريف صوابه من م ، ب ، ط .

8 ب : بأسرارهما .

9 ق : ملداد . ـ تحريف .

10 ب : من الحب .

11 ق ، ب : حتى تجلى . وما أثبتناه من النسخ الأخرى .

12 ب : سقل .

الكادُورات[1] ورَفْعِ الحِجابِ فَتَسْكَرُ سَكْرَةً[2] في حين مُشاهَدَةِ الأَسْرارِ ، وتَتَّصِلُ بِمَعْرِفَةِ المَوْجودِ القديمِ بلا إدراكِ الصِفَةِ منه[3] بعقلٍ ولا وَهْمٍ فَيَعْرِفُ العارِفُ حينئذٍ عِرْفاناً ذَوْقِياً ، لا عِرْفاناً سَمْعِياً ويَظْفَرُ بِمُشاهَدَةِ لوامِعَ ولوائِحَ فَيَجِدُّ السَيْرَ مُسْرِعاً[4] في أثرِ كلِّ عارفٍ دَخَلَ على مَطِيَّةِ التوْفيقِ في حَضْرَةِ[5] القُدُسِ ، لَكِنْ في التَّرَقِّي من سُفْلٍ إلى علوٍ لغيرِ ذي تَوْفيقٍ ومَعْرِفَةٍ عُسْرٌ[6] وصُعوبَةٌ إذ لا يَصْلُحُ الترقي لسالكٍ إلا بعد مَعْرِفَةِ خَساسَةِ ما عنه[7] الارْتِقاء في جنْبِ ما إليه الارْتِقاءُ ، لأنَّ الارتقاءَ في العلو رَغْبَةٌ في إطماحِ[8] البَصيرةِ إلى حَضْرَةِ العَلِيِّ[9] يَمْحَقُ[10] مِنَ الهِمَمِ كلَّ مَحبوبٍ مُتَّصِفٍ[11] بسُفْلٍ بالإضافَةِ إلى عُلُوٍّ لأَنَّهُ ليس لسالكٍ مَرْقىً بعدَ وجودِ الأَعْلى إذ ليس بعدَهُ عُلُوٌّ يَرْقى إليه . فإيَّاكَ أنْ تَرْغَبَ في جَوْهَرٍ وتَتْرُكَ من الجواهِرِ ما هو أَرْفَعُ[12] منه . لَعَمْرُكَ ما عَفْوُ الأميرِ بِأَسْنَى مقاماً[13] للعَبْدِ من رِضَى الأَميرِ ، ولا هدايا الأميرِ بِأَسْنَى مقاماً للعبدِ مِنْ مُشاهدةِ وجهِ الأميرِ .

فصل [المعراج الأول إلى بساط الأنس]

واعْلَمْ رحمك الله أنَّ انْخفاضَ الهِمَمِ إلى التُّحَفِ ، والوُقوفَ مع الطُّرَفِ ، والشوقَ إلى الغُرَفِ[14] ، في المَنْزِلِ الباقي ، فَضلاً عن المَنْزِلِ الفاني يَمْنَعُ الأدَبَ والانْبِساطَ ، وتَخَطِّي البِساطِ ، لأَنَّ حَواشِيَهُ مَحْفوفَةٌ بأنوارِ العِزَّةِ ، وشُهُبِ الهَيْبَةِ . لكِنِّي أَشَرْتُ

---

1 الكدر نقيض الصفاء . ـ والكدورات هي القبائح والكبائر التي تشين المرء وأفعاله .
2 ب : فتكسر كسرة . ـ تحريف .
3 ب : لصفة منه . ـ تحريف .
4 كلمة «مسرعا» لم ترد في ب .
5 ب : في حضيرة .
6 في الأصل : عصر . ـ تحريف صوابه من م ، ق ، ط . ـ وفي ب : ومعرفة عصوص . ـ وهو تحريف .
7 ب : عند .
8 في الأصل : في إصماح . ـ وفي ق ، ط ، ب : اصطلاح . ـ وما أثبتناه من م . ـ وأطمحه : جعله يطمح .
9 ب : العلو .
10 ع ، ب : يمحو . ـ وما أثبتناه من النسخ الأخرى . ـ ومحقه : محاه وبدده .
11 ق : متصل .
12 ب : ما هو رافع . ـ تحريف .
13 ب : مقام .
14 التحف جمع تحفة وهي «ما أتحف به الرجل من البرّ» . ـ التعريفات : 40 . ـ والطرف جمع طرفة وهي كل شيء مستحدث عجيب . ـ اللسان : طَرَفَ . ـ والغرف جمع غرفة وهي العِلِّيَةُ قال تعالى : ﴿وهم في الغرفات آمنون﴾ .

لكَ[1] إلى بِساطِ الأُنْسِ[2] وهو مَرفوعٌ في عُلوٍّ ، ولم أُشِرْ لَكَ إلى مَدارِجِه التي يُرْقى عليها إليه ، لأنَّ التَّرقي في العُلُوِّ إلى بساطِ الأُنْسِ دون مَعْرِفَة مسالكِ التَّرقي ومَدارِجِهِ يَسْتَدْعي العجْزَ عن تَخَطِّي البِساطِ ، فيَلْزَمُني إذن الرُّجوعُ إلى صِفَةِ البِدايةِ في العُروجِ .

فأوَّلُ ذلك نشأةُ الصبيِّ الرضيعِ بلا عقْلٍ ثم يتأتّى منه العَقْلُ والفَهْمُ والتَّدْريجُ في حين مدَّةِ مُهْلَتِهِ[3] وهي المدَّةُ التي تُرْفَعُ عنه [فيها][4] أقلامُ الحَفَظَةِ قبل البلوغِ فيكونُ الصبيُّ في تلكَ المُدَّةِ غيرَ عارفٍ بِمالِكِهِ . ومِنْ أجلِ ذلكَ سَقَطَ عنه الفرضُ . فهذه أدنى مَنْزِلَةٍ مِنْ مَنازِلِ العبدِ المؤمِنِ ، لَكِنَّهُ عُذْرٌ[5] في مُهْلَتِهِ لِعَدَمِ العقلِ وَضُعْفِ البَدَنِ . وبِسَبَبِ ذلك سَقَطَ عنه التَّكْليفُ . ثم يَرْتَقي مِنْ سُفْلِهِ ذلك[6] إلى عُلُوٍّ فوقَه فيُدْرِكُ بعَقلِهِ معرفةَ اللهِ تعالى وتَنْزيهَهُ عن كلِّ نقيصةٍ على حسبِ ما قدَّمناه في القطبِ الأولِ من هذا الكتاب فتنجلي عنه ظُلُماتُ الجهلِ باللهِ عز وجل . وهذا هو المعراجُ الأوَّلُ .

فصل [المعراج الثاني إلى بساط الأنس]

ثم يَرْتَقي بعد ذلك إلى امتثالِ الأمرِ واجتنابِ النهيِ . وذلك مِنْ شروطِ معرفةِ اللهِ اللاَّزمةِ للعبْدِ[7] لا انْفِكاكَ لِعبدٍ عن ذلك[8] . وفي هذا المِعْراجِ الثاني عَجَزَ أكثرُ مَنْ يَدَّعِي مَعرفةَ اللهِ عز وجل عن الدُّلْجةِ[9] والعُروجِ مِنْ سُفْلِ الوُقوفِ مع النَّفْسِ إلى عُلُوٍّ امتثالِ أمْرِ السيِّدِ واجتنابِ نَهْيِهِ ومُوافَقَةِ مرادِهِ . فقد صَعُبَ العُروجُ في هذا المَوْضِعِ على كُلِّ غافِلٍ عَليلِ القلبِ ، شهيِّ النَّفْسِ ، عابِدٍ لِهواهُ ، هاوٍ في حُبِّ الحَظِّ العاجِلِ . فكُلُّ مَنْ تَعَذَّرَ عليه العُروجُ[10] في هذا المَوْضِعِ بِعِلَّةٍ مِمَّا أشَرْنا إليه ولو قَلَّتْ فلا مَطْمَعَ له في لُحوقِ أهلِ ولايةِ اللهِ عز وجل إلاَّ بعد

---

1 ب : إليك .

2 الأنس في الاصطلاح الصوفي هو «فرح وسعادة غامرة تملأ القلب بالمحبوب الذي هو الله ، وهو حال يصل إليه السالك معتمداً على الله ، ساكناً إليه ، مستعيناً به» . ـ معجم ألفاظ الصوفية : 62 . وقال ابن عربي : «الأنس : أثر مشاهدة الحضرة الإلهية في القلب وهو جمال الجلال» . ـ معجم الاصطلاحات الصوفية : 49 .

3 ب : بلا عقل والفهم فالتدريج في حين مدة مهلته ـ وفي ق : مدة مهملة . ـ وكلاهما تحريف .

4 الزيادة من م ، ق ، ب ، ط .

5 ب : عذره .

6 في الأصل : ثم قال يرتقي من سفل ذلك . ـ وما أثبتناه من النسخ الأخرى .

7 في الأصل : اللازم . ـ وهو تحريف صوبناه من ب ، ق . ـ ولم ترد كلمة «العبد» في ب .

8 ب : من ذلك .

9 ع ، ق : الدجلة . ـ وهو تحريف صوابه من النسخ الأخرى . ـ والدلجة : سير السَحَرِ ، وقيل : سير الليل كله . والمقصود بها : ارتقاء السالك إلى مدارج السمو .

10 ب : الفروج . ـ وهو تحريف .

زوالِ علَّتِهِ ، لأَنَّ المَعْلولَ لا يَصْلُحُ[1] لِوِلايَةِ اللهِ عز وجل[2] .

ومِنْ هذا المِعْراجِ الثاني تَنْفَجِرُ عناصرُ الورعِ والتقوى ، لكنْ مَنْ صَعُبَ عليه المِعْراجُ الثالثُ لا يَسْتَحِقُّ اسمَ الأَتْقياءِ[3] والتورُّعِ الكامِلِ[4] .

فصل في المِعْراجِ الثالثِ [إلى بساط الأنس]

ثم يَعْرُجُ العبد مِنْ سُفْلِ امْتِثالِ الأَمْرِ واجتنابِ النَّهْيِ إلى عُلُوٍّ فوقَه وهو مَقامُ الزُّهْدِ[5] فإنَّه سُفْلٌ[6] في جَنْبِه إذا أضفْتَهُ إليه .

وهذا المِعْراجُ الثالثُ يَرْقى إليه العبدُ عَقَبَةً كؤودة[7] لا يَرْقاها مَنْ سَكَنَ حُبُّ الدنيا في قَلْبِهِ . وفي المِعْراجِ الثاني[8] وَقَفَ كُلُّ فقيهٍ رسميٍّ فَرْعِيٍّ راكبٍ[9] لظاهِرِ الشَّرْعِ خالٍ من لَذَّةِ الزُّهْدِ غيرِ مُسْتَغْرِقٍ في الجلالِ والعَظَمَةِ لأَنَّ مَحَجَّةَ المِعْراجِ الثاني لَها ساعَةٌ مُتَّسِعَةٌ تَثْبُتُ عليها أقدامُ العبدِ وإنْ كانَ حُبُّ الدنيا في قلبِه ما لم يُفْضِ به حُبُّ الدنيا إلى مُحَرَّمٍ . فإذا سَهُلَ على العبد المِعراجُ الثالثُ ، واستوى على مقام الزُّهْدِ نظَرَ بِبَصيرته إلى أهلِ المِعْراجِ الثاني فيَراهُمْ مَغْلولينَ في صَفَدِ[10] حُبِّ الدنيا وأغلالِها ، وهم يَنْظُرونَ إلى أهلِ المِعراجِ الثالثِ كما يَنْظُرُ أهلُ الأرْضِ[11] إلى النُّجوم الزَّواهِرِ[12] وقد تعَذَّرَ عليهم المِعْراجُ الثالثُ مِنْ أجلِ سُكونِ حُبِّ الدنيا في قُلوبِهم ، وحَمْلِها على رِقابِهم ، فإنَّ مَنْ جعَلَ رَقَبَتَهُ مَحلا[13] للدنيا ، وقلبَهُ مَسْكَناً لها ، لم يَجِدْ لِتَرَقِّي عَقَبةِ المِعْراجِ الثالثِ سبيلاً . فإنَّ باليقينِ والعُدَّةِ يَسْتَعِدُّ للسفرِ الطويلِ ، أَعْني تَرَقِّي المَقاماتِ ﴿لَوْ[14] كَانَ عَرَضاً قَرِيباً وَسَفَراً قاصِداً

---

1 في الأصل : لا يصح . ـ وما أثبتناه من النسخ الأخرى .

2 ب : الله تعالى .

3 ب : اسم الارتقاء .

4 ب : الكمال . ـ تحريف .

5 في الأصل : الزهد . ـ وما أثبتناه من النسخ الأخرى .

6 ب : فهو سفل .

7 ب : كؤودا .

8 ط : المعراج الثالث .

9 ق : كل فقيه رسى في عين راكب لظاهر . ـ وفي ب : وسمى فرعا ركا راكب . ـ وهو تحريف .

10 صفد : الكبل أو الحبل الذي تُشدُّ به الأيدي والأرجل . ـ وفي القرآن الكريم ﴿مُقَرَّنِينَ فِي الأَصْفادِ﴾ .

11 ب : أهل الدنيا .

12 في الأصل : النجوم والزواهر . ـ وهو تحريف صوابه من النسخ الأخرى .

13 ب : محملا .

14 في الأصل : ولو . ـ وهو خطأ .

لاتَّبعوكَ ولكِنْ بَعُدَتْ عليهم الشُّقَّةُ﴾[1].

فصل [العروج إلى مقام الزهد هو أول سلوك طريق المفاوز]

واعْلَمْ رحمكَ اللهُ أنَّ العُروجَ إلى مَقامِ[2] الزُّهْدِ هو أولُ سُلوكِ طريقِ المفاوزِ وإنْ كان الزُّهْدُ مَطلوباً لغيره لا لِنَفْسِهِ لأنَّ الزُّهْدَ ليس له فائدةٌ تُسْتَفادُ إلاّ قَطْعُ الشَّواغِلِ والعوائقِ التي تَشينُ السّالِكَ في سرعةِ سَيْرِه وتُبْطِئُ به عن لُحوقِ الواصِلينَ.

فصل في بيانِ الشواغِلِ والعَوائِقِ

اعْلَمْ رحمكَ اللهُ[3] أنَّها تعترضُ[4] لأهْلِ هذا المقامِ شواغلُ وعوائقُ لولاها[5] ما عَجَزَ[6] عن المِعْراجِ الثالثِ أهْلُ المِعْراجِ الثاني. فمِنْ شواغلِهِ وعَوائِقِهِ طلَبُ الرِّزْقِ وصَرْفُ[7] الهِمَّةِ إلى الاشْتِغالِ به، وتَخَبُّطُ القلبِ في تَدْبيرِهِ مع نِسيانِ المَأْمُولِ مِنَ اللهِ عز وجل. لكِنْ يَسْتَعِدُّ العبدُ بِهذه الشواغِلِ والعوائِقِ بنظَرِ بَصيرَته إلى القِسْمَةِ السابِقَةِ في الأزَلِ وكيفَ ضَمِنَ اللهُ عز وجل الأرزاقَ وأقْسَمَ[8] عليها بقولِه تعالى: ﴿فَوَرَبِّ السَّماءِ والأَرْضِ إنَّه لَحَقٌّ مِثْلَ ما أنَّكُم تَنْطِقون﴾[9]. فإنَّه عز وجل قَسَّمَ الرِّزْقَ[10] في الأزَلِ وجَزَّأهُ[11] على عُمْرِ العبدِ ووَقَّتَ أوقاتَهُ وحدَّ للعبدِ ما يأتيهِ منه في السَّنَةِ والشهرِ واليومِ والساعةِ. فكُلُّ ما حَدَّ لك أنْ تنالَه مِنْ رِزقِكَ عند صلاةِ العَصْرِ[12] مِنْ يَوْمِكَ ذلك[13] لنْ تنالَهُ عندَ صلاةِ الصُّبحِ مِنْ يومِكَ ذلك ولو كُنْتَ

---

1 سورة التوبة. الآية: 42.

2 لم ترد هذه الكلمة في ب.

3 لم ترد هذه العبارة في ق.

4 ع: أنه يتعرض. ـ وفي م، ق: أنها تتعرض. ـ وما أثبتناه من ب، ط.

5 م، ق، ب، ط: لولا هي.

6 ق: عرج. ـ تحريف.

7 ب: وانصراف.

8 ع، ط: وقسم. ـ تحريف صوابه من م، ق، ب.

9 قال تعالى: ﴿وفي السماء رزقكم وما توعدون. فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون﴾ سورة الذاريات. الآيتان: 22–23. ـ وقوله تعالى ﴿مثل ما أنكم تنطقون﴾ لم يرد في الأصل، وزيادته من النسخ الأخرى.

10 ع، ق، ط: الأرزاق. ـ وهو تحريف صوابه من م، ب.

11 في الأصل: أجراها. ـ تحريف صوابه من النسخ الأخرى.

12 ب: العمر. ـ تحريف.

13 م، ق، ب: من يومك مثلاً.

طَلَبْتَهُ[1] بكلِّ حيلَةٍ في السماواتِ والأرضِ فإنَّ الطلبَ لا يَجْمَعُ ، والتَّوكُّلَ لا يَمْنَعُ ، لكِنْ تَحَقَّقَ[2] كُلُّ مُؤمنٍ أنَّ اللهَ عز وجل قد ضَمَنَ رِزقَهُ .

واخْتَلَفوا في طَلَبِ الرِّزْقِ على ثَلاثة أوْجُهٍ . فأهْلُ الوَجْهِ الأولِ[3] : يطلبون الرِّزْقَ بِقَهْرٍ أو غَلَبَةٍ أو جاهٍ [أو وَجْهٍ][4] أو سَرِقَةٍ أو اختلاسٍ أو خديعةٍ أو سَوطِ حَياءٍ أو غير ذلك مِنْ وجوهِ طَلَبِ الرِّزقِ المَذْمومَةِ التي يَأْباها أَهْلُ الوَرعِ . فأهلُ هذا الوجهِ يُقْطَعُ الكلامُ عنهم ولا تُسَطَّرُ أحوالُهم إذ لا فائدةَ في ذِكرهِم مِنْ أجلِ ما هم عليه مِن سوءِ الحالِ وسُلوكِهم طريقَ[5] الهلاكِ وهم عارِفونَ به . عَصَمَنا اللهُ وإياك مِمَّا ابتُلِيَ به هذا الصِّنْفُ .

فصل [هل الرزق من السبب أم من المسبب]

وأهْلُ الوجه الثاني جعلوا الحِرفَةَ سبباً لطلب الرزقِ . وأهلُ السَّبَبِ يَنْقَسِمونَ[6] قسمين : قِسْمٌ ينظرون إلى السَّببِ لا إلى المُسَبِّبِ فيورِثُهم ذلك الحِرْصَ وتَهْويساتِ الطَّمعِ[7] ، والغَضَبَ على الخَلْقِ من أجلِ[8] المَنْعِ ، والتَأَسُّفَ على تَعَذُّرِ السَّببِ عن استجلابِ الرِّزْقِ لِمُعارَضَةِ[9] القَدَرِ السَّابقِ في الأزَلِ . فهذا قِسْمٌ مَذْمومٌ والعِياذُ باللهِ مِنْ سوءِ ما نزل بِهم[10] . ـ وقِسْمٌ ثانٍ ينظرون للمُسَبِّبِ لا للسَّببِ . فإنْ جَلَبَ السَّبَبُ[11] رزقاً رَأوْهُ مِنَ المُسَبِّبِ لا مِنَ السَّببِ لأنَّ الفرقَ بين النَّظَرِ إلى السَّببِ والمُسبِّبِ فَقْدُ الغَضَبِ على الخَلْقِ مِنْ أجْلِ المنعِ ، وفَقْدُ التَّأَسُّفِ على خَيْبَةِ السَّببِ مِنْ استِجْلابِ الرِّزْقِ ، والسُّكونُ بالطُّمأنينةِ إلى القِسْمَةِ السَّابقةِ وضمانُ اللهِ عز وجل وكفالَتُهُ . ويَكفيكَ في هذا المعنى[12] ما حُكِيَ أنَّ الجَرادَ وَقَعَ على زَرْعٍ كانَ لِرابعةَ العَدَوِيَّةِ[13] ،

---

1 ق ، ب : ولو طلبته .

2 ق ، ب : حقق .

3 ق ، ب : ثلاثة أوجه : الأول . . .

4 الزيادة من م ، ق ، ب ، ط .

5 في الأصل : وسلوك طريق الهلاك . ـ وما أثبتناه من النسخ الأخرى .

6 ب : ينقصمون . ـ وهو تحريف . ـ وفي ق : ينقسمون على قسمين .

7 تهويسات الطمع : ما يوسوس به الطمع وما يحدثه في النفس من اختلاط واضطراب .

8 ب ، ق : لأجل .

9 ب : بمعارضة .

10 رواية ب . ـ وفي الأصل : ما نزل به هؤلاء . ـ وفي ق : والعياذ بالله ما نزل به .

11 ب : السباب . ـ وهو تحريف .

12 لم ترد لفظة «المعنى» في ط .

13 رابعة بنت إسماعيل العدوية ، أم الخير : صالحة مشهورة من أهل البصرة . لها أخبار في العبادة والنسك ولها شعر في التصوف والزهد توفيت بالقدس سنة135هـ . ـ الأعلام 10/3 .

فلمَّا جاءَها الخَبَرُ خَرَجَتْ فرأتِ الجَرادَ قَدِ ارْتَكَبَ زَرْعَها[1] ، فَرَمَقَتِ السَّماء بطَرْفِها وقالتْ : ربِّي رِزْقِي قد تَكَفَّلْتَ به ، وعَلِمْتُ أنَّهُ ليس يفوتُني . فإنْ شِئْتَ فأطْعِمْ زَرْعي أعْداءكَ ، وإنْ شِئْتَ فأطعِمْه أولياءك . فطارَ الجرادُ جميعُهُ عنه . فهذِهِ حقيقةُ رؤيةِ الأشياء من المُسبِّبِ لا مِنَ السَّبَبِ .

فصل [في أسباب طلب الرزق]

وأهلُ الوجهِ الثالثِ[2] تَرَكُوا الوقوفَ مع السَّبَبِ ووَقَفوا مع المُسَبِّبِ ، فلم يَتْرُكْ لَهم يَقينُهم وطُمَأنينَتُهم بالضَّمانِ القديمِ فَضْلاً في أنْفُسِهم يَبْعَثُهم على الوقوفِ مع الأسبابِ [ولو كانتِ الأسبابُ قائمةً من أجلِ غَيْبَتِهم عنها بِرُؤْيَةِ مُسَبِّبِها][3] وهذه[4] أعْلى دَرَجَةٍ يُشارُ إليها في غايَةِ هذا الشَّأْنِ . فافهمهُ راشِداً إن شاءَ اللهُ .

فصل [لا محيص للعبد من المقادير التي قدرت عليه في الأزل]

ومِنْ شواغِلِهِ وعوائقِهِ[5] أيضاً ظُهورُ المخاوِفِ . فيَجب على العبد أنْ يَسْتَعِدَّ لها بالتَّفكُّرِ في القَدَرِ السَّابِقِ فيَعرِفَ بعَقْلِه عرفاناً ذوْقياً لا سَمْعِياً أنَّ المقاديرَ إذا قُدِّرَتْ على العبد في الأزلِ لا مَحيصَ له عنها فيَسْمَحُ ويَسْخَى[6] بنفسِهِ للمقاديرِ حتى يُصيبَهُ منها ما قُدِّرَ عليه منها في الأزلِ ، ولا يَستَفيدُ أحَدٌ ذلكَ إلاَّ مَنْ حَصَلَ له[7] الالتِذاذُ بِمَرارَةِ الأقْدارِ الصَّعْبَةِ على النفوسِ . ويكفيكَ في هذا المعنى ما حُكِيَ أنَّ موسى عليه السلام انتهى ذاتَ يوم بأغنامِهِ إلى وادٍ كثيرِ الذِّئابِ ، وكان قَدْ بَلَغَ به التَّعبُ ، فبَقِيَ مُتَحيِّراً : إنِ اشْتَغَلَ بِحِفْظِ الأغنامِ عَجَزَ عن ذلك لِغَلَبَةِ النَّوْمِ عليه والتَّعبِ ، وإنْ هُوَ طلبَ[8] الرّاحَةَ والسّكونَ غَشِيَتِ الذِئابُ الأغْنامَ[9] . فَرَمَقَ السَّماء بِطَرْفِهِ وقالَ : إلَهي [وسيِّدي][10] أحاطَ عِلْمُكَ ، ونَفَذَتْ إرادَتُكَ ، وسَبَقَ تَقْديرُكَ . ثُمَّ وَضَعَ[11] رَأْسَهُ

---

1 ق ، ب : ارتكبه .
2 م : الوجه الثاني . ــ تحريف .
3 الزيادة من ق ، ب ، ط . ــ وفي م : من أجل مسببها .
4 م ، ق ، ب : وهذا . ــ وفي ط : وهي .
5 ب : ومن عوائقه .
6 م : يسخو . ــ ويقال : سخا يسخو ، وسَخِيَ يسخَى . ــ اللسان : سخو . ــ وسخى بما عنده جاد به .
7 ب : لها . ــ تحريف .
8 ب : وإن هو نائم وطلب الراحة . ــ تحريف .
9 ق ، ب : وثبت الذئاب في الأغنام .
10 الزيادة من ب .
11 ع ، م : فوضع . ــ وما أثبتناه من ق ، ب ، ط .

ونامَ . فلمَّا اسْتَيْقَظَ وجَدَ ذِئباً واضِعاً عَصاهُ على عَاتِقِهِ وهو يَرْعى الغَنَمَ ، فَتَعجَّبَ موسى من ذلك ، فأوحى الله تعالى[1] إليه : يا موسى كُنْ لي كما أُريدُ أَكُنْ لَكَ كما تُريدُ . ـ فهذه إشارةٌ تَدُلُّ على أنَّ مَنْ هَرَبَ إلى الله[2] كفاهُ الله [عز وجل][3] مِنْ ذُنوبِهِ .

فصل [حقيقة النظر إلى القضاء السابق]

فبِحقيقةِ[4] النَّظَرِ إلى القضاء[5] السَّابِقِ ، والرُّجوعِ عنِ الفرارِ إلى الجزَعِ مِنْ أحْكامِ الجبَّارِ ، وإلْغاءِ الكَنَفِ تَحْتَ ظلِّ الاقْتِدارِ[6] تَسْهُلُ[7] الأوْعارُ . ويُعامِلُ اللهُ عز وجلَّ أرْبابَ هذا المَقامِ بِمُعامَلاتِ الخُصوصِ لا بِمُعامَلاتِ العوامِّ[8] لأنَّ اللهَ يُعامِلُ الخاصَّةَ بِما لا يُعامِلُ به[9] العامَّةَ . وقد أشار إلى هذه الدَّقيقةِ الإمامُ أبو[10] المعالي رضي الله عنه .

فصل [مقامات أهل الرضى]

ومِنْ شَواغِلِهِ وعَوائِقِهِ أيضاً ما تَأْتي به الأوْقاتُ مِنْ لَذائِذِ الرّاحةِ ، ورَغبةِ الحياةِ فالوَاجِبُ على العبدِ أنْ يَسْتَعِدَّ لها بِقصْرِ الأمَلِ ومُراعاةِ الوقتِ وحِفْظِ السِّرِّ فيه عنِ الشَّوَاغِلِ التي يَتَعَذَّرُ مِنْ أَجْلِها السَّفَرُ إلى الحَضْرةِ الربوبية . ولهذا سِرٌّ يَسْتَدْعِي شرحاً وبياناً لم يُمْكِنِّي شَرْحُهُ[11] لِغيرِ أهلِهِ لِمَا عَلِمْنا مِنْ قُصُورِ[12] أكْثَرِ عُقُولِ أهل عَصْرِنا عنِ الاحْتِمالِ ، فَقَبَضْتُ عِنانَ الشَّرْحِ ورَجَعْتُ إلى ما تَحْتَمِلُهُ عقولُ عوامِّ العلماء رغبةً في الاصْطِلاح . ولا تَصْلُحُ المُحافظةُ على الوقْتِ للعوامِّ إلاَّ بِوُجودِ الصَّبْرِ لأنَّ الصَّبرَ مَطِيةُ العوامِّ لا مَطِيَّةُ الخُصوصِ ، وإنّما مطيةُ

---

1 لم ترد لفظة الجلالة في ب .

2 ب : من هرب من الله إلى الله .

3 الزيادة من م ، ب .

4 ق ، ب : فحقيقة .

5 ق ، ب : القدر . ـ م : الإقضاء .

6 ق : ظل الأقدام . ـ تحريف .

7 في الأصل : يسهل . ـ وما أثبتناه من ق ، ب .

8 ق : هذا المقام بمعاملات العوام ـ تحريف .

9 لم ترد لفظة «به» في ب .

10 ب : أبي . ـ تحريف . ـ وأبو المعالي هو عبد الملك بن عبد الله بن يوسف ، المعروف بالجويني والملقب بإمام الحرمين : من كبار فقهاء الشافعية ، له مصنفات كثيرة . توفي سنة 478هـ ، ووالده هو عبد الله بن يوسف الجويني ، من العلماء التفسير واللغة والفقه .

11 ب ، ق : كشفه .

12 ع ، ط : لما أعلم . ـ وما أثبتناه من م ، ق ، ب .

الخُصوصِ الرِّضى الذّي يُنْتِجُ عُذوباتِ المَرارَت ، وسُهولاتِ الصُّعوباتِ[1] فإنَّ الصبرَ لا يَقَعُ إلاّ على كَراهِيةٍ في النفسِ أو نفْرَةٍ أو عَجْزٍ أو عِصْيانٍ إذا جُذبت لِسلوكِ ضَيقِ طَريقِ الاستقامةِ . فإذا سَهُلَ ذلكَ عليها والتذَّتْ به ودخلتْ في الطَّاعةِ بعُذوبةٍ وسَماحَةٍ فلا معنى للصَّبرِ في هذا المَقامِ لأنَّ العبدَ إذا ظَفِرَ[2] بهذه الدَّرَجةِ اتَّصلَ بِمَقاماتِ أهلِ الرِّضَى ، وهو المَقامُ المَحْمودُ عند أهلِ التَّحْقيقِ .

فصل [مراقبة الهمم تستدعي جهداً عظيماً]

فإذا رَقِيَ العبدُ مِنْ سُفْلِ الزُّهْدِ في الحَظِّ العاجلِ إلى عُلُوِّ الزُّهْدِ في الحَظِّ الآجِلِ في النَّعيمِ المُقيمِ فقَدْ وَضَعَ قَدَمَهُ في أوَّلِ دَرَجَةٍ مِنْ زُهْدِ العَارِفِينَ ، وهو المِعْراجُ الرّابعُ فإنَّ الزُّهْدَ في الحَظِّ العاجلِ سُفْلٌ»[3] في جَنْبِ الزُّهْدِ في الحظ الآجِلِ إذا نَسَبْتَهُ إليه بالإضافةِ . فإذا رَقِيَ العبدُ هذا المَقامَ بِموافَقَةِ التوفيقِ والعِنايةِ السَّابِقةِ اقْتَصَرَ على أداءِ الفرائضِ والرَّواتِبِ وانْتَقَلَ عَنْ أعمالِ الجوارِحِ إلى أعْمالِ القلوبِ ومُراقَبَةِ الهِمَمِ ، وليس على النَّفْسِ شيءٌ أثْقَلَ مِنْ ذلكَ[4] ولا أمَرَّ مِنْهُ لأنَّهُ أشدُّ عليها مِنْ صِيامِ النَّهارِ وقِيامِ اللَّيلِ ، لأنَّ مُراقبةَ الهِمَمِ تَسْتَدْعي جُهْداً عظيماً ، ومَرْقىً عَسيراً ، وحَرْباً شَديداً لأنَّ ما يُستفادُ من ذلكَ هو المَرْغوبُ . ومِنْ شَدائِدِ ما حُفَّ به مِنَ المَكارِهِ يتأتّى الهُروب ، ولولا هو ما قلَّ السَّالِكونَ ، ولا كَثُرَ الهاربونَ . فإنّا لله وإنا إليه راجعون .

فصل [السر الموجود بعد الزهد في نعيم الدارين هو مطمح نظر الصديقين]

واعلم أنَّ السِّرَّ المَوْجودَ بعد الزهد في نعيم الدارين جميعاً ، وبعد فناء الفناء[5] ، هو مَطْمَحُ نَظَرِ الصِّدِّيقينَ ، ومَشايخِ العارفينِ ، لكِنْ يَتَعَذَّرُ عليك وجودُهُ بظُلْمَةِ[6] نفسك ، وصُحْبَةِ رَسْمِكَ[7]

---

1 ع ، ط : عذوبة المرارة وسهولات الصعوبات . ـ وفي ق : عذوبات المرارة وسهولات الصعوبات . ـ وما أثبتناه من م ، ب .

2 في الأصل : لأن من ظفر . ـ وما أثبتناه من النسخ الأخرى .

3 قوله : «إلى علو الزهد . . . في الحظ العاجل سفل» لم يرد في ق .

4 رواية ق ، ب . ـ وفي الأصل : أثقل منه .

5 الفناء في الاصطلاح الصوفي هو سقوط الأوصاف المذمومة عن السالك أو المريد ، فمن استولى عليه سلطان الحقيقة ولم يهتم بشيء من غير الله يقال عنه إنه فني عن الخلق وبقي بالحق . ـ معجم ألفاظ الصوفية 227 ومعجم مصطلحات الصوفية 207 .

6 ب ، ق : بظلمات .

7 في الأصل : وصحة رسمك . ـ وما أثبتناه من ق ، ب ، ط . ـ وفي م : وبمحبة رسمك . و الرسم في اصطلاح الصوفية هو الخَلْقُ وصفاته .

ورُجوعِكَ إلى ذاتك[1] ومَقامِكَ معك.

فصل [بيع النفس والمال والحياة الفانية لله]

واعْلَمْ [رحمك اللهُ][2] أنَّ أصْلَ العِلَّةِ فيما ذَكَرْتُ لك طَلَبُكَ الإقالَةَ لِبَيْعِكَ، وفَسْخُ عُقْدةِ صَفْقَتِكَ. أمَا سَمِعْتَ قوله تعالى: ﴿إنَّ اللهَ اشْتَرى مِنَ المُؤمِنينَ أنْفُسَهُم وأموالَهم بأنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ﴾[3]. أظنُّكَ لا تَدْري ما ابْتاعَ مِنْكَ سَيِّدُكَ، ولأيِّ شيءٍ ابْتاعَ مِنْكَ نفسَكَ ومالَكَ. ولعلَّكَ تشْتهي أنْ يُشارَ إليكَ إلى شَرْحِ ذلكَ[4]:

اعْلَمْ رحمكَ اللهُ أنَّ نفْسَكَ مَوْضِعُ كلِّ شهوَةٍ، ومُسْتَقَرُّ كلِّ بليَّةٍ، وأفْعالَكَ مَحَلُّ كُلِّ إثْمٍ، ومَوْطِنُ كُلِّ مَعْصِيَةٍ، فأرادَ اللهُ عز وجلَّ[5] أنْ يُزيلَ مُلْكَكَ عما يَضُرُّكَ، ويُعَوِّضَكَ ما يَنْفَعُكَ عاجلاً أو آجِلاً. فمَنْ لَمْ يَبِعْ نفسه ومالَه وحياتَه الفانيةَ من ربِّهِ[6]، كيف يعيشُ مع الله تعالى ويَحْيى حياةً طيِّبةً. فلا نَفْسَ لأهلِ التَّحقيقِ مِنَ المؤمنين لأنّ أنفسَهم دَخَلَتْ[7] في البَيْعِ من اللهِ عز وجلّ. ولَمْ يَشْترِ منهم إلا ما هو صِفَتُهم التي تَحْجُبُهم عنه سبحانه، والقَلْبُ تَحت صِفَتِه[8] لم يقعْ عليه البيعُ لقوله عليه السلام: «قلبُ ابْنِ آدمَ بين أصبُعَين من أصابعِ الرَّحمنِ»[9]. وتَحت هذه الألْفاظِ سِرٌّ مُدْرَجٌ[10] يَحتَمِلُ شرحُهُ أوْسَعَ مجالٍ. ولعلَّكَ تشتهي أنْ يُشارَ إليك بشرحِ «الأصابع»:

لا يَبْعُدُ أنْ يُشارَ بمعنى الأصابع إلى مَلَكٍ عنْ يَمينِ القلبِ، وشيطانٍ عن شِمالِه، [فَيظْهَرُ بُرهانُ القدرةِ والقهرِ بِصَرْفِ القَلْبِ لِدَعوى أحَدِهما][11] ويُضافُ ذلكَ إلى الرحمن إضافَةَ مِلْكٍ. وقد أشارَ إلى هذا الاحْتمالِ أبو حامد[12] رضيَ اللهُ عنه.

---

1 ق، ب: إلى ذلك.

2 الزيادة من ب، ق.

3 سورة التوبة. الآية: 111. وقوله تعالى: ﴿وأموالهم بأن لهم الجنة﴾ لم يرد في الأصل. ـ وزيادته من ق، ب.

4 م، ق، ط: تشتهي شرح ذلك.

5 م، ب: سبحانه.

6 باع نفسه من ربه: اشتراها بالتقوى والتقرب إلى الله بأعمال البرّ.

7 ق، ب: داخلة.

8 في الأصل: صفة. ـ تحريف صوابه من النسخ الأخرى.

9 صحيح مسلم: كتاب القدر: 17، مسند أحمد بن حنبل 186/3.

10 ع، ط: مدروج. ـ وما أثبتناه من م، ق، ب.

11 الزيادة من م، ق، ب، ط.

12 محمد بن محمد الطوسي، أبو حامد الغزالي، حجة الإسلام: من كبار المفكرين والمتصوفة في الإسلام. له تآليف

ويَحتَمِلُ الحديث وجهاً آخرَ يَطولُ الخَوْضُ فيه . . . ثم نَرجِعُ[1] إلى البيعِ : فمَنْ باعَ شيئاً وخرَجَ عن مِلْكِهِ فمالَهُ والوقوفَ معه والمُخاصَمةَ عنه ؟ لكنْ لمَّا كَسَفَتْ[2] شَمْسُ العقولِ أساءَتِ الجوارحُ الأدبَ ، وهَوَتِ الهِمَمُ تَسْفُلُ إلى الحظِّ المرغوبِ عنه تَلْتَمسُ فيه الهَلاكَ والتَلَفَ[3] وتَجِدُّ في الطَّلَبِ . وكذلك يَفْعَلُ مَنْ جَنَّهُ لَيْلُهُ ، وأعْماهُ جَهْلُهُ ، استعْبَدْتَه[4] نفسُه وأَسَرَهُ[5] عَدُوُّهُ ، وأَبَقَ مِنْ مالكِه[6] ، واقْتَحَمَ طريقَ مَهالِكِهِ . فكيفَ تُرْقى[7] ذِرْوَةُ المَقامِ إذا اجْتَمعَ العَمَى والظَّلامُ ؟ وكيف الوصولُ إلى العُليا[8] إذا تَعَلَّقَتِ الهِمَّةُ بالدنيا ؟ وكيف يُطْلَبُ الحظُّ الآجِلِ ، إذا تعلَّقَتِ الرَّغبة بالحظِّ العاجلِ ؟ وكيف يَترُكُ المرءُ ما يَرْغَبُ فيهِ[9] ، إذا لم يعْرِفْ فَضْلَ ما يَطْلُب ؟ وكيف يَرى المَرءُ عيبَهُ ، إذا عَمِيَ عن الحقيقةِ قلبُه ؟ .

فصل
[الزهد في الكونين بداية الغيبة عن الخلق وأول المعراج إلى رياض المشاهدة]

اعْلَمْ رحمك الله أنَّ الرُّؤيَةَ تنقَسِمُ قِسْمَيْنِ[10] : القِسْمُ الأوَّلُ رُؤيَةُ بَصَرِ الوجْهِ[11] ، والقسم الثاني رؤيةُ بَصيرَةِ القلبِ[12] . [فبِتَمْثيلِ تعَذُّرِ بَصَرِ الوَجْهِ عن الرؤيَةِ يَتَّضِحُ لك تَعَذُّرُ بصيرةِ القلبِ عن النَّظَرِ][13] . وبتمثيلِ صِحَّةِ بَصَرِ الوَجْهِ يَتَّضِحُ لك [أيضاً][14] صحةُ بصيرةِ القلبِ فبَصَرُ الوجْهِ إذا اعْتَلَّ نورُهُ لا يُغْني عنه ضياءُ الشَّمسِ شيئاً ، فكيف إذ اجتمعَ زوالُ نورِ البصرِ

عديدة في العلوم الإسلامية المختلفة ، من أشهرها «إحياء علوم الدين» . توفي الغزالي سنة 505هـ . ــ الأعلام : 22/7 .

1 في الأصل : ثم رَجْعٌ إلى البيع . ــ وما أثبتناه من ق ، ب ، ط . ــ وفي م : ثم يرجع .
2 ط : خسفت . ــ م ، ب : خسف شمس . ــ وفي ق : خُسِفَ بشمس .
3 ب : تلتمس فيه التلف .
4 ق : واستبعدته . ــ تحريف .
5 ب ، ق : وأمره .
6 أبق العبد من سيده أو مالكه : فرَّ منه .
7 ع ، م : يرقى . ــ وما أثبتناه من ق ، ب ، ط .
8 في الأصل : العلى . ــ وما أثبتناه من ق ، ب ، ط . ــ وفي م : وكيف الوصول إلى العليّ إذا تعلقت الهمة بالدني .
9 لم ترد لفظة «فيه» في ق ، ط .
10 ب ، ق : تنقسم على قسمين .
11 في الأصل : نَظَرِ الوجه . ــ وما أثبتناه من النسخ الأخرى .
12 م : بصر القلب . ــ تحريف .
13 الزيادة من م ، ق ، ب .
14 الزيادة من م ، ق ، ب .

وغَسَقِ اللَّيْلِ[1] . وليس غَسَقُ الليلِ على[2] بَصَرِ الوَجْهِ بأشَدَّ سواداً وظُلْمَةً[3] من سوادِ حُبِّ الدنيا وظُلْمَتِها على بصيرةِ القلبِ . وهذا مَثَلٌ يُضْرَبُ للجاهِلِ الرَّديءِ الحالِ والعالِمِ الفاسِقِ الرَّاغِبِ في الحظِّ العاجِلِ . فإذا أشْرَقَ نورُ الشمسِ ، وانْجلَتِ الظُّلْمةُ[4] عن الأُفُقِ ، وكانَ نورُ البَصَرِ سالِماً مِنَ الخللِ ، ثَبَتَتِ الأقدامُ على الطَّريقِ للسَّالِكِ وإنْ كان في الطَّريقِ وَعَرٌ[5] . فإذا لم يُوجَدْ[6] للشَّمْسِ شعاعٌ ، ولا للبَصَرِ نورٌ لَمْ تَثْبُتِ الأقدامُ على طَريقٍ لسَالكٍ[7] وإنْ لم يكنْ بالطريقِ وَعَرٌ . فإنَّ الأَقْدامَ لا تَثْبُتُ على طريقٍ إلاَّ بوجودِ نورِ البصرِ وضياءِ الشَمْسِ . هذا في حقِّ عالَمِ الشهادَةِ [الحِسيِّ ، لَكِنْ يَستَخْرِجُ العبدُ الفَطِنُ من هذا المَثَلِ المُتَعَلِّقِ بعالَمِ الشهادَةِ][8] معْنىً آخَرَ يتوصَّلُ به إلى مَعْرِفَةِ أسرارِ عالَمِ الغيبِ والمَلَكوتِ المَعْنَوي وهو المَطْلوبُ المَرغوبُ فيه[9] لا يَنْفَكُّ عنه سالكٌ مُجِدٌّ في سَيْرِهِ . فإنَّ مَعْرِفَةَ الطَّريقِ قبل السَّفَرِ بالوَصْفِ والدَّليلِ أيْسَرُ على السَّالِكِ مِنْ خُروجِهِ على الطَّريقِ المَجْهولِ الصَّعْبِ على مَطِيَّةٍ غيرِ رائضَةٍ[10] ، وهي العِلَّةُ التي تُبْطِيءُ بكلِّ سالِكٍ جاهِلٍ بطريقِ سَفَرِهِ ولا يَبْعُدُ انْقِلابُهُ على عَقِبَيْهِ . وعلى الجُمْلَةِ مَنْ رَكِبَ مَطِيَّةً غيرَ رائضةٍ ومَرَّ بطريقٍ مَجْهولٍ ، لا يتأتى منه وُصولُ المَنْزِلِ أصْلاً . ولا سِيَما إذا كان السَّالِكُ مُتَشَبِّهاً بالسَّالِكِينَ دون حقيقَةٍ ، بلا نَعْلٍ ولا زادٍ مُبَلِّغٍ . وقد يَتَعَذَّرُ وُصولُ المَنْزِلِ على ذي حَزمٍ واجْتِهادٍ وزاهِدٍ في الكَوْنَيْنِ . فإنَّ الزُّهْدَ في الكَوْنَينِ[11] بداية الغَيْبَةِ عن الخَلْقِ وأوَّلُ المِعْراجِ[12] إلى رِياضِ المُشاهَدَةِ وهي مَقامُ الواصِلينَ[13] . فكيف يَصِلُ[14] مَنْ أهْمَلَ نَفْسَهُ وحَمَلَ دُنْياهُ على عاتِقِهِ ؟ .

---

1 الغسق ظلمة الليل . وفي القرآن الكريم ﴿أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل﴾ .

2 ع ، ط : عن . ــ وما أثبتناه من م ، ق ، ب .

3 ب : بأشد سواد وظُلمات . ــ تحريف .

4 ق : الظلمات .

5 ق ، ب : بالطريق . ــ ووعَرُ الطريق : صعوبته .

6 ب ، ق : يجد . ــ تحريف .

7 ق : على الطريق للسالك .

8 ما بين الرقمين لم يرد في ب .

9 لم ترد لفظة «فيه» في ط .

10 مطية رائضة : سهلة المركب .

11 قوله : «فإن الزهد في الكونين» لم يرد في ق .

12 ب : العروج .

13 ق : الصالحين .

14 لم ترد كلمة «يصل» في ق ، ب .

فصل

[كيف تنفتح للعبد أبواب السعادة إذا كانت نفسه للسر حجاباً ؟]

واعْلَمْ يا أخي أنَّ الطريقَ صَعْبٌ ، والسَّفَرَ مُرٌّ ، والصَّبْرَ جَمْرٌ . فكيفَ الوصولُ عليه[1] والعقلُ ضعيفٌ ، والزَّادُ طَفيفٌ ، والمفازَةُ مسْبِعَةٌ[2] ، والنَّفْسُ عنه مُرَوَّعَةٌ ، والهِمَّةُ عنه مُنْصَرِفَةٌ وجُنودُ الهوى مُؤْتَلِفَةٌ ، والقلوبُ مِنَ الدنيا عَلِقَتْ ، والأَلْسُنُ بالعَوِيلِ على فَقْدِها نَطَقَتْ ، وسُلْطانُ الكَسَلِ في الصَّدْرِ قد سَكَنَ ، وظَلامُ الفُتورِ في النَّفْسِ تَمكَّنَ ؟ فكيفَ تَنْفَتِحُ للعبدِ الأبوابُ إذا كانتْ نفسُهُ للسِّرِّ حِجاباً ؟ فهذا طَريقٌ قَلَّ سُلاَّكُهُ[3] لَمَّا كانَ الوَرَعَ مِلاكُهُ[4] .

لَعَمْرُكَ[5] ما تَثْبُتُ على هذا الطريقِ قَدَمُ سالِكٍ[6] إلاَّ مَنْ لَمْ يُبالِ[7] بِرِزْقٍ مُقَتَّرٍ ، ولا بِكَرْبٍ مُكَرَّرٍ ، ولا بِحُزْنٍ يَحُلُّ ، ولا بِفَرَحٍ يَرْحَلُ[8] ، ولا بِدُنْيا زُوِيَتْ[9] ، ولا بِمَنْزِلَةٍ وُضِعَتْ ، ولا بِسُرورٍ مُعَجَّلٍ ، ولا بِحظِّ نَفْسٍ مُؤَجَّلٍ . فهذا صِنْفٌ مَوْسومٌ بالقِلَّةِ ، والـمُتَشَبِّهُ بِهم إذا امْتُحِنَ افْتَضَحَ ، فإنَّ مِنْ وَعَرِ الطَّرِيقِ يَتَأَتَّى امْتِحانُ السَّالكينَ . فإذا بَدَتْ صُعوباتُ الطريقِ امْتازَ السَّائِرُ عن الرَّاجِعِ[10] .فطَريقُ الزَّاهِدِينَ[11] إلى الله تعالى بين وَعِرٍ وصُعُوبَةٍ وبين مَشَقَّةٍ ومُصيبَةٍ . هذا في حَقِّ العوامِّ مِنْ أبْناءِ الآخِرَةِ ، وهو أيضاً بين لذَّةٍ وعُذوبَةٍ ، ويُسْرٍ وسُهولَةٍ في حقِّ خُصوصِهِمْ لأنَّ شُرْبَ عُمومِ أبناءِ الدنيا من عينِ الجزعِ ، وشُربَ أبناءِ الآخرة[12] مِنْ عينِ الصبرِ ، وشُرْبَ خُصوصِهِم من عينِ الرِّضى ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُناسٍ مَشْرَبَهُمْ﴾[13] . لَعَمْرُكَ لَقَدْ جَدَّ السَّيْرُ بِمَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ ، وطابَ عَيْشُ مَنْ صَدَقَ رَبَّهُ ، وأشْرَقَ نَهارُ العقْلِ على مَنْ[14] فارقَ لَيْلَ الجَهْلِ .

---

1 ق ، ب : إليه . ـ تحريف .

2 ب : والمفازة مسبغة ، والنفس مسبعة ، والنفس عنه مُروعة . ـ تحريف . ـ ومفازة مسبعة : تكثر فيها السباع .

3 ع ، ط : سالكه . ـ وما أثبتناه من م ، ق ، ب .

4 مِلاك الشيء ومَلاكُه : قِوامه وأساسه وجوهره .

5 م : لعمري .

6 ب : قدم السالك .

7 في الأصل : قدم سالك الأمر لم كان الوعد لم يبال . ـ وهو تحريف صوابه من النسخ الأخرى .

8 م ، ب ، ط : يرتحل .

9 زويت عنه الدنيا : أعرضت عنه .

10 ع ، ط : السائر والراجع . ـ وما أثبتناه من م ، ق ، ب .

11 ق ، ب : بطريق الذاهبين .

12 في الأصل : وشرب عوام أبناء الآخرة . ـ وما أثبتناه من النسخ الأخرى .

13 سورة البقرة . الآية : 60 .

14 ع ، م ، ط : عمن . وما أثبتناه من ق ، ب .

فصل [في المقام الأول من الخوف]

واعْلَمْ رحمك الله أنَّ بنور الرُّوحِ[1] الرُّوحانِيِّ تَنْفتِحُ لك أبوابُ المَلَكوتِ ، وتَرْقى عن العالَمِ[2] الجِسمانيِّ[3] رُقِيّاً تُسْرِعُ العُروجَ عنه بِمِقْدارِ مادَّةِ التَّوفيقِ[4] . فأولُ ذلك زوالُ غَشاوَةِ العَمى عن بصيرتِكَ فَتَنْظُرُ إلى ما أعَدَّ الله تعالى لأَهْلِ الجرائِمِ والذُّنوبِ من السُّخْطِ في دارِ العَذابِ فيُؤْلِمُكَ ما اقْتَرَفْتَ[5] من ذَنْبٍ وتَخافُ من أجْلِهِ على نَفْسِكَ من المَهالِكِ المُهْلكةِ[6] كما يَخافُ على نَفْسِهِ مَنْ أشْرَفَ على الغُرَفِ[7] . وهذا هو[8] خوفُ العوامِّ من أبْناءِ الآخرَةِ ، وله شَرْطٌ يُعْرَفُ به صِدْقُ الخائِفِ . فشرطه مُفارَقَةُ المَعاصي ، والهُروبُ من الشُّبُهاتِ ، والارْتِفاعُ عن الشَّهواتِ ، والدُّخولُ في الطَّاعةِ بِحَزْمٍ واجْتِهادٍ ، وانكسارُ القلب من الوقوفِ[9] بين يَدَيْ الله تعالى بِكِتابٍ له باطنٌ مُلَطَّخٌ ، وظاهِرٌ مُوَسَّخٌ ، مَمْلوءٌ بالقَبائِحِ ، مَخْتومٌ على الفَضائِحِ ، ولستَ بِذي قوَّةٍ[10] فَتَنْتَصِرَ ، ولا بريئاً من الذنوبِ فتعتذرَ .

فصل في المقام الثاني من الخوف

فإذا سَمَتْ[11] هِمَّتُكَ ، وكَحَلَتْ[12] بنورِ التوفيقِ بصيرتُكَ ، ونَظَرتَ بتأَمُّلِ فِكْرَتِكَ في التَّقْديرِ السَّابِقِ على[13] أي عَمَلٍ تَقْبِضُ ولأيِّ دارٍ من بين يديه [سُبْحانَه][14] تَنْصَرِفُ ، يَطْرَأُ عليك مِنْ أجلِ ذلك نَسيمُ الخَشيةِ والإشْفاقِ والوَجَلِ ، ويَزولُ عنك حُبُّ الحياةِ ، وتَعُدُّ نَفْسَكَ من الأمواتِ ، ولا تَجِدُ نَفْسُكَ إلى الغُرورِ[15] بالأماني مَطْلَعاً ، ولا إلى

---

1 لم ترد كلمة «الروح» في ق ، ب .

2 ب : المعالم . ـ وهو تحريف .

3 ق ، ب : الظلماتي .

4 ق ، ب : بمقدار ما التوفيق . ـ تحريف .

5 ق : ما أشرفت . ـ تحريف .

6 لم ترد لفظة «المهلكة» في ط .

7 والغرف جمع غرفة وهي العليّة . ـ وقد تقدم شرحها في ص 84 .

8 لم ترد لفظة «هو» في ق ، ب ، ط .

9 ط : والوقوف . ـ تحريف .

10 ط : ولست تبدي قوة .

11 ق : أسمنتَ . ـ ب : سمعت . ـ وكلاهما تحريف .

12 كَحَلَتِ العينُ تَكْحَلُ : اسودت أجفانها خِلقة . ـ المعجم الوسيط : كَحَلَ .

13 ق ، ب : وعلى . ـ تحريف .

14 الزيادة من م ، ق ، ب .

15 ع ، ط : الغرر . ـ تحريف صوابه من النسخ الأخرى .

الرجـوع[1] إلى الغفْلَـةِ مَرْجِعاً ، إذا كان التَـأَمُّلَ في المَخاوِفِ دَأْبُكَ[2] ، ودامَ على ذلك فِكْرُك .

فصل في المقام الثالث من[3] الخوف

فإذا زالَ عنك أَمَلُكَ ، ونظَرْتَ في اقترابِ أجلك ، وجـالَ فكرك[4] في حُسْنِ عوائِدِ مَنْ مَضَى ، وسُرْعة تَرَقِّيهم مَقامَ الرِّضى ، عَرَفْتَ[5] ضرورةً أنّكَ مُقصِّر فيما طَلَبوا ، وهِمَّتَك مُنصَرِفَةٌ عما رَغِبوا ، وأنْتَ عاجِزٌ عن تَرَقِّي ما رَقَوْا ، ومُواصِلٌ لِمَا[6] عنه نأوْا . فحينئذٍ تَتَجرَّدُ[7] للطَّلَبِ ولا تُبالي بنَصَبٍ[8] ولا تَعَبٍ ، فَتَهْجُرُ فحينئذٍ نَفْسَكَ ، وتُحارِبَ عدُوَّكَ ، وتَسْتَفيدَ أوقاتَ عُمرِك ، وتَطْلُبَ مَرْضاةَ سيِّدِكَ . وتَبْذُلَ الجُهْدَ مَخافَةَ الفَوْتِ فَتطلُبَ الراحةَ في التعَب ، والرَّخاءَ[9] في الشِّدةِ ، والصِّحةَ في العِلَّـةِ ، والغِنى في الفقْرِ ، والحياةَ في الموتِ ، والحُضورَ في الغيْبةِ ، والغَيْبَةَ في الحُضورِ ، والنطق في الصَّمْتِ ، والسَّمْعَ في الصَّمَمِ ، والسَّفَرَ في الحَضَرِ ، والأُنْسَ في الوَحْشَةِ ، والرِّضى في السُّخْطِ ، والنَّعيمَ في العَذابِ ، الزُّهْدَ في الأسْبابِ . فإنْ فَعَلْتَ ذلك فنِعْمَ ما أنتَ عليه[10] ، ولم تُبال حيثُ ما كُنْتَ . لَعَمْرُكَ لقد أَسْكَنْتُ[11] تَحت هذه الألفاظِ سِيَرَ[12] الأصْفِياءِ ، وعَوائدَ الأولياء ، يَعْجِزُ عن فهْمِها كُلُّ جاهِلٍ ، ويَبْعُدُ عن ذَوْقِها[13] كلُّ غافِلٍ ، ويعرفُ تأويلها[14] كلُّ عاقِلٍ . ليس العِلْمُ[15] مثلَ الذَّوْقِ ، وليس الطَّعْمُ[16] مثلَ الشَّوْقِ ، وليس الخَبَرُ

---

1 ق ، ب : ولا تجد إلى الرجوع .

2 الدأب : العادة .

3 ق ، ب : في .

4 لم ترد لفظة «فكرك» في ق ، ب .

5 ط : وعرفت . ـ تحريف .

6 ع ، ط : بما . ـ وما أثبتناه من النسخ الأخرى .

7 في الأصل : تتحرك . ـ وما أثبتناه من النسخ الأخرى .

8 م ، ق ، ب : ولم تبال . ـ والنَّصَبُ : الجهد والتعب . ـ ومنه قوله تعالى ﴿ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نَصَبٌ ولا مَخْمَصَةٌ في سبيلِ الله﴾ .

9 ب : والرضى في الشدة .

10 لم ترد لفظة «عليه» في م ، ق ، ب .

11 ع ، ط : سكنت . ـ وما أثبتناه من م ، ق ، ب .

12 م : سر . ـ ب : سفر .

13 م ، ق ، ب : عن فعلها .

14 ب : تأولها .

15 ق ، ب : العمل . ـ وهو تحريف .

16 م ، ق ، ب : الطمع . ـ وهو تحريف .

كالعيانِ ، وليس عِلْمُ الفَمِ كعِلْمِ الجَنانِ[1] ، وليس الماشي كالرَّاكِب ، وليس الشُّرْطيُّ كالحاجِب ، وليس المُقبِلُ كالواصلِ ، وليس الفارغُ كالدّاخل ، وليس الشّاربُ كالرّاوي ، وليس الصّحيحُ كالمُتَداوي .

فهذه أمثالٌ[2] يَتَناسَبُ[3] بعضُها لبعض وإنْ كانت الحالاتُ فيها لم تتساوَ[4] في الرُّتْبَة ، لكنها إشارةٌ لَمعرفة الخُصوص من العُموم من أبناء الآخرة . فإنَّ مقاماتِ الخُصوص والعُمومِ وإنْ سَفَلَتْ مقاماتُ بعضٍ ، وارتَفَعتْ مَقاماتُ آخرينَ[5] يَتَناسَبُ[6] بعضها لبعضٍ كنِسْبَةِ الخَمْسَةِ إلى الخَمْسينَ بالخُمُسِ وكنِسْبَةِ المِئةِ إلى الألف بالعُشْرِ[7] ، لكنَّهم وإنْ كان التفاوتُ بينهم لا يَنْحَصِر كُلُّهم رجالُ الله وأهل طاعَتِه . والأمثالُ التي لا يُناسِبُ بعضُها لبعض مثلُ قولِكَ : ليس المُتْرَفُ[8] كالزَّاهِدِ ، وليس المُجتهدُ كالرّاقِدِ . فافْهَمْ معنى ما ذَكَرْتُ لك تَسْتَخْرِجْ[9] بفهْمِكَ مِنْ أَسْرارِ[10] الأمْثالِ[11] المُتَناسِبَةِ عِلْماً جَمّاً ، إنْ لم يَحْتَكِرْ قلبك جهلاً وعمىً .

فصل في المقام الرابع من الخوف

فإذا نَظَرْتَ بنورِ فِكْرِكَ في تَصَرُّفِ[12] أحْكام الله تعالى في خَلْقِهِ ، وعَلِمْتَ أنَّ السَّالِمَ مَنْ سَلِمَ في الأزَلِ ، والسَّعيدَ مَنْ أَسْعَدَهُ الله سبحانه[13] في القِدَم ، تَحَقَّقَ[14] في قَضيَّةِ عَقْلِكَ أنَّهُ لا يُخْتَمُ لك إلاَّ بِما سَبَقَ عليكَ في بِدايَتِكَ . فخاتِمَتُكَ هي نِهايَتُكَ والنهاياتُ نتائجُ البِداياتِ ،

---

1 الجنان : القلب .

2 ط : وفي هذا أمثال . ـ ق : فهذه مثال .

3 م ، ب : يناسب .

4 ب : وإن كانت الحالات لم فيهم لم تساو . ـ تحريف .

5 في الأصل : وارتفعت مقامات بعض . ـ وما أثبتناه من م ، ق ، ب . ـ وفي ط : وإن سفلت مقاماتٌ وارتفعت مقاماتُ بعضٍ .

6 في الأصل : يناسب . ـ وما أثبتناه من النسخ الأخرى .

7 م ، ق ، ب : كنسبة المئة إلى مئة ألف بالعشر .

8 في الأصل : المترفة . ـ وما أثبتناه من النسخ الأخرى .

9 ب : تخرج . ـ وهو تحريف .

10 في الأصل : من الأسرار . ـ تحريف صوابه من النسخ الأخرى .

11 ب : الامتثال . ـ تحريف .

12 ط : تصريف .

13 ق ، ب ، ط : تعالى .

14 ق ، ب : تحقيق . ـ تحريف .

فَيَطْراً عليك[1] مِنْ أجل ذلك خوفُ زوالِ المَعْرفةِ ، ونورِ الإيمانِ ، والطَّردِ عن الإسلامِ ، واللُّحوقِ بِعَبَدَةِ[2] الأَوْثانِ ، وإلى هَذه العِلَّةِ الإشارةُ بسِرٍّ قولِهِ تعالى : ﴿وما كَانَ اللهُ لِيُضِلَّ قَوْماً بعدَ إذْ هَدَاهُم حتى يُبَيِّنَ لَهم ما يَتَّقون﴾[3] .

واعْلَمْ أنْ تَحت هذا الخطابِ سِرٌّ مُدْرَجٌ[4] تَقَطَّعَتْ مِنْ أجْلِهِ أفْئِدَةُ الخائفينَ لأنّهُ سَبَبُ خُلودِ العَبْدِ في النَّارِ مع الخالدينَ . لعَمْرُكَ إنَّ مَنْ عُذِّبَ سِنينَ ثُمَّ أُخْرِجَ[5] إلى النَّعيمِ أخَفُّ [حالاً][6] مِمَّنْ يَخْلُدُ في الجحيمِ لأنَّ «بعضَ الشرِّ أهْوَنُ من بعضٍ»[7] . فَخَوْفُ الخُلودِ[8] في الجحيمِ يَتَلاشى في جَنْبِهِ كُلُّ خَوْفٍ دونَهُ . فإنَّ السَّيْفَ إذا قَرُبَ للرِّقابِ[9] يتلاشى في جَنْبِهِ خوفُ السِّياطِ[10] .

فصل في المقام الخامس من الخوف

فإذا نظَرْتَ بنورِ فِكْرِكَ في العَظَمَةِ والجلالِ ، والعزةِ والكمالِ ، والحِكمةِ والاقْتِدار ، وإتْقانِ صنائعِ الجبَّارِ ، لم تنظُرْ بِبَصيرَتِكَ[11] لخوفِ عذابٍ ، ولم تُشْغِلْ فِكْرَكَ بِخوفِ[12] عِقابٍ فتطرحَ نَفْسَكَ[13] بين يديهِ ، ويأبى قَلْبُكَ [النَّظَرَ][14] إلاَّ إليهِ سُبحانَهُ ، وتَسْكُنُ تحت ظِلِّ الأَقْدارِ[15] سُكوناً مَجَرَّداً عن خوْفِ الوعيدِ ، ولا يكونُ لك خَوْفٌ إلاَّ البُعْدُ[16] والحِجابُ

---

1 ط : فطوبى عليك . ــ وهو تحريف .

2 ق ، ب : بعبادة . ــ تحريف .

3 سورة التوبة . الآية : 115 .

4 ع ، م : مدروج . ــ وما أثبتناه من ق ، ب ، ط .

5 ع ، ط : خرج . ــ وما أثبتناه من م ، ق ، ب .

6 الزيادة من م ، ق ، ب ، ط .

7 مثل مشهور مقتبس من قول الشاعر :
أَبَا مُنْـذِرٍ أَفْنَيْـتَ فاسْتَبْقِ بَعْضَنَـا ... حَنَانَيْكَ بَعْضُ الشرِّ أهونُ مِن بعض

8 ق ، ب : فخوفك الخلود .

9 قوله : «كل خوف دونه ... للرقاب» لم يرد في ق .

10 في الأصل : خوف السلطان . ــ تحريف صوابه من النسخ الأخرى .

11 ق : لم تنظر بصيرتك .

12 في الأصل : لخوف وما أثبتناه من م ، ق . ــ وفي ط : ولم تشتغل فكرك لخوف .

13 ط : من نفسك . ــ ق : بنفسك .

14 الزيادة من م . ــ وفي ق ، ب ، ط : من النظر .

15 ب : الاقتدار .

16 م ، ق ، ب : إلا البين .

فَتَسْتَنْشِقَ نَسيمَ الهَيْبَةِ والتَّعْظيمِ ، وتُلْقي[1] عنك كُلَّ مُرادٍ ، وتَعْلَمَ يقيناً أنَّ ربَّكَ هو المُريدُ وأنتَ المُرادُ ، فتسْمَحُ بِنفْسِكَ[2] وتُسَلِّمُها للأحكامِ لتُحَوِّلك الأقدارُ كالمَيِّت بين يديْ الغَسَّالِ[3] يُقَلِّبُهُ كيف يَشاءُ . ولا يَتْرُكُ اسْتِغْراقُكَ في مِنَنِهِ ، وإجالَةِ فِكْرِكَ في عَظَمَتِهِ بلا يَقينٍ منكَ فضلاً[4] للوُقُوفِ مع رَسْمِكَ[5] ، والرُّجوعِ إلى ذاتِكَ ، و[تغيبُ][6] عن الخوفِ مِنْ عِقابِهِ ، والرَّجاءِ في ثوابِهِ .

فهذا مَقامُ السّالكين السَّاداتِ والأَكابِرِ[7] ، الّذينَ هُم الكَنْزُ والذَّخائر ، تَنْخَفِضُ دونَ أعالي هذا المَقامِ هِمَمُ أكْثَرِ السّالكينَ ، ولا يَرْقاهُ[8] إلاَّ مَشايخُ العارفينَ . وفَوْقَهُ مقاماتٌ عالياتٌ يَعْجزُ عن العروجِ إليها الصِّدِّيقونَ والرُّوحانيونَ ، لايُسْتَطَاعُ العُروجُ إليها[9] إلاَّ بنورِ الاصْطِفاءِ والاجْتِباءِ لأنَّها دَرَجاتُ[10] النَّبيئينَ عليهم الصلاةُ والسَّلامُ[11] ، لا مَطْمَعَ لأحَدٍ بَعْدَهم في مُلاحَظَتِها وذَوْقِها إلاَّ بِمَشامِّ الرِّيحِ . فإنَّ الأنبياءَ عليهم الصَّلاةُ و السلامُ حُجَّةُ[12] الله تعالى على خَلْقِهِ ، والدُّعاةُ إلى أمْرِهِ . فهم ساداتُ الخَلْقِ ، وأهْلُ حقيقةِ الحقائقِ[13] ، أعطاهم الله من مَعْرِفَتِهِ فوق ما أعْطانا وكَساهم من الحياءِ فوق ماكَسانا[14] ، وسَقاهُم مِنْ شراب أُنْسِهِ فوق ما سَقانا[15] ، فقطرةٌ مِنْ

---

1 ط : وتلغي . ـ م : وترقي .

2 م ، ب : فتسخو بنفسك . ـ ق : فتستخف .

3 م ، ق ، ب : الغاسل .

4 في الأصل : و إجالة فكرك في عظمته فلا يبقى منك فضلا ـ وهو تحريف صوابه من م ، ط . ـ وقوله : «بلا يقين» لم يرد في ق ، ب .

5 الرسم في اصطلاح الصوفية هو الخَلْقُ وصفاته لأن الرسوم هي الآثار ، وكل ما سوى الله آثاره الناشئة عن أفعاله . ـ اصطلاحات الصوفية للقاشاني : 150 . ـ انظر أيضاً معجم اصطلاحات الصوفية (عبد المنعم الحنفي) : 112 ، ومعجم ألفاظ الصوفية (حسن الشرقاوي) : 151 .

6 الزيادة من م ، ق ، ب ، ط .

7 قوله «والأكابر» لم يرد في ط .

8 ع ، ط : ولا يلقاه . ـ تحريف صوابه من ق ، ب . ـ وفي م : ولا يرقوه . ـ تحريف .

9 ع ، ط : لا يستطاع إليها العروج . ـ وما أثبتناه من م ، ب . ـ وفي ق : لا يستطاع العروج إلا بنور .

10 م ، ب : درجة .

11 م ، ق ، ب ، ط : عليهم السلام .

12 ق ، ب : هم حجة .

13 حقيقة الحقائق في الاصطلاح الصوفي هي الذات الأحدية الجامعة لجميع الحقائق وتسمى حضرة الجمع وحضرة الوجود . ـ انظر : اصطلاحات الصوفية للقاشاني : 59 والتعريفات : 65 .

14 ع ، ق ، ب ، ط : وأكساهم من الحياء فوق ما أكسانا . ـ وما أثبتناه من م .

15 ب ، ط : وأسقاهم من شراب أنسه فوق ما أسقانا . ـ يقال : سقاه وأسقاه بمعنى واحد . فالفعل ثلاثي

شرابِهم قَطرةٌ اخْتَطَفها الصدّيقون والرُّوحانيون والأولياء والأبْدالُ[1] ثم مَنْ يَليهم في الرُّتْبَةِ فسَكِروا منها جميعاً سَكْرَةً دَوَّرَتْ سلاطينَ عُقولهم ، وعَلِقَتْ منها ألْبابُهم . ومَنْ أرادَ أنْ يَطْمَحَ[2] بَبَصَرِه إليهم مِمَّنْ هو دونَهم في الرُّتبةِ إنَّما حَرَكَهُ وِجْدانُ الرَّائِحةِ[3] .

فصل [ما بلغ الناسَ من كلام الله هو ما تحتمله عقولهم]

لا يَصْلُحُ السَّفَرُ بلا زادٍ ، ولا يَرْبَحُ مَنْ لَمْ يَكُنْ في أَمَلِهِ الميعادُ[4] ، ولا يَتَّصِلُ بالصَّفاء ، مَنْ لم يَذُقْ طَعْمَ الوفاء . واعْلَمْ أنَّ صَقْلَ القُلوبِ مِنَ الكَدُوراتِ أشَقُّ مِنْ شُرْبِ المَراراتِ . لا يَتَقَرَّبُ أحدٌ إلى المُلوكِ إلاَّ بعد نَظافةِ الثِّيابِ والأجْساد ، ولا يَتَقَرَّبُ أحدٌ إلى اللهِ إلاَّ بعد صَقْلِ الفُؤادِ . وحَكَى عبدُ الرحمن الموصي[5] رحمه الله أنَّ صُنَّاعَ الفُرْسِ وصُنَّاعَ الرُّومي تَمارَوا[6] بين يديْ مَلِكٍ مِنَ مُلوكِ الرُّومِ[7] ، وادَّعى كل فريقٍ مِنْهم أنَّهُ أَتْقَنُ صَنْعَةً[8] مِنَ الفريقِ الآخرِ[9] ، فَأَمَرَ الملك بِبِناء[10] قصرٍ وأَمَرَ صُنَّاعَ الفُرْسِ أنْ يَبْنوا منه[11] جانباً ، وأمَرَ صُنَّاعَ الرُّومِ أنْ يَبْنُوا الجانِبَ الآخر ، وجَعَلَ بَيْنَهم حِجاباً كي لا يَرى بَعْضُهم ما صَنَعَ بعضٌ ، فَأَمَرَ شَيْخُ الرُّومِ تَلامِذَتَه[12] بِاعْتِدالِ الجِدارِ وكَمالِ الصَّنْعَةِ وإتْقانِها وتَزْوِيقِها[13] بِأنواعِ التَّزاوِيقِ والتَّصاوير[14] . وأمَرَ شَيْخُ الفُرْسِ تلامِذَتَهُ

ورباعي . قال تعالى : ﴿وسقاهم ربهم شراباً طهوراً﴾ . وقال تعالى :﴿وجعلنا فيها رواسي شامخات وأسقيناكم ماء فراتا﴾ .

1 الأبدال جمع بدل ، ويدل في الاصطلاح الصوفي على إحدى مراتب الأولياء عند الصوفية . انظر معجم ألفاظ الصوفية (حسن الشرقاوي) : 22 ، ومعجم المصطلحات الصوفية (أنور فؤاد أبو خزام) : 37 .

2 ب : أن ينظر .

3 في الأصل : في الرتبة ألقى حركة وجدان الراحة ــ ق : في الرتبة ألقى حركة وجدان الرائحة . ــ ط : في الرتبة ألقى إنما حركه وجدان الرائحة . ــ وما أثبتناه من م ، ب .

4 في الأصل : المعاد . ــ والتصويب من م ، ق ــ وفي ط : ولا يربح من لم يؤمله في أمله الميعاد . ــ وفي ب : ولا يدلج من يولمه الميعاد .

5 ق ، ط : عبد الرحمن الموصفي . ــ ب : عبد الرحمن بن يامن الموصلي . ــ م : عبد الرحمن بن يامن الموصي .

6 تماروا : تناظروا وتجادلوا . قال الله تعالى : ﴿فلا تُمارِ فيهم إلا مراء ظاهراً﴾ .

7 ب : بين يدي ملك من الملوك .

8 لم ترد كلمة «صنعة» في ب .

9 م ، ق ، ب ، ط : من الفريق الثاني .

10 م ، ط : ببنيان .

11 رواية م ، ب . ــ وفي ع ، ق ، ط : منها .

12 م ، ق ، ب ، ط : تلامذه .

13 ب : وتزيينها .

14 قوله «فأمر شيخ الروم . . . التزاويق والتصاوير» لم يرد في م .

بِصَقْلِ الجِدارِ حتى يَعودَ كالزُّجاجِ ، ونَهاهم عن التزاويق والتصاوير . فلمَّا تَمتْ صَنْعَةُ الرُّوم قال : شيخُهم للمَلِكِ : تَمَّتْ صَنْعَتُنا . وقال شيخُ الفُرْسِ مثلَ ذلك . فقال المَلِكُ لشيخِ الفُرْسِ أَتَمَّتْ صَنْعَتُكَ وأنت لمْ تَأْتِ بآلةِ التَّزْويقِ[1] ؟ قال له : انزِعِ الحِجابَ مِنْ بيننا وعلينا تمامُ دَعْوانا . فلما زال الحجابُ من بينهم صار كُلُّ ما صَنَعَ الرّوم من التزاويق والتصاوير والزِّينَةِ ظاهِرا في صَنْعَةِ الفُرْسِ كما تَظْهَرُ الصّورةُ في المِرآةِ المَصْقولةِ ، فرأى الناسُ في ذلك عَجَباً عظيماً . ـ وكذلك قَلْبُ الوليِّ إذا تَطَهَّرَ[2] من حُبِّ الدنيا[3] ، وصَفا مِنْ حُبِّ الجاهِ والشَّرَفِ والثَّناءِ والغضبِ والكِبْرِ والحَسَدِ والحِقْدِ والعَداوَةِ وما أشْبه ذلك مِنْ عِلَلِ القلوبِ ، وتَقوّى يَقينُهُ ، وشَمَخَ إيمانُهُ[4] ، وانْصَرَفَتْ للحَقِّ سُبحانَهُ هِمَّتُهُ ، لا يَبْعُدُ عن التَّجَلي[5] إذا صَحِبَتْهُ العِنايةُ والخُصوصِيَّةُ . والتَّجَلي يَأْتي [لجميع][6] قُلوبِ العارفينَ دَفْعَةً واحدةً ، لكنْ لمْ تتساو فيه القلوبُ[7] لأنَّ التفاوتَ يَقَعُ بينهم في ذلك على قَدْرِ صَقْلِ القلبِ مِنْ كدوراتِهِ ، وشموخِ يقينِهِ ، وقُوَّةِ إيمانه ، بل أَقولُ : على قَدْرِ التَّوفيقِ والخُصوصيةِ إذْ ليس كُلُّ قلب صُقِلَ مِنْ كَدوراتِهِ نالَ[8] ذلك لأنَّ القلوب أَوْعِيَةٌ للهِ سُبْحانَه . وهو أَعْلَمُ بالأَوْعِيَةِ التي تَصْلُحُ لوَدائِعِهِ وأَسْراره ، ﴿اللهُ أَعْلَمُ حيثُ يَجْعَلُ رِسالاتِهِ﴾[9] وقال [رسول الله][10] ﷺ : «إنَّ اللهَ [عز وجل][11] خَلَقَ الخَلْقَ في ظُلْمةٍ وأَفاضَ[12] عليهم مِنْ نورِهِ ، فَمَنْ أَصابَهُ ذلكَ النورُ اهتدى ، ومنْ أخطأَه ضَلَّ وغَوى»[13] .

فَفي سِرِّ[14] هذا الحديث تلويحاتٌ مِمَّا أَشَرْنا إليه آنِفاً ، وفي سره أيضاً تلويحاتٌ تَسْتَدْعي

---

1 م ، ب : التزاويق .
2 في الأصل : إذا طهر . ـ وما أثبتناه من النسخ الأخرى .
3 بعد هذا تغير الخط الذي كتبت به الأوراق السابقة من مخطوطة القرويين (ق) وكتب ما بقي منها بخط مغاير .
4 في الأصل : ويسيخ أمامه . ـ وهو تحريف صوابه من النسخ الأخرى .
5 في الأصل : التحلي . ـ تصحيف صوابه من النسخ الأخرى .
6 الزيادة من م ، ق ، ب ، ط .
7 م ، ق ، ب : لم تتساو القلوب فيه .
8 ق : قال . ـ تحريف .
9 سورة الأنعام . الآية : 124 .
10 الزيادة من م ، ق ، ب .
11 الزيادة من م ، ق ، ب .
12 ب : وأفضى . ـ تحريف .
13 لم ترد لفظة «وغوى» في ب . ـ ولم أعثر على الحديث بلفظه في كتب الحديث التي بين يدي .
14 لم ترد لفظة «سر» في ب .

معانيَ أُخرَ ، لأنَّ النبيَّ ﷺ أُعْطِيَ جَوامعَ الكَلِمِ ، وتتشَقَّقُ[1] مِنْ كُلِّ كلمةٍ من كلماتِه حِكمةٌ ومَعانٍ وَفوائِدُ لأنَّهُ غيرُ ناطِقٍ عنِ الهوَى ﷺ . وكذلكَ كَلامُ اللهِ سُبْحانه ، يتشَقَّقُ مِنْ كُلِّ كَلِمةٍ مِنْ كَلامِهِ وُجوهٌ ومعانٍ وإشاراتٌ ولَطائِفُ وأَشْياءُ لا تَنْحَصِرُ ولا تُدْرَكُ غايَتُها . وسِرُّ هذا المعنَى مَدْروجٌ في طَيِّ سِرِّ[2] قَوْلِهِ تَعالَى : ﴿قُلْ لَوْ كانَ البَحْرُ مِداداً لكَلِماتِ رَبِّي لَنَفِدَ البحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كلماتُ رَبِّي ولو جِئْنا بِمِثْلِه مَدَداً﴾[3] . فلَوْ كُتِبَ[4] أَبَدَ الآبادِ بالأَقْلامِ والمِدادِ في قَراطيسَ[5] ما نَفِدَ معنى كَلِمةٍ مِنْ كلامِهِ . وما لا يُوصَفُ من ذلك ولا يُفْهَمُ أَكْثَرُ مِمَّا قد أُشيرَ إليه ، وإنَّما بَلَغَ[6] النَّاسَ مِنْ معنى كَلامِهِ سبحانَهُ ما يُفيدُهُم مِنْ مَعْنَى[7] العُبودِيَّةِ مِنْ عِلْمِ ثَوابٍ وعِقابٍ ، وَوَعْدٍ ووَعيدٍ ، وما تَتَعَلَّقُ به أُمورُ الديَّاناتِ على قَدْرِ[8] ما تَحْتَمِلُهُ العُقولُ . وما لا تَسْتَطيعُ العقولُ فَهْمَهُ واحْتِمالَهُ قَدْ بَقِيَ في غامِضِ عِلْمِ اللهِ سُبْحانَه . وإلى هذا المعْنى الإشارة بسِرِّ قوله [تعالى][9] : ﴿وَما أوتيتُمْ مِنَ العِلْمِ إلاَّ قَليلاً﴾[10] .

فِنِسْبَةُ ما فَهِمَ النَّاسُ مِنْ كَلِمةٍ من كلامِ اللهِ سبحانَهُ إلى ما لَمْ يَفْهَمُوه[11] في معنى القِلَّةِ والكَثْرةِ كَنِسْبَةِ ما أَخْرجَتِ الإبْرَةُ مِنْ ماءِ البحرِ إلى ما بَقِيَ في البحرِ إذا غُمِسَتْ فيه ثُمَّ أُخْرِجَتْ[12] ، لَكِنْ ما بَقِيَ مِنْ ماءِ البحرِ[13] له حدٌّ ومِقْدارٌ . والَّذي بَقِي[14] مِنْ مَعنَى كلمةٍ من كلامِ اللهِ تعالى عن فَهْمِ العُقولِ ودَرْكِ الفُهومِ[15] ليس له حدٌّ ولا مِقْدارٌ ولا نِهايَةٌ . فالقرآنُ

---

1 رواية ب . ــ وفي ع ، ق ، ط : تشقق . ــ م : تنشق .

2 ق : في سر .

3 سورة الكهف . الآية : 109 . ــ وقوله تعالى : ﴿قل لوكان البحر مداداً لكلمات ربي﴾ لم يرد في ع ، ط ، ق . ــ وزيادته من م ، ب .

4 ب : فلو كانت . ــ تحريف .

5 ق ، ب : قرطاس .

6 ق ، ط : بلغ للناس . ــ وفي م : يبلغ للناس .

7 ب : معاني .

8 م ، ب : على حسب .

9 الزيادة من م ، ق ، ب ، ط .

10 سورة الإسراء . الآية : 85 .

11 ق ، ب ، ط : لم يفهموا .

12 في الأصل : خرجت . ــ وما أثبتناه من النسخ الأخرى .

13 رواية م ، ق ، ب . ــ وفي ع ، ط : ما يبقى في البحر من الماء .

14 ق : والذي يفهم من معنى كلمة .

15 في الأصل : الفهم . ــ وما أثبتناه من النسخ الأخرى .

عِبارةٌ وإشارةٌ ولَطائفُ وحَقائِقُ . فالعِبارةُ للسَّمعِ ، والإشارةُ للعقلِ ، واللطائِفُ للمُشاهَدةِ ، والحقائِقُ للاسْتِسْلام . فليس عندَنا مِنْ صِفاتِ اللهِ تعالى وصِفاتِ كَلامِهِ إلاَّ العَجْزُ عنِ الوَصْفِ . وقدْ عَجَزَتِ[1] الخَليقَةُ عن إدْراكِ بعضِ صِفاتِ ذاتِها في ذاتِها وكَيْفِيَّتِها في أنْفُسِها[2] ، فإنَّهُ سبحانَه لم يُمَلِّكِ الخَليقَةَ[3] أنْ تَحْتَوِيَ عِلْمَ أنْفُسِها في أنفسِها ، فكيفَ تُدرِكُ[4] شيئاً مِنْ صفاتِ مالِكِها ؟ .

فصل [من أسرار القرآن الكريم]

واعْلَمْ رحمك اللهُ أنَّ القُرآنَ بَحْرٌ غَميقٌ[5] لا ساحِلَ له ، ومِثْلُ خَتْمَتِكَ لهُ بالقِراءةِ ، وحِفْظِكَ[6] العِبارَةَ عَنْهُ كَمَثَلِ رَجُلٍ نَظَرَ إلى بَحْرٍ لُجِيٍّ لا ساحِلَ له فَلَم يَعْرِفْ من البحْرِ إلاَّ لَوْنَ ظاهِرِهِ وعَزَبَتْ[7] مَعْرِفَتُهُ عن الجواهِرِ واليَواقيتِ التي اشْتَمِلَ عليها قَعْرُهُ وغُموضُهُ وما لا يَتأتَّى للنَّاظِرِ رؤيَتُه . واللَّونُ الظاهِرُ مِثْلُ الأمرِ والنهيِ ، والوَعْدِ والوعيدِ ، والمواعِظِ والأمثالِ وما تَقومُ بِهِ العِباداتُ . وقد اشْتَمَلَ القُرآنُ على جَواهِرَ ويَواقيتَ مَوْجودٌ فيها[8] ما أشَرْنا إليه ورَمَزْنا نَحوَهُ لإخفائِهِ لِمَنْ لَمْ يَقِفْ على[9] القِشْرِ الظاهِرِ ورَقِيَ للتَّغَلْغُلِ في بِحارِ الأَسْرارِ[10] . وأمَّا أهلُ الظاهِرِ فَقَدْ وَقَفُوا على[11] القِشْرِ الظاهِرِ[12] ، واعْوَجَّتْ أفهامُهم[13] فَنَسَبوا ما نَزَلَ بأفْهامِهِم

---

1 في الأصل : عجبت . ـ وهو تحريف صوابه من النسخ الأخرى .

2 ب : وكيف كيفها . ـ وفي ق : عن إدراك بعض ذاتها في ذاتها وكيف كيفها ، فإنه سبحانه . ـ تحريف . ـ م : عن إدراك بعض صفاتها في ذاتها وكيف كيفها في نفسها .

3 م : الخلائق .

4 ط : ندرك . ـ ب : تدري .

5 رواية ق . ـ وفي النسخ الأخرى : غميق .

6 ق ، ب : وحفظ .

7 ب : وغربة . ـ وفي ق : وغوبت . ـ وكلاهما تحريف . وعزَب عنه الشيءُ : غاب عنه . ـ ومنه قوله تعالى : ﴿لا يَعْزُبُ عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض﴾ .

8 ب : على جواهر موجود في أشرنا إليه . ـ وفي ق : على جواهر ويواقيت موجود فيه . . .

9 م ، ق ، ب ، ط : مع .

10 م : في بحر . ـ ق : لإخفاء به لمن يقف مع القشرة الظاهر ووقوا للتعليل في بحر الأسرار . ـ ب : لمن لم يقف مع القشر الظاهر ورقا لله للتغلغل في بحور الأسرار . وفي ط : لإخفائه لمن لم يقف مع الظاهر ورقى للتغلغل في بحار الأسرار . ـ تحريف .

11 ب : مع .

12 لم ترد هذه اللفظة في ق ، ب .

13 ق ، ب : فهومهم .

مِنَ الاعوِجاجِ إلى ما لَمْ يُحيطوا بِعِلْمِهِ مِمَّا سَمِعُوا مِنْ سِرِّ الأَسْرارِ ، كما[1] أنَّ قبيحَ الوجْهِ يَرى قُبْحَ[2] وجهِهِ في المِرآةِ فَيَنْسُبُ القُبْحَ للمِرآةِ ولَمْ يَدْرِ أنَّ القُبْحَ بِوَجْهِهِ تَعَلَّقَ[3] . فأهلُ الظاهِرِ لزِموا القِشرَ وتركوا اللُّبابَ ، فغُلِّقَتْ دونَهم الأبوابُ . وأهلُ التَّحقيقِ مِن أهلِ الباطِنِ نَأَوْا عن مُلاحَظَةِ[4] الأسبابِ فَرُفِعَ عنهم الحِجابُ ، وفُتِحَتْ لَهُمُ الأبوابُ فنالُوا اللُّبابَ .

فصل

في مِثال أهلِ الظاهِرِ والرُّسومِ الواقِفينَ مع القِشرِ الظاهِرِ

اعْلَمْ رحمكَ الله أنَّ مِثلَ أهلِ الظاهِر كمِثلِ قومٍ مَرُّوا بِقَصْرِ المَلكِ فَجَعَلوا يَنظُرون إلى هَيْئَةِ ظاهِرِ القَصْرِ وزينَتِهِ فَحارُوا وتَحَيَّرُوا في ذلك ، ومِثْلُ أهلِ التَّحْقيقِ من أهلِ الباطنِ كَمِثْلِ قومٍ تَركوا النَّظَرَ لظاهِرِ قَصْرِ المَلِكِ ورَفَضُوا الأسبابَ التي يَتَعَذَّرُ مِنْ أجْلِها فَتْحُ البابِ ، فاقْتَحموا البابَ فَوَجَدُوهُ قدْ فَتَحَتْهُ العِنايَةُ ، فَدَخَلوا قَصْرَ المَلِكِ فرأَوا فيه جواهِرَ ويَواقيتَ حارَتْ فيها أبْصارُهم ، ثمَّ نظَروا إلى وَجْهِ المَلِكِ فَأَنْسَتْهم لذَّةُ النظرِ إلى وَجْهِهِ كُلَّ ما استَكن ، فأَشارُوا إلى النَّاظِرينَ إلى زينَةِ ظاهِر القَصْرِ أنِ ادخُلوا ، فقالوا لهم : مَنَعَنا مِنَ اسْتِمتاعِ النظَرِ بزينةِ ظاهِرِ القصرِ[5] ما شَغَلَنا[6] عن الدُّخولِ . فقال لهم الدّاخِلون : لو رَأَيْتُمْ ما اشتملَ عليه باطنُ القصر من الزينةِ ما اغْتَرَرْتُمْ[7] بزينةِ ظاهِرِهِ ، ولو رأيتم وجه المَلِكِ[8] ربِّ القصرِ لَشَغَلَكُم عَمَّنْ دونه[9] ، فما أدرَكْتُم يَتَلاشَى[10] في جَنْبِ عجزِكم وخَساسَةِ حالِكم .

فصل

[من كان بصره شاخصاً إلى الثرى تعذر عليه العروج إلى سدرة المنتهى]

واعْلَمْ رحمكَ الله أنَّ نَظَرَ البَصَرِ قِبْلَةٌ لِحَظِّ القَدَمِ فحيثُ شَخَصَ بَصَرُكَ تَبِعَهُ قَدَمُكَ ، فَمَنْ

---

1 ق ، ب : وكما .

2 ب : قبيح وجهه .

3 ق : معلق .

4 ب : ملاحظات .

5 ب : منعنا من استماع النظر زينة ظاهر القصر .

6 ع ، ق ، ط : أشغلنا ــ وما أثبتناه من م ، ب .

7 ق : ما اعتذرتم .

8 لم ترد لفظة «الملك» في ق ، ب .

9 ب : من دونه .

10 ب : فنداؤنا لكم يتلاشى .

كانَ بَصَرُهُ شاخِصاً إلى الثَّرى تَعَذَّرَ عليه العُروجُ إلى سِدْرَةِ المُنْتَهى [1] . فإنَّ الطاعَةَ يُرْقى إليها في العُلُوِّ ، والمَعْصيةَ يُهْوى إليها في السُّفُلِ [2] . فَمَنْ يَنْظُرُ إلى مَحاسِنِ شَخْصٍ مُؤَنَّثٍ [3] مُحَرَّمٍ عليه كيف يَعرُجُ إلى المَقاماتِ السَّنِيَّةِ إذ لا يَعْرُجُ إليها إلاَّ مَنْ كان سالِماً مِنْ تِلْكَ العِلَّةِ . وإنِ ادَّعتْ نَفْسُكَ أنَّها لا تَجِدُ لِمَحْرَمٍ لَذَّةً حينَ [4] نَظَرِها إليهِ لَمْ يُتَقَبَّلْ [5] منها ذلك لأنَّ النَّفْسَ أرضُ الشهواتِ والخِيانَةِ فَيَسْتَحيلُ في العقْلِ أنْ يُوثَقَ بِمَنْ [6] كانتِ الخِيانَةُ طَبْعَهُ . فإنْ هَزَّكَ النَّظَرُ إلى مَحاسِنِ مَنْ [7] حرَّمَ [اللهُ] [8] عليك ما سَمِعْتَ مِنْ أحْوالِ الأوَّلينَ وهو ما قيلَ إنَّ أحَدَهم قالَ : ما أُبالي [9] نَظَرْتُ إلى امرأةٍ أو إلى جِدارٍ . فلا تَحْمِلْ نَفْسَكَ على ذلك لأنَّ معنى ذلك كما قال القائِلُ : لا أُبالي مِنَ الأسَدِ ولا أُحِبُّ لِقاءَهُ . وكذلك قولُ مَنْ قالَ : المَرْأةُ والجِدارُ [10] عندي سواءٌ ، لا تَبْذُرُ [11] رُؤيته إيَّاها [12] في قَلْبِهِ شَهْوَةً لكِنَّهُ لا يُسَرِّحُ عِنانَ النَّظرِ إليها حذَراً من تَعدِّي الحُدود . ومِثْلُ مَنْ يَدَّعي أنَّهُ لا يَجِدُ لَذَّةً لاِمْرَأةٍ في حين النَّظَرِ ثم يُسَرِّحُ عِنانَ النظر إليها كمثْلِ مَنْ دخَلَ بُسْتانَ المَلِكِ والمَلِكُ قد أحاطَ [13] على البُسْتان بِحائِطٍ [14] ، والبُسْتانُ قَدِ اشْتَمَلَ على ضُروب مِنَ الفواكِهِ ، فقالَ المَلِكُ : لا يَدْخُلْ أَحَدٌ هذا البُسْتانَ إلاَّ بإذْني ، ولا يَأْخُذُ أحدٌ منه شيْئاً إلاَّ ما أَعْطَيْتُهُ [15] . فعَمَدَ رَجُلٌ إلى البستانِ فدَخلهُ ، فقال له [16] الملكُ : ما حَمَلَكَ على

---

1 سدرة المنتهى هي نهاية المكانة التي يبلغها المخلوق في سيره إلى الله تعالى . ـ معجم الصوفية (أبو خزام) : 97 .

2 م ، ق ، ب : في علو ، . . . في سفل .

3 ق : مؤنة . ـ ب : موقّت ـ وكلاهما تحريف . ـ وكلمة «الشخص» تطلق على الذكر والأنثى . قال عمر بن أبي ربيعة :

فكان مِجَنِّي دونَ مَنْ كُنْتُ أتَّقي ... ثلاثُ شُخوصٍ : كاعِبانِ ومُعْصِرُ

4 ب ، ق : في حين .

5 ب : لم يقبل .

6 ق ، ب : لمن .

7 ق ، ب : ما حرم .

8 الزيادة من ق .

9 ب : وهو ما قيل إنَّ العبد أحدكم قال : ما أبالي .

10 ق : الجدار والمرأة .

11 م : لا تُبرز .

12 ع ، ب : إياه . ـ تحريف صوابه من م ، ق .

13 ب : بستان ملك والملك قد أحصر . ـ وهو تحريف .

14 في الأصل : بالحائط . ـ وما أثبتناه من ق ، ب ، ط . ـ وفي م : بحافظ .

15 ق : لا يدخل هذا البستان إلا بإذني ولا يأخذ شيئاً إلا ما أعطيت .

16 لم ترد «له» في ق ، ب .

دُخولِ بُستانِي[1] بغيرِ إذني ؟ فقال الرجل : ما أَفْسَدْتُ[2] في بُسْتانكَ شيئاً ، ولا جَرَتْ عَوائِدِي بِأكلِ ما فيه من الفواكِهِ ، ولا تَحتَمِلُهُ مَعِدَتِي . فقال له المَلِكُ : إنْ نَجَوْتَ مِنْ عقوبَةِ أكْلِ الفواكِهِ إذْ لمْ تَأْكُلْها لَمْ تنجُ مِنْ عُقوبَةِ دُخولِ البُستانِ إذْ في دُخولِهِ بغيرِ إذْني[3] تَعَدٍّ لحُدودِي[4] . ومَنْ تَعَدَّى الحُدودَ لَزِمَتْهُ العُقوبَةُ ﴿وَمَنْ يتعدَّ حُدودَ الله فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾[5] . وهذا مَثَلٌ يُضْرَبُ لِمَنْ يَدَّعِي أنَّهُ لا يَجِدُ للنِساءِ لَذَّةً في [حين][6] النَّظَرِ إليهن[7] .

فصل [من أخلص المحبة لله ملأ الله قلبه نوراً]

اعْلَمْ رحمك الله أنَّ قاعِدَةَ الخُصوصِ التي عنها سَمَوْا طَرْحُ الكَوْنَيْنِ والانْحِجازُ عن[8] كُلِّ شيءٍ [وُجِدَ مِنْ تَحت ذلك][9] ، ويَكْفيكَ في هذا المعنى ما قيلَ إنَّ الله عز وجلَّ أوْحَى إلى يَحْيى بن زكرياء عليهما السلام « أنِّي قَضَيْتُ على نَفْسي أنْ لا يُحِبَّنِي عَبْدٌ[10] مِنْ عِبادِي[11] أعْلَمُ ذلكَ مِنْ نِيَّتِهِ إلاَّ كُنْتُ سَمْعَهُ الذي يَسْمَعُ به ، وبَصَرَهُ الذي يُبْصِرُ به ، ولسانَهُ الذي يَتَكَلَّمُ به ، وقَلبَه الذي يَفْهَمُ به . فإذا كان كذلك بَغَّضْتُ له الاشْتغالَ بغيري ، وأَجْمَعْتُ فِكْرَتَهُ ، وأسْهَرْتُ لَيْلَتَهُ[12] ، وأظمَأتُ نهارَهُ ، وأطْلَعُ[13] إليه في كُلِّ يومٍ سبعينَ مرَّةً أرى قَلْبَهُ مُشْتَغِلاً بِي فأزيدُهُ مِنْ حُبِّي في قَلْبِهِ ، وأَمْلَؤُهُ[14] نوراً حتى يَنظُرَ إليَّ بِنورٍ» .

---

1 ع ، ط : البستان . ـ وما أثبتناه من م ، ق ، ط .

2 ق ، ب : ما فسدت شيئاً في بستانك .

3 لم ترد عبارة «بغير إذني» في ب .

4 ق ، ب : تعدي الحدود .

5 سورة الطلاق . الآية : 1 .

6 الزيادة من م ، ق ، ط . ـ وفي ب : في حال .

7 لم ترد لفظة «إليهن» في م ، ب .

8 في الأصل : على . ـ وما أثبتناه من النسخ الأخرى .

9 الزيادة من م ، ق ، ب ، ط .

10 ب : لا يجني عبد .

11 ع ، ط : عبيدي . ـ وما أثبتناه من م ، ق ، ب .

12 ق : ليله .

13 ع ، ط ، ب : واطلعت . ـ وما أثبتناه من م ، ق .

14 ع ، ط : وأملأ قلبه . ـ وما أثبتناه من م ، ق ، ب .

فصل في أصل العِبادةِ

وللعِبادةُ سِتَّةُ أُصول[1] وهي[2] التَّعظيمُ و الخَوْف والحَياءِ والرَّجاءِ[3] والمَحبَّةُ والهَيْبَة . فمن لَمْ تَتِمَّ له هذهِ المَقاماتُ لَمْ تَتِمَّ له العُبودِيَّةُ .

فالتَّعْظيمُ يَتَعَلَّقُ به الإخلاصُ ، والحَياءُ يتعلَّق به ترك الانْبِساطِ ، والمَحَبَّةُ يتعَلَّقُ بـها الشَّوقُ ، والخوْفُ يَتَعَلَّقُ به تَرْكُ الذُّنوبِ ، والرَّجاءُ يتَعَلَّقُ به تَرْكُ الدُّلْجَة[4] ، والهَيْبَةُ يتعلَّقُ بـها تَرْكُ الاخْتِيارِ .

فصل في الفِكْرة

والفِكرَةُ تَقْتَضي ثَلاثَ[5] مَراتِبَ : فِكْرَةُ العامَّةِ في العَواقِبِ ، وفِكْرَةُ الأَواسِطِ في الطَّوارِقِ ، وفِكْرَةُ الخاصَّةِ[6] في السَّوابِقِ . فابْتِداءُ الفِكْرَةِ بالتَّمْييزِ ، وانْتِهاؤُها بِسُقوطِ التَّمْييزِ .

فصل في فوائد القرآن

وفوائِدُ القُرْآنِ[7] على قَدْرِ [رُتْبَةِ][8] السَّامِعِ . فَمَنْ سَمِعَهُ مِنْ أَمْثالِهِ فَفائِدَتُهُ عِلْمُ أَحْكامِهِ . ومَنْ سَمِعَهُ كأنَّما يَسْمَعُه [من][9] السَّفير[10] الأعلى ، ففائِدَتُه تَبيُّنُ مُعْجِزاتِهِ[11] ، وشَرْحُ الصُّدورِ[12] بلَطائِفِ خِطابِه[13] . ومَنْ سَمِعَهُ كأنَّما يَسْمَعُهُ مِنَ الرُّوحِ فَفائِدَتُهُ مُطالَعَةُ الغُيوبِ ودَقائقِ الإشاراتِ مِنْ مَحَبَّةِ المَحْبُوبِ . ومنْ سَمِعَهُ كأنَّما يَسْمَعُهُ[14] من المُتَّصِفِ

---

1 ب : وصول . ـ ق : فصول ـ تحريف .

2 ع ، ط : وهم . ـ تحريف صوابه من م ، ق ، ب .

3 ب : وهي التعظيم والحياء والخوف .

4 ب : المدلجة . ـ وهو تحريف . ـ والدلجة سير السَحَرِ ، وقيل : سير الليل كله .

5 ب : ثلاثة . ـ تحريف .

6 ق : الخواص .

7 ع ، ط : وفوائده . ـ وما أثبتناه من ق ، ب . ـ وفي م : وفوائد القرآن على رتبة السامع .

8 الزيادة من م ، ق ، ب ، ط .

9 الزيادة من م ، ق ، ب ، ط .

10 كذا وردت الكلمة في الأصول . ولم نجد لها معنى ملائما مع السياق في المعاجم اللغوية ، وفي كتب اصطلاحات الصوفية التي عدنا إليها .

11 ط : تبيين . ـ م ، ب : تبيان معجز .

12 في الأصل : الصدر . ـ وما أثبتناه من النسخ الأخرى .

13 ق : فمن سمعه من أمثاله ففائدته علم أحكامه له وشرح الصدور بلطائف خطابه .

14 في الأصل : كأنما سمعه . ـ وما أثبتناه من النسخ الأخرى .

به فَنِيَ[1] ومُحِقَتْ صِفاتُهُ[2] ، وصارَ موْصوفاً بصِفاتِ التَّحْقيق فَيَفْنى[3] عن عِلْمِ اليَقينِ ، [وعن عَيْنِ اليَقينِ][4] ، وتَحْصُلُ له دَرَجاتُ حَقِّ اليقينِ . اقْرأْ أَيُّها المِسْكينُ إنْ شِئْتَ ﴿إنَّ هذا لَهُوَ حقُّ اليَقينِ . فَسَبِّحْ باسْمِ ربِّكَ العظيم﴾[5] .

[كَمُلَ القُطْبُ الثّاني بِحَمْدِ اللهِ وعَوْنِهِ . وصلى اللهُ على محمد نبيِّه وعلى آله ، عَدَدَ مخلوقاتِه في أرضِه وسمائِهِ ، وعَدَدَ ما أحاطَ به عِلْمُهُ ، وأَحْصاهُ كِتابُه ، وسَلَّمَ تَسْليماً][6] .

1 في الأصول : فنى . ـ وجاء في اللسان «وفَنَى بمعنى فَنِيَ في لغات طي» .

2 ق : وفنا ومحبة صفاته . ـ تحريف .

3 في الأصل : فيبقى . ـ وهو تحريف صوابه من النسخ الأخرى .

4 الزيادة من م ، ق ، ب ، ط .

5 سورة الواقعة . الآيتان : 95-96 .

6 هذه الزيادة من ط . ـ وفي ق : بحمد الله وحسن عونه . ـ ب : بحمد الله تعالى وحسن عونه وتوفيقه الجميل وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد نبيه وعلى آله عدد مخلوقاته في أرضه وسمائه وعدد ما أحاط به علمك وحمله كتابك (كذا) وسلم تسليماً والحمد لله رب العالمين .

القطب الثالث
في البواطن والأسرار

مقدمة القطب
[ليس كل سر يكشف ويفشى ولا كل حقيقة تعرض وتجلى]

واعْلَمْ يا أخي أنَّ الجنَّةَ مُسْتَراحُ العارفينَ ، ومَنازِلُ الصدِّيقينَ ، ورِيَاضُ الرّوحانيّين ، ومواطِنُ المُقَرَّبِينَ ، أعْنِي جَنَّةَ المَعارِفِ[1] . والجَنّاتُ جَنّتانِ : جنَّةُ النَّعيمِ وجَنَّةُ المَعارف . والتَّقوى بابٌ يُدْخَلُ مِنْهُ إليهما[2] . قال الله سبحانه : ﴿سارِعُوا إلى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكم وَجَنَّةٍ عَرْضُها السَّماوَاتُ والأَرْضُ أُعِدَّتْ للمُتَّقين﴾[3] . فإِنْ كانتْ جَنَّةُ النَّعيمِ عَرْضُها السَّماواتُ والأرضُ[4] ، فجَنَّةُ المَعارِفِ[5] لا يُوصَفُ لها طولٌ ولا عَرْضٌ ، ولا لها حدٌّ تَنْتهي إليه ، ولا مِقْدارٌ تُقَدَّرُ به . ومَنْ زَعَمَ أنَّ لها حدّاً أو مِقْداراً أو نِهايَةً فقد أَصَرَّ على جَهْلٍ عظيم[6] . وإلى نَفْيِ الحَدِّ والمِقْدارِ والنِهايَةِ عنها الإشارةُ بِسِرٍّ قوله تعالى[7] : ﴿وما قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾[8] ، مَعْناهُ ما عَرَفوا اللهَ حَقَّ معْرِفَتِهِ ، وقيلَ : ما عَظَّموا اللهَ حَقَّ تَعْظيمِهِ ولا أَجَلُّوهُ حَقَّ جَلالِهِ[9] ، واللهُ عز وجلَّ أَكْبَرُ وأَعْظَمُ[10] مِنْ أنْ يَعْرِفَ أَحَدٌ كُنْهَ كِبْرِيائِهِ وعَظَمَتِهِ وجَلالِهِ . فَمَعْرِفَةُ اللهِ عز وجل[11] بَحْرٌ لا ساحِلَ له . فإذا كان ذلِكَ كَذَلِكَ كانتْ جَنَّةُ المَعارِفِ ليس لها حَدٌّ تَنْتهي إليه[12] . ولا تَحْسِبَنَّ[13] جَنَّةَ المَعارِفِ مَجْهولَةً عند ذَوِي البَصَائِرِ والأَبْصارِ . وقال بَعْضُ

---

1 ب : المعارفين . ــ تحريف .

2 ب : إليها . ــ تحريف .

3 سورة آل عمران . الآية :133 . ــ وقوله تعالى : ﴿وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين﴾ لم يرد في ع ، ط . ــ وزيادته من م ، ق ، ب .

4 ب : عرضها كعرض السماوات والأرض .

5 ط ، ع : جنة العارفين . ــ وما أثبتناه من ق ، ب .

6 ب : فقد أسر لها جهل عظيم . ــ وفي ق : فقد أسر على جهل عظيم .

7 ق : الإشارة بقوله تعالى .

8 تقدم تخريج الآية في ص 70 .

9 في الأصل : جلالته . ــ وما أثبتناه من النسخ الأخرى .

10 ق ، ب : أعظم وأكبر .

11 ق ، ب : الله تعالى .

12 ب : له .

13 ع ، م : ولا تحسب . ــ وما أثبتناه من ب ، ط . ــ وفي ق ، ب : ولا تحسب أن .

العارفين : «ما يَسُرُّني أنْ لَوْ مِتُّ[1] صَغيراً ولَمْ أَعْرِفْ رَبِّي» . فجَنَّةُ المَعارِفِ مُشْتَمِلَةٌ على أَسْرارٍ غامِضَة ليس بَصَرُ مُحِبِّ الدنيا ولا بَصيرَتُهُ لِتِلْكَ الأَسْرارِ مُلاحِظَةً[2] . فالعارِفون يَنْتَخِبونَ للأَسْرارِ أَلْفاظاً تَسْتَتِرُ بها[3] الأَسْرارُ عن وُجوهِ الأَشْرار لأَنَّ العَذْراءَ[4] ذاتَ النَّسَبِ الرَّفيعِ لا تُزاوِلُ[5] الحِجابَ ، ولا يَكْشِفُ عليها إلاَّ أَهْلُها ، هُم يُعَبِّرون عن صِفاتِها . وإلى ذلك الإشارةُ بِقَوله[6] عليه الصلاة السلام[7] : «إنَّ مِنَ العِلْمِ كَهَيْأَةِ المَكْنونِ لا يَعْلَمُهُ إلاَّ العُلَماءُ بالله ، فإذا نَطَقُوا به لَمْ يُنْكِرْهُ[8] إلاَّ أَهْلُ الغِرَّةِ بالله»[9] .

فمَنْ أرادَ أنْ يَقْرَعَ بابَ هذا السِرِّ النَّفيسِ فقَدْ قَرَعَ باباً مُغْلَقاً لا يَنْفَتِحُ إلاَّ للعُلَماءِ الرَّاسِخينَ[10] . ولَسْتُ أعني بالعُلَماءِ أَهلَ دقائِقِ التَّفْريعِ الواقِفينَ مع القِشْرِ الظَّاهِرِ ، وإنَّما الإشارةُ للعلماءِ بالله الذينَ زَهِدوا في الكَوْنَيْنِ جميعاً . وهذا السِّرُّ الذي أَشَرْنا إليه لا يَحِلُّ كَشْفُهُ لِغَيْرِ أهله . [فما مَنْعُ العِلْمِ عن أهلِهِ بِأَكْبَرَ إثْماً مِنْ عَطِيَّتِهِ لغير أهله][11] . فَسِتْرُ هذا السِرِّ أَوْلى وإنْ كانَ هو غايَةَ الطَّالِبِينَ ، ومَطْمَحَ[12] نَظَرِ الصِّدِّيقينَ . فإنَّ الأنبياءَ عليهم الصلاةُ والسلامُ[13] لم يَتَكَلَّموا مع الخَلْقِ إلاَّ في عِلْمِ الطَّريقِ والإرشادِ إليه[14] . وأمَّا عِلْمُ المُكاشَفَةِ لم يَتَكَلَّمُوا فيه[15] إلاَّ بالرَّمْزِ والإيماء على سَبيلِ التَّمْثيلِ والإجْمالِ عِلْماً منهم بِقُصورِ أَفْهامِ الخَلْقِ عن الاحْتِمالِ . «والعلماءُ [هُم][16]

---

1 ب : أن لمت . ـ تحريف .

2 في الأصل : ليس لبصر محب الدنيا ولا لبصيرته لتلك الأسرار ملاحظة . ـ وما أثبتناه من م ، ط . ـ وفي ق ، ب : بلاحظة .

3 ع ، ط : تستتر بهم . ـ وما أثبتناه من م ، ب . ـ وفي ق : تستترهم . ـ تحريف .

4 ب : لأنَّ العمذرات للنسب الرفيع . ـ وهو تحريف .

5 ع ، م : لا تزال الحجاب . ـ وما أثبتناه من النسخ الأخرى .

6 ق ، ب : بسر قوله .

7 م ، ق ، ب ، ط : عليه السلام .

8 ب : لم ينكروه . ـ وهو تحريف .

9 لم أعثر عليه بلفظه في كتب الحديث التي ين يدي .

10 ب : الراسخون . ـ وهو تحريف .

11 الزيادة من م ، ط . ـ وفي ب : فمن منع العلم عند أهله فأكبر إثما من عطيته لغير أهله . ـ وهو تحريف . ـ وفي ق : فإنما منع العلم عن أهله بأكبر إثم من عطيته . ـ تحريف أيضاً .

12 ب : ومطمع .

13 ق ، ب : عليهم السلام .

14 ق ، ب ، ط : والإشارة إليه .

15 لم ترد لفظة «فيه» في ب .

16 الزيادة من م ، ق ، ب .

وَرَثَةُ الأنبياء»[1] [عليهم السلام][2] . فمالَهُم سَبيلٌ إلى الخُروجِ عن نَهْجِ[3] التَّأسِّي والاقتِداء .
وقال بعضُ العارِفينَ : إفْشاءُ سِرِّ الرُّبوبيةِ كُفْرٌ .
وعلى الجُمْلَةِ : ليس كُلُّ سِرٍّ يُكْشَفُ ويُفْشَى ، ولا كُلُّ حَقيقَةٍ تُعْرَضُ وتُجْلى ، ولَكِنْ سَأُشيرُ لَكَ إلى هذا السِرِّ رَمْزاً دونَ إيضاحٍ[4] في هذا القُطْبِ إنْ شاءَ اللهُ . وقد أشرنا إليه في القطبِ الثاني في أي ما مَوْضِعٍ[5] .

فصل [السفر إلى الحضرة الربوبية شاق على محب الدنيا]

اعْلَمْ أنَّ السَّفَرَ إلى جَنَّةِ المَعارِفِ فيه عُسْرٌ و صُعُوبَةٌ لأنَّهُ مُخالِفٌ لِطَبائِعِ الخَلْقِ[6] ، والناسُ يَميلونَ إلى الأسْهَلِ المُوافِقِ لِطبائِعِهِم . فإنَّ السَّفَرَ ذو مَشَقّاتٍ تُرْقى فيه العَقَباتُ الشَّدائِدُ[7] . فمِنْ أجْلِ ذلك تَعَذَّرَ السَّفَرُ على أهلِ القُلوبِ القاسِيَاتِ ، وأهلِ العُقولِ السَّخيفاتِ ، وأهلِ الشَّهواتِ العاجِلاتِ . فطَريقُ السَّفَرِ ذو لُصوصٍ وعاهاتٍ[8] ومِنْ أجْلِ ذلك قَلَّ سُلاّكُهُ[9] . فإنَّ وَعَرَ[10] الطريق لا يَحْتَمِلُهُ[11] إلا مَشايخُ العارفينَ ، فإنَّ المِحَنَ تنبو منهم كما تنبو الكرةُ مِنَ الصَّفا[12] . فإنَّ المِحَنَ وإنْ عَظُمَتْ[13] فاليَقينُ والصَّبْرُ الذي رُكِّبَ فيهم أعْظَمُ منها لأنَّ الصَّبْرَ واليَقينَ يَتَلاشَى في جَنْبَيْهما[14] كُلُّ مِحْنَةٍ ومُصيبَةٍ . ولو كانتِ المَصائبُ والبَلْوَى أعْظَمَ مِنْ يَقينِ العارفينَ ومِنْ صَبْرِهم ما ثَبَتوا[15] على ذِرْوَةِ المَقاماتِ السَّنِيَّةِ

---

1 المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي 321/4 .
2 الزيادة من ق .
3 ب : إلى الخروج على نهي . ـ وهو تحريف .
4 ب : لكني ما أشير لك إلى هذا السر رمزا دون إيضاح . ـ وهو تحريف . ـ وفي ق : إلى هذا السر ومن أدون إيضاح ـ وهو تحريف أيضاً .
5 قوله «وقد أشرنا إليه . . . موضع» لم يرد في ق .
6 ق ، ب : لطبائع النفس .
7 ب : العقاب الشدات . ـ وهو تحريف .
8 ع ، ط : ذو اللصوص والعاهات . ـ وهذه العبارة لم ترد في ق .
9 ع ، ط : سالكه . ـ وما أثبتناه من م ، ق ، ب .
10 ق : فأوعر الطريق .
11 ع ، م ، ط : لا يحمله . ـ وما أثبتناه من ق ، ب .
12 رواية م ، ب . ـ وفي ع ، ط : كما تنبو الكرة زجَّ الرمح من الصفا . ـ وفي ق : كما تنبت الكرة زج المرا من الصفا . ـ وهو تحريف .
13 ب : أعظمت . ـ وهو تحريف .
14 ق ، ب : في جنبها . ـ وهو تحريف .
15 ق : و صبرا . ـ وفي ب : ما بنوا . ـ وكلاهما تحريف .

ساعَةً واحِدَةً . ألاَ تَرى أنَّ السَّحَرَةَ[1] حين تَوَعَّدَهم[2] فِرْعَونُ بالعَذابِ وقَطْعِ الأيْدي والأرْجُلِ كيف كان جوابَهم له[3] : ﴿فاقْضِ ما أنْتَ قاضٍ إنَّما تَقضي هذه الحياةَ الدنيا﴾[4] ، معناهُ : «افْعَل ما أنت فاعلٌ ليس لكَ حُكْمٌ يُجاوِزُ المَوْتَ . فلابُدَّ لنا مِنَ المَوْتِ ، ولَوْ تَرَكْتَ قَتْلَنَا . فالذي[5] يُجاوِزُ حُكْمُهُ[6] المَوْتَ ونَقِفُ بين يَدَيْهِ أوْلى أنْ يُطاعَ ، ولا يَصُدُّنا عن طاعَتِهِ ما تَوَعَّدْتَنا[7] مِنَ الصَّلْبِ وقَطْعِ الأيْدي والأرْجُلِ ، فافْعَلْ ما بَدا لكَ» .

فهذه صِفَةُ المُرادِ بالمَعْرِفَةِ لا صِفَةُ المُريدِ . فانظُرْ كيف كان صَبْرُهم ويَقينُهم أعظَمَ مِن بَلائِهم[8] ومِحْنَتِهم . فزِنْ حالَكَ مع حالِهم تَعْرِفْ ما بين الرِّجالِ والرِّجال . واعْرِفْ معنى ما ذَكَرْتُ لك إنْ كان قَلْبُكَ حَيّاً ، فإنَّ القلبَ إذا كان حَيّاً صانَ[9] مِنَ الحِكمةِ كل ما سَمِعَ وظَهَر عليه أثَرُ ذلك ، فيكونُ مِثْلُهُ كَمِثْلِ شابٍّ حَدَثِ السِّنِّ ، كلُّ ما أكلَ ظهرَ عليه[10] . والقَلْبُ إذا كان مَيْتاً مِثْلُهُ كمِثْلِ الشَّيْخِ[11] الهَرِمِ كُلَّما ازدادَ أكْلُهُ ازْدادَ ضُعْفُهُ وسَقَمُهُ . ولا تَحْسَبَنَّ[12] السَّفَرَ إلى الحَضْرَةِ الرُّبوبيةِ غيرَ شاقٍّ ولا شادٍّ ، بل فيهِ لِمُحِبِّي الدنيا عُسْرٌ ، وفيهِ لِمَنِ اخْتَصَّهُ اللهُ تعالى به[13] يُسْرٌ . أما سَمِعْتَ قولَه ﷺ : «حُفّتِ الجَنَّةُ بالمَكارِهِ ، وحُفَّتِ النّارُ بالشَّهواتِ»[14] . وما أظُنُّكَ تَعرِفُ أسْرارَ هذا[15] الحَديثِ .

أمّا معنى أسْرارِ قولِه عليه السلام «حُفَّتِ الجنَّةُ بالمَكارِهِ» أنّ جَنَّةَ المَعارِف مَحفوفَةٌ ببَلايا

---

1 ب : إلى السحرة .

2 ب : أوعدهم . ــ ق : وعدهم . ــ تحريف .

3 لم ترد لفظة «له» في ب .

4 سورة طه ، الآية : 72 .

5 ق : فالله .

6 ب : حكم .

7 ب ، ق : ما وعدتنا .

8 ع ، ط : وعظيم بلائهم . ــ وما أثبتناه من م ، ق ، ب .

9 في الأصل : ما ذكرت لك إن كان لك قلبك حيا جاز من الحكمة . ــ وهو تحريف صوابه من النسخ الأخرى . ــ وفي م ، ق ، ب : صانه .

10 ب : كمثل الشاب الحادث السن كل ما أكل ظاهر عليه .

11 ق ، ب : والقلب الميت كمثل الشيخ .

12 ع ، م ، ق ، ب : ولا تحسب أن . ــ وما أثبتناه من ط .

13 لم ترد لفظة «به» في ب .

14 مسلم : جنة 1 ، أحمد بن حنبل 153/3 .

15 ب : أسرار معنى هذا الحديث .

ومِحَنٍ ومَصائِبَ . فإذا تَوَجَّهَ إليها بَنُو الدنيا تَعَرَّضَتْ لهم تلك العَوارِضُ[1] فانْقَلَبُوا إلى شَهواتِ الدّارِ الفانيةِ[2] لأنَّهم لا يَسْتَطيعُون اقْتِحامَ المِحَنِ أصْلاً . والعارفون اقْتَحَموا البَلايَا والمِحَنَ والمَصائِبَ لأنَّ مَذاقَها[3] يَعْذُبُ عِندَهم ، ولكِنِّي أَحْسِبُكَ تقولُ : كيفَ تَعْذُبُ المَرارَةُ ، وكَيْفَ تَعودُ الصُّعوبَةُ سَهْلَةً[4] ؟ لكِنْ مَنْ لا يَعْرِفُ أسرارَ الأشْياءِ [فإنَّهُ][5] يَعْزُبُ عنهُ عِلْمُها[6] . أما سَمِعْتَ قَوْلَهُ تعالى : ﴿وأيوبَ إذ نادى رَبَّهُ أني مَسَّنِيَ الضرُّ وأنت أرْحَمُ الرّاحِمِينَ﴾[7] .

أظُنُّكَ أيضاً لا تَعْرِفُ سِرَّ شَكْواهُ لمولاهُ لأنَّ أبْناءَ الدنيا يَظُنونَ إنَّما شكا أيوبُ عليه السلام إلاَّ مِنْ شِدَّةِ البَلاءِ لأنَّ عوائِدَهم جرَتْ بذلك واتَّبعوا ظاهِرَ الآية وظاهِرَ تَفْسيرِ المُفَسِّرين . وأمَّا العارفونَ[8] عَرَفوا سِرَّ شَكْواهُ لمَوْلاهُ وذلك [أنَّهُ كان][9] عليه السلام في كلِّ جارِحَةٍ مِنْ جَسَدِهِ حِصَّةٌ مِنَ البَلاءِ ، وكانَ قَدْ أَنِسَ بذلِكَ وحَصَلَ له الالْتِذاذُ به[10] كالْتِذاذِ الغافِلِينَ بالنِّعَمِ . فلما كان في بَعْضِ الأيَّامِ سَقَطَتْ دُودَةٌ مِنْ مَكانِها ، فلما فَقَدَ أثَرَها في ذلك المَكانِ قال : ﴿مَسَّنِيَ الضرُّ وأنت أرْحَمُ الرّاحِمينَ﴾ ، يَعْني : مَسَّنِيَ الضرُّ مِنْ فَقْدِ ما أنْعَمْتَ به عليَّ مِنْ لِباسِ الأولياءِ والأنبياءِ والصالحينَ[11] . فإنَّ اللهَ [عز وجل][12] يَنْعَمُ بالبَلاءِ ، ويُعَذِّبُ بالنَّعْماءِ . ولِهذا سِرٌّ وشَرْحٌ ، ولذلك قال قائلهم[13] : هل سَمِعْتُم بِصَبٍّ[14] سَليمٍ ، طَرْفُهُ سَقيمٌ ، مُنَعَّمٍ بِعَذابٍ ، مُعَذَّبٍ بنعيمٍ[15] ؟ فَعُذوبَةُ مِحَنِ العارفينَ مِنْ هذهِ المعادِنِ خَرَجَتْ ، ومِنها رَشَحَتْ ، لأنَّ قُلوبَهم

---

1 ع ، ط : تعرضت لهم الدنيا بالعارض . ـ وما أثبتناه من م ، ق ، ب .

2 في الأصل : إلى شهواتهم الدار الفانية . ـ تحريف صوابه من النسخ الأخرى .

3 ب : لأنها مذاقها . ـ تحريف .

4 ب : سهولة . ـ وفي ق : وكيف تعود السهولة الصعوبة . ـ تحريف

5 الزيادة من م ، ق ، ب ، ط .

6 م ، ب : يعزب عنها علمه . ـ وفي ق : يعذب عنها علمه . ـ وكلاهما تحريف .

7 سورة الأنبياء . الآية : 83 . ـ وقوله تعالى : ﴿وأنت أرحم الراحمين﴾ لم يرد في ط . ـ وزيادته من ق ، ب .

8 م ، ق ، ب : والعارفون .

9 الزيادة من م ، ب ، ط . ـ ولم ترد لفظة « كان» في ق .

10 لم ترد لفظة «به» في ب . ـ وفي ق : وجعل له الالتذاذ كالتذاذ الغافلين .

11 ق ، ب : ما أنعمت به عليَّ من لباس أنبيائك وأوليائك لأن البلاء هو لباس الأنبياء والأولياء .

12 الزيادة من ق ، ب .

13 ق : قال بعضهم .

14 الصبُّ ـ على وزن فَعْل ـ : المحبُّ المشتاق . ـ ومنه قول الحصري :

يا لَيْلُ الصَّبُّ متى غدُهُ   أقِيامُ السَّاعَةِ مَوْعِدُهُ ؟

15 ق : بقلب سليم طرفه سقيم منعم بعذاب معذب بنعم . ـ ب : سليم طرف . ـ تحريف .

عند الله تعالى لا عِنْدَهم كما قيلَ : إنَّ الله عز وجل أَوْحَى إلى أيوبَ عليه السلام أنّي مُبْتَليكَ . قال : يا ربّ أيْنَ يَكونُ قَلْبي ؟ قال : عِنْدي . قال : [يا رَبِّ][1] فَصُبَّ عَلَيَّ البَلاءَ صَبّاً . فَلَمّا بَلَغَ البلاءُ[2] مُنْتَهاهُ أَوْحى الله إليه أنِّي مُعافيكَ . فقال : يا رَبّ أين يكونُ قلْبي ؟ قال : عِنْدَكَ . قال : ﴿مَسَّنِيَ الضُرُّ وأنت أرْحَمُ الراحِمينَ﴾ .

وأمّا قَوْلُه عليه الصلاةُ والسلامُ[3] : «حُفَّتِ النَّارُ بالشَّهواتِ» مَعْنَى ذلكَ أنَّ العارفينَ يَرَوْنَ ببَصائرِهم[4] النَّارَ ولا يَرَوْنَ الشَّهواتِ ، والسُّكارَى مِنَ الغافِلينَ يَرَوْنَ الشَّهواتِ بأَبْصارِهم[5] ولا يَرَوْنَ النَّارَ بِبَصائرهم[6] ، فَيَقْتَحِمونَ النَّارَ اقْتِحامَ الجَنادِبِ[7] . ولا أَحْسِبُكَ تَعْرِفُ ناراً إلاَّ نارَ جَهَنَّمَ ، وأَسْرارُ النّارِ لا أراكَ تَعْرِفُها . فالنّارُ عند العارفين العَمَلُ القَبيحُ الذي يُؤدي إلى النّار لأنَّ النّارَ إذا لَمْ تَجِدْ حَطباً لم يَظْهَر[8] لها وهجٌ ولا ذُكاً[9] . والذنوبُ هي حَطَبُ النّارِ وسَبَبُها ، وما كانَ سَبَبَ النّارِ فهو النّارُ بعيْنِهِ لأنّه لا يُبَلِّغُكَ[10] لعذابِ مَوْلاكَ إلاَّ ما قَدَّمتْ يَداكَ .

فصل [جنة المعارف وجنة النعيم وأهلهما]

واعْلَمْ رحمكَ الله أنَّ جَنَّةَ المَعارفِ[11] تُحاكي جَنَّةَ النَّعيمِ في معانٍ : فلا طَريقَ إلى جَنَّةِ النَّعيمِ إلا على ظهرِ الصِّراطِ المَضْروبِ على مَتْنِ[12] جهَنَّمَ . و جَنَّةُ المَعارفِ لا طَريقَ إليها إلاَّ على ظَهْرِ الصّراطِ[13] المَضْروبِ على عَاهاتِ النُّفوسِ ، وهو صِراطٌ مَعْنَويٌّ لا حِسيٌّ ، فلا يَدْخُلُ

---

1 الزيادة من م ، ق ، ب ، ط .

2 ق : فلما بلغ القلب منتهاه . ـ تحريف .

3 م ، ق ، ب ، ط : عليه السلام .

4 م ، ق ، ب ، ط : ببصرهم .

5 ب : ببصرهم . ـ وفي ق : والسكارى من الغافلين يرون ببصيرتهم الشهوات ولا يرون النار ببصائرهم . ـ تحريف .

6 م ، ق ، ب ، ط : ببصرهم .

7 في الأصل : الجنائد . ـ تحريف صوابه من ق ، ب . ـ والجنادب : جمع جُنْدُب وهو نوع من الجراد يَصرّ ويقفز ويطير . ومن أمثال العرب : «صَرَّ الجُندبُ» أي اشتدَّ الأمر على صاحبه وأقلقه .

8 ع ، ط : لا يظهر . ـ وما أثبتناه من م ، ق ، ب .

9 وهج النارِ : لهيبها . ـ ويقال : ذَكَتِ النارُ ، تذْكو ، ذُكُواً وذُكاً : اشتد لهيبها .

10 ب : لكنه يبلغك . ـ تحريف . ـ وفي ق : لكنه لم يبلغك لكنه لا يبلغك . ـ وهو اضطراب في النسخ .

11 ع ، ط : أن الجنة التي للمعارف . ـ وما أثبتناه من م ، ق ، ب

12 م : على جسر . ـ وفي ق ، ب ، ط : على متن .

13 ع ، ط : على جهنم ، وطريق جنة المعارف على الصراط . ـ وما أثبتناه من م ، ق ، ب .

أحدٌ جَنَّةَ المَعارِفِ حتى يُطَهِّرَ جوارِحَهُ الظاهِرَةَ مِنَ المَعاصي ، ويُطَهِّرَ قَلْبَهُ مِنْ [أنْسالِ][1] حُبِّ الدنيا مِثْلِ الكِبْرِ والغَضَبِ والحَسَدِ وحُبِّ الجاهِ والشَّرَفِ وما أشْبَهَ ذلك مِنْ بَلِيَةِ القُلوبِ[2] لأنَّ جَنَّةَ المَعارِفِ جَنَّةٌ طاهِرَةٌ لا يَدْخُلُها إلاَّ طاهِرٌ . ومَنْ لَمْ يَكُنْ طاهِراً دُفِعَ في قَفاهُ حتى يَبْعُدَ عنها ، ولو رآهُ مَوْلاهُ أهْلاً لها ما دَفَعَهُ عنها لأنَّ لِكُلِّ مَنْزِلٍ ساكِناً ، ولكل طريقٍ سالِكاً . وعن أبي هريرة[3] رضي الله عنه[4] أنه قال : قال الله تعالى : «أعْدَدْتُ لِعِبادي الصّالحين ما لاَ عَيْنٌ رأتْ ، ولا أُذُنٌ سَمِعَتْ ، ولا خَطَرَ على قَلْبِ بَشَرٍ»[5] . فإذا كانَتْ [في][6] جَنَّةِ النَّعيمِ هذه الصِّفَةُ التي لا تُوصَفُ وهي جَنَّةٌ لَيْسَ فيها إلاَّ حُظوظُ[7] النُّفوسِ مِنْ مَطْعمٍ ومَشربٍ ومَلْبَسٍ ومَرْكَبٍ ومَسْكَنٍ ومَنْكَحٍ وما أشْبَهَ ذلك ، فما ظَنُّكَ[8] أيُّها المِسْكينُ بِجَنَّةِ المَعارِفِ التي لَيْسَ فيها إلاَّ حُظوظُ القُلوبِ من الله تعالى ، ولا يُوصَفُ نعيمُ العارِفينَ بِمَوْلاهم . ولو شَرِبْتَ مِنْ أنْهارِ جَنَّةِ المَعارِفِ شَيْئاً ما فَرِحْتَ بالدنيا ولا اغْتَرَرْتَ بِها ولَصَرَفَكَ عَنْ شَهَواتِكَ نسيمُ الخَشْيَةِ . ولذلك قال قائلهم[9] : لو أنَّ العارفينَ لا يَرَوْنَ ربَّهم في الجَنَّةِ لاسْتَغاثُوا مِنَ النَّعيمِ كما اسْتَغاثَ[10] أهْلُ النّارِ مِنَ الجحيمِ . وقال بعضهم لَوْلا حظٌّ باقٍ لأَحْرَقَ[11] الاشْتِياقُ الأرْواحَ . وهذا سِرٌّ مِنْ أسْرارِ النّازِلينَ بِجَنَّةِ المَعارِفِ[12] . وقال عبد الله بن قيس[13] [رضي الله عنه][14] أنَّ رسول الله ﷺ قال «إنَّ في الجَنَّةِ جَنَّتَيْنِ آنِيَّتُهما وما فيهما من فِضَّةٍ ، وجَنَّتَيْنِ آنِيَّتُهما وما

1 الزيادة من ق ، ب ، ط . ـ وفي م : أنجاس . ـ والأنسال : جمع نَسْل وهو الولد والذرية . ـ وأنسال حب الدنيا : كل ما تولد عن حبها والتعلق بها .

2 م : منزلة القلوب . ـ ب : من مزبلة القلوب . ـ وفي ق : من مزيلة القلوب . ـ تصحيف .

3 أبو هريرة هو عبد الرحمن بن صخر الدوسي ، كان أكثر الصحابة حفظاً للحديث ورواية له . وتوفي بالمدينة سنة 59هـ .

4 لم ترد الجملة الدعائية في ق ، ب .

5 البخاري : بدء الخلق 8 ، البخاري أيضاً : كتاب التوحيد 35 ، مسلم : إيمان 312 .

6 الزيادة من ق ، م ، ب ، ط .

7 في الأصل : إلا خصوص . ـ وهو تحريف صوابه من النسخ الأخرى .

8 ب : أظنك . ـ تحريف .

9 ق : قال قائله .

10 م ، ط : استغاثوا . ـ ق ، ب : يستغيث .

11 ق : لاحترق .

12 ق : النازلين بمولاهم بجنة المعارف .

13 ط ، ب : عن عبد الله بن قيس . ـ وعبد الله بن قيس هو أبو موسى الأشعري : صحابي من الولاة الفاتحين وأحد الحكمين اللذين رضي بهما علي ومعاوية بعد حرب صفين . له 355 حديثاً . توفي سنة 44هـ . ـ الأعلام : 114 .

14 الزيادة من ب .

فيهما مِنْ ذَهَبٍ ، وما بينَ القومِ وبينَ أنْ يَنْظُروا إلى ربِّهم[1] إلاَّ رِداءُ الكِبْرياء على وَجْهِهِ في جَنَّةِ عَدْنٍ»[2] . وهذا حديثٌ صَحيحٌ رواهُ البخاري والترمذي[3] . ولَهُ سِرٌّ وشَرْحٌ يُحاكِي[4] مَعْنىً آخرَ في جنَّةِ المعارفِ ، ولكنّي أخافُ أنْ يُوهِمَكَ هذا الحَديثُ تَشْبيهاً وتَكْيِيفاً : فقوله[5] عليه الصلاةُ والسلامُ[6] «ما بين القومِ وبيْنَ أنْ يَنظُروا إلى ربِّهم إلاَّ رِداءُ الكِبْرِياءِ على وَجْهِهِ في جَنَّةِ عَدْنٍ» يَحْتَمل أنْ يَكونَ مَعْنَى الحَديثِ : ما بَقِيَت نِعْمَةٌ تَبْلُغُها أمْنِيَتُهم وفوْقَ ما لَمْ تَبْلُغ[7] إلاَّ وَجَدُوها[8] في جنة عَدْنٍ إلا النَّظرُ لوَجْهِه سبحانه على الدَّوام ، لأنَّهُ[9] أعْظَمُ وأَكْبرُ [مِنْ][10] أنْ يَبْقَى وجهُهُ للنَّاظِرِينَ على الدَّوام[11] دونَ حِجابٍ ، والحِجابُ على الأبصارِ لا على الجَبَّارِ ، يَتَعالى عن ذلِكَ عُلُوّاً كبيراً . فأبْصارُ أهلِ الجنَّة على رُتْبَتَيْنِ[12] : الرُّتبةُ الأولى أنَّ نورَ أبْصارهم لا يُجاوِزُ المُحْدَثاتِ[13] ، ولكِنْ تكونُ بِنورِ أبْصارِهم قُوَّةٌ حتى إنَّ الرَّجُلَ يَكونُ في مُلْكِهِ في الجنَّةِ مَسيرَةَ ألْفِ عامٍ فيَرَى أقْصاهُ كما يَرى أدْناهُ غيْرَ أنَّ نورَ البصَرِ[14] في هذه الرُّتبَةِ وإنْ كانتْ به قُوَّةٌ لا يُجاوِزُ الحِجابَ إلى النَّظَرِ[15] إلى وجْهِ اللهِ سبحانه .

والرُّتبةُ الثانيةُ في قُوَّةِ الأبْصارِ لا تُسْتَفادُ ولا تُوجَدُ إلاَّ عند رؤْيَةِ الجَبّار فإنَّهُ سبحانه إذا أرادَ أنْ يُنَعِّمَهم بالنظر إلى وجهه الكريم أفاضَ على أبْصارهم مِنْ نورهِ فينظرونَ

---

1 ب : جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم . _ وفي ق : إن في الجنة جنتين من فضة آنيتها وما فيها وجنة جنتين من ذهب آنيتها وما فيها وبين القوم والقوم أن ينظروا إلى ربهم . _ تحريف .

2 ق : جناتِ عدن . _ والحديث في صحيح البخاري ، كتاب التوحيد .

3 ق : رواه الترمذي والبخاري .

4 ق : يحكي . _ ب : يحاكم . _ تحريف .

5 ق : لقوله .

6 م ، ق ، ب ، ط : عليه السلام .

7 في الأصل : ما بقيت نعمة تبلغهم أمنيتهم إلا وجدوها في جنة عدن . _ م ، ط : تبلغهم أمنيتهم وما لم تبلغ . _ وقوله : «وفوق ما لم تبلغ» لم يرد في ق . _ وما أثبتناه من ب .

8 ق ، ب : إلا وجودها . _ وهو تحريف .

9 ق ، ب : فإنه .

10 الزيادة من م ، ق ، ب .

11 ق : أن تبقى وجوههم ينظرون إليه على الدوام .

12 ب : هما على رتبتين .

13 ب : الحدثات .

14 ب : الأبصار .

15 ب : إلا النظر . _ تحريف .

[بنورِهِ][1] إلى وجْهِه[2] [الكريم][3] . فإذا[4] أرادَ أنْ يَحْجُبُهم عن رؤْيَتِه[5] ردَّهم إلى الرُّتْبَة الأولى وأزالَ عنهم ما أفاضَ على أبْصارهم في الرُّتْبَةِ الثانية ووَقَعَ الحِجابُ .

وَقَدْ تقدَّمَ[6] أنَّ لهذا الحديثِ سِرّاً وشَرْحاً[7] يُحاكِي مَعْنىً آخرَ في جَنَّةِ المَعارِفِ ، [لكنْ][8] لا يُمكنني شرحُهُ إلاَّ رَمزاً وإيماءً ، فأظُنُّكَ[9] لا تَدْري بِفَهْمِكَ معنى ما أشَرْنا به إليك لأنَّ جَهْلَكَ أقْعَدَكَ ، ودُنْياكَ حَجَبَتْك ، وشهواتِكَ جذَبَتْكَ ، ونَفْسَكَ ظَلَمَتْكَ[10] . وكُلُّنا مِثْلُكَ . فَمَنْ كانَتِ الدنيا حَبيبَتُهُ ، فَقَدْ عَمِيَتْ عن الحقيقةِ[11] بَصيرَتُهُ ، فلا يَطَّلِعُ على الأسْرارِ إلاَّ مَنْ هَاجَرَ[12] الاخْتيَار . ومِنْ لَمْ يتْرُكِ الدنيا جانِباً لَمْ يَكُنْ في الأسْرارِ راغِباً . فإنَّ الدنيا حِجاب القُلوبِ[13] ، وفي حُبِّها جَميعُ العُيوبِ . فالآنَ تَمَثَّلْتُ بأبْياتٍ[14] في الرَّمْزِ إلى سِرِّ هذا القطب[15] فأقولُ [واللهِ][16] المُسْتَعان :

أراكَ في السِّرِ تَرْغَبُ ولك في حُبِّها بقاءُ
وَمَنْ كان لها حَبيباً فهو والعَجْماءُ سواءُ
فإنْ كانتِ الدنيا للقلبِ حِبًّا فمتى يُصْفَى الذَّكاءُ[17]

---

1 الزيادة من ق ، ب ، ط .

2 ق ، ب : لوجهه . ـ وقوله «أفاض على أبصارهم . . . إلى وجهه الكريم» لم يرد في م .

3 الزيادة من ق ، ب ، ط .

4 م ، ق ، ب ، ط : فإن .

5 ق ، ب : عن الرؤية .

6 م ، ق ، ب : وقد قدمت لك .

7 ع ، ط : سر وشرح .

8 الزيادة من م ، ق ، ب ، ط .

9 م ، ق ، ب : وأظنك .

10 في الأصل : ودنياك حجتك ، وشهوتك جدبتك ، ونفسك أظلمتك . ـ وهو تحريف صوابه من النسخ الأخرى .

11 م ، ق ، ب : الحقائق .

12 ق ، ب : هجر .

13 في الأصل : جنة القلوب . ـ وهو تحريف صوابه من م ، ق ، ط . ـ وفي ب : حجاب للقلوب .

14 م ، ق ، ب : تمثلت لي أبيات . ـ وتسمية المؤلف لهذه العبارات التي يتمثل بها «بالأبيات» إنما هو من قبيل المجاز أو التوسع اللغوي ، فهي عبارات مسجوعة وليست أبياتاً شعرية موزونة .

15 ق : أبيات الرمز إلى سر هذا القطب . ـ تحريف .

16 الزيادة من ق ، ب ، ط . ـ ولم ترد في م عبارة «والله المستعان» .

17 في الأصل : ينكفي الذكاء . ـ ط : يتكفى الدكاء . ـ ب : يطفى الدكاء . ـ وما أثبتناه من ب . ـ وقوله «ومن كان لها حبيباً . . . يصفى الذكاء» لم يرد في م .

وإنْ كانَ الكُحْـلُ ناراً فمتى يَنْجلي العَمـاءُ[1]

وإنْ كان الطُّعْـمُ سُمّاً فمتى يَشْفي الـدَّواءُ[2]

وإنْ كان الشِّرْبُ مُـرّاً فمتى يذْهَبُ الظَّمـاءُ[3]

لَعَمْرُكَ ما بالأرْضِ لَيْـلٌ إذا اسْتَنارَتِ السَّماءُ[4]

فبعدما تَفْنى عن الفناء يَلـوحُ لك الضياءُ

في مِـرْآةٍ تَتَـلألأُ فلـم يَحْلُلْ بِجانِبها دُجـاءُ[5]

قد رمزت إلى السِرِّ رمْــزاً يُوَضِّحُه لك الصفاءُ[6]

له خصوصٌ من عبيدٍ قـد عَمِيَ عنـهم الـوراءُ[7]

فهذا هو سرّ القطب فافهم بعقْلِكَ ما ناله الأولياءُ[8]

فافهـم من هذه المَعاني رُمـوزَ سِرٍّ يقدِّمُـه الفناءُ[9]

فليس في الدنيا لعَمْرُكَ حظٌّ من ظُهورِ سِرٍّ فازَ به الأتقياءُ[10]

فالتقوى يا أخي مِفْتاحُ كلِّ خيرٍ وإنْ كانَ مُخالِفاً لِطَبائِعِ النُّفوسِ . فإنّ التقوى شيءٌ ، وما تَهْواهُ النفوسُ[11] شيءٌ ثانٍ . فالذي تَهواه النفوسُ حِجابٌ عن التَّقْوى ، وفي تَرْكِ ما تَهـواهُ النُّفـوسُ صُعوبَةٌ . ومن أجل ذلك قَلَّ المُتَّقونَ . واسْمُ التقوى مُطَّرِدٌ في وُجوه كثيرةٍ ، فمِنْه التقوى مِنَ الشِّرْكِ ، ومِنْهُ التقوى مِنَ المَعْصِيةِ ، ومِنْهُ التقوى

---

1 ق : الكل . ـ تحريف . العماء عند الصوفية هو المرتبة الأحدية . ـ التعريفات 112 . ـ ويقول القشاني «العماء هو الحضرة الأحدية عندنا لأنه لا يعرفها أحد غيره ، فهو في حجاب الجلال . . . وقيل : العماء الحضرة الإلهية المسماة بالبرزخ الجامع» . ـ اصطلاحات الصوفية 131 .

2 الطعم ـ بضم الطاء ـ : الطّعام .

3 الشِّرْب ـ بكسر الشين وتسكين الراء ـ : ما يُشْرَب . ـ وفي ق : الشراب . م : فمتى يُروى الظماء .

4 م : لعمرك إذا الأرض ليل . ـ وفي ق : ما بليك ليل . ـ تحريف .

5 ب : الرجاء .

6 لم ترد لفظة «إلى» في م .

7 ق : عمي عينها .

8 لم ترد لفظة «هو» في م ، ق ، ب . / م : ينال .

9 ق ، ب ، ط : فاسمع . ـ م : فاستمع . / سرّ : ق ، ب ، ط : رمز .

10 م : فليس لي دنيا . ـ ب : لذي دنيا .
الاتقياء : في الأصل : الأفتياء . ـ تحريف صوابه من ق ، ب ، ط . ـ وفي م : فاز به الأولياء .

11 في الأصل : الأنفس . ـ وما أثبتناه من النسخ الأخرى .

[من][1] فُضولِ المُباحِ[2] ، ومنه التقوى من كُلِّ غَرَضٍ[3] يَسْتَرِقُ القَلوبَ[4] عنِ الله تعالى . وإلى هذا الصِّنْفِ مِنْ أهل التقوى الإشارةُ بقوله[5] تعالى : ﴿إِنَّ المُتَّقينَ في مُقامٍ أمينٍ﴾[6] .

وقد جَعَلَ الله عز وجل شَهواتِ النُّفوسِ مِحْنَةً للخلائِقِ وتَجْرِبَةً لِيَميزَ اللهُ الخَبيثَ مِنَ الطيِّبِ[7] كما أنَّ الذَّهبَ يُجَرَّبُ بالنار ، وجَعَلَ الله عز وجل الخيرَ كُلَّهُ وراءَ ما تَشْتَهيهِ النُّفوسُ فمَنْ امْتُحِنَ بِشيءٍ مِنْ ذلك وصَبَرَ فقَدْ فازَ بالتقوى ولَحِقَ بالكَرَمِ الأكْبَرِ . وإلى هذا الصِّنْفِ الإشارةُ بسرِّ قوله[8] تعالى : ﴿إِنَّ أَكْرَمَكم عِنْدَ اللهِ أتقاكُمْ﴾[9] . فمِنْ بابِ التَّقْوى يُدْخَلُ للكَرَمِ ، وهو إكرامُ الله عَزَّ وجل[10] عَبْدَهُ المُتَّقي . ومِنْهُ أيضاً يُدْخَلُ للعِلْمِ النَّفيسِ الذي يَتَفجَّرُ[11] مِنْ قُلوبِ العارفينَ بعدَ صَقْلِ الكَدُوراتِ ، ورَفْعِ الحِجابِ وإزالَةِ حُبِّ الدنيا عنِ القُلوبِ . وإلى هذا الصنف الإشارة بسر قوله تعالى : ﴿واتَّقُوا اللهَ ويُعَلِّمُكم اللهُ﴾[12] . أظُنُّكَ لا تَعْرِفُ سِرَّ هذه الآيَةِ ولَعَلَّكَ تَشْتَهي أنْ يُشارَ إليكَ ببعضِ أسْرارِ مَعانيها : فاعْلَمْ أنَّ التقوى مُشْتقٌّ مِنَ الخَوْفِ ، والخَوْفَ مُشتقٌّ مِنَ الإيمانِ ، والإيمانَ مُشْتَقٌّ [مِنَ المَعْرِفَة ، والمَعْرِفَةَ مُشْتَقّةٌ مِنَ][13] الإخلاصِ ، والإخْلاصَ مُشْتَقٌّ مِنَ التقوى ، والتقوى مُشْتَقٌّ مِن العِلْمِ[14] ، والعِلْمَ يَنْبُعُ مِنَ القُلوبِ إذا نَزَلَ بها[15] الإخْلاص . وهو مَعْنَى قوله[16] عليه الصلاةُ والسلامُ[17] :

---

1 الزيادة من م ، ق ، ب ، ط .

2 ب : من الفضول المباح . ــ وفي ق : من المعصية من فضول المباح .

3 ط ، ب : عرض . ــ تصحيف .

4 ب : يستغرق . ــ وفي ق : القلب .

5 ق ، ب : بسر قوله .

6 سورة الدخان . الآية : 51 .

7 اقتباس من قوله تعالى : ﴿ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب﴾ . ــ وفي ب : ليميز الله بذلك الخبيث من الطيب . ــ وفي ق : ليبين ذلك الخبيث من الطيب .

8 ق : بقوله .

9 سورة الحجرات . الآية : 13 .

10 ق : تعالى .

11 ع ، ط : ينفجر . ــ وما أثبتناه من م ، ق ، ب .

12 سورة البقرة . الآية : 282 .

13 الزيادة من ق ، ب .

14 قوله «والتقوى مشتق من العلم» لم يرد في ق ، ب .

15 ع ، ط : إذا كان بها . ــ وما أثبتناه من م ، ق ، ب .

16 ق : وهو معنى سر قوله .

17 م ، ق ، ب ، ط : عليه السلام .

«مَنْ أخلصَ للهِ أربعين يوماً[1] ظَهرَتْ يَنابيعُ الحِكْمَةِ مِنْ قَلْبِهِ على لِسانِهِ»[2].

لَعَمْرُكَ ما يَتَّصِلُ بما أشَرْنا إليه من سرِّ هذا الحديث إلاَّ مَنْ يرى الأشْياءَ كُلَّها مِنَ اللهِ تعالى[3] لا مِنْ غَيْرِهِ. لَعَلَّكَ تقولُ: قد عَلِمْنا [أنَ][4] الأشياءَ [كلَّها][5] من اللهِ لا مِنْ غيره. جوابُكَ[6] يا أخي: إنْ كُنْتَ صادقاً لا تَغْضَبْ على مَخْلوقٍ مَنَعَكَ شَيْئاً ولا يُؤَثِّرُ منْعُهُ في قَلْبِكَ أثَراً، فإنَّ المانِعَ والمُعْطِي هو اللهُ سبحانه. فإنْ كُنْتَ كما وَصَفْتُ لك، كُنْتَ عارفاً على الحقيقةِ أنَّ الأشياءَ كلها من اللهِ تعالى لا من غيره، وصارَ حالُ مَعْرِفَتِكَ ذَوْقِياً لا سَمْعِياً. وذلك مِنْ مَقاماتِ مَشايخِ العارفين. وهذا الحالُ مُطَّرِدٌ في وُجوهٍ لا تَنْحَصِرُ. لَعَمْرُكَ لا تَثْبُتُ على مَحَجَّةِ سِرِّ هذا المَعْنى قَدَمٌ لِمحِبِّ الدنيا، وإنَّما يَثْبُتُ على مَحَجَّتِهِ[7] قَدَمُ مَنْ آثَرَ[8] مَوْلاهُ، ورَفَضَ دنياهُ وأُخْراهُ[9] وصاحبَ الأقْدارَ[10] بِتَرْكِ الاختيار، وتَلَقى القَضاءَ بِوَجْهِ الرِّضى. فمِنْ هذا الجِنْسِ يَرْقَى[11] الرُّوحُ القُدُسُ إلى حَضْرَةِ[12] القُدْسِ فَتَغْشاهُ هَيْبَةُ الجَلالِ بِصَدْمَةِ العِزَّةِ[13].

فصل [في ارْتِقاءِ[14] الأرواحِ بِما اسْتُجْلِبَت]

فالرُّوحُ الحِسِّيُ يرْفَعُ ما في حَضرته إلى حضْرةِ الرّوحِ الخَيالي، ثم يَرْفَعُ الرّوحُ الخَياليُّ ما في حَضْرَتِهِ إلى حَضْرةِ [الرّوحِ العَقْلي، ثُم يرفع الرّوحُ العقلي ما في حضْرَته إلى حَضْرةِ][15] الرّوحِ الفِكْري، ثم يَرْفَعُ الرُّوحُ الفكريُّ ما في حضْرَتِهِ إلى حضرةِ الرّوح القُدسي[16]. فعِنْدَ

---

1 م، ق، ب: أربعين صباحاً.

2 ق: ظهرت ينابيع الحكمة على لسانه. ــ ولم نعثر على الحديث في كتب السنة التي بين أيدينا.

3 ق: عز وجل.

4 الزيادة من ق، ب، ط.

5 الزيادة من ق، ب، ط.

6 قوله «لعلك تقول... لا من غيره» لم يرد في م.

7 في الأصل: محجة. ــ تحريف صوابه من النسخ الأخرى.

8 ب: على مَحَجَةِ من آثر مولاه.

9 ق: رفض دنياه وآثر أخراه. ــ وهو تحريف.

10 ق: وصحب. ــ وفي ب: وصحب المقدار. ــ تحريف.

11 ق: يرتقي. ــ م، ب: يترقى.

12 ب: حضيرة.

13 ب: فتغشيه هيبة الجلال بصدقة العزة. ــ وهو تحريف. وفي ط: عند صدمة العزة.

14 م، ق، ب: ترقي.

15 الزيادة من م، ق، ب.

16 قوله «ثم يرفع الروح الفكري ما في حضرته إلى حضرة الروحي القدسي» لم يرد في ب.

ذلك يَقْرَعُ العَبْدُ بابَ اليقينِ وتَنْفَتِحُ له أبوابُ المَلَكوتِ .

والرّوحُ القُدْسيُّ هو الرُّوحُ الأكْبَرُ ، يَتجلّى فيه مِنْ لوائِحِ الغَيْبِ ما لا يَتَجَلّى في الرُّوحِ العَقْلي لأنَّ الرُّوحَ القُدْسيّ مِنْ وَراءِ حِجابِ[1] العَقْلِ . وما أَظُنُّكَ تَفْهَمُ ذلك . فإذا رَقِيَ الرُّوحُ القُدْسيّ إلى حَضْرَةِ القُدْسِ اتَّصَلَ السِّرُّ بالأسْرارِ ، وعُرِفَتِ الأشْياءُ بِمَعْرِفَةِ[2] الجبّار ، وتَجَلَّتْ لَوائِحُ الأنْوارِ . وإلى هذا الصِّنْفِ الإشارَةُ بسر قوله[3] تعالى : ﴿يَهْدي اللهُ لنورِهِ مَنْ يَشاءُ﴾[4] . وهذا مَقامُ الواصلينَ[5] مِنْ خُصوصِ العارِفينَ . وفي هذا المَقامِ يكونُ العارِفُ في ذاتِهِ سِراجاً ، ويكادُ أنْ يَسْتَغْنيَ عن الاسْتِمْدادِ إلاّ مِنْ رَبِّ العِزَّةِ . وإليه الإشارة بسر قوله تعالى : ﴿يكادُ زَيْتُها يُضيءُ ولو لم تَمْسَسْهُ نارٌ﴾[6] . فإنْ رَقِيَ العبْدُ[7] [بعدَ][8] ذلك رُقِيّاً ـ والاسْتِمْدادُ مِنْ رَبِّهِ[9] زائِدٌ[10] ـ اسْتَصْبَحَ السِّراجَ[11] الذي دونَهُ[12] في الرُّتْبَةِ [مِنْهُ][13] كما اسْتَصْبَحَ هو سِراجَهُ مِنْ سِراجِ مَنْ فَوْقَهُ في الرُّتْبَةِ لأنَّ الأنْوارَ يَفيضُ بَعْضُها على بعضٍ ، والاسْتِمْدادُ زائِدٌ مِنْ نورِ الأعْلَى[14] لأنَّ بنورِهِ اسْتَنارَ كلُّ شيْءٍ . وإليه الإشارة بسر قوله تعالى : ﴿اللهُ نورُ السَّماواتِ والأرْضِ﴾[15] أي بنوره[16] اهْتَدى مَنْ في السَّماواتِ والأرضِ لأنَّ أنوارَه سُبْحانَهُ هادِيَاتٌ[17] . وقد قَرَأَ ابْنُ مَسْعود

---

1 في الأصل : حجب . ـ وما أثبتناه من النسخ الأخرى .

2 في الأصل : بمعرة . ـ تحريف صوابه من النسخ الأخرى .

3 في الأصل : وإلى هذا السر الإشارة بقوله تعالى . ـ وما أثبتناه من النسخ الأخرى .

4 سورة النور . الآية : 35 . ـ وقوله تعالى : «من يشاء» لم يرد في الأصل . ـ وزيادته من ق ، ب .

5 ق ، ب ، ط : وهو مقام . ـ وقوله «مقام الواصلين» لم يرد في ق .

6 سورة النور . الآية : 35 .

7 لم ترد لفظة «العبد» في ط .

8 الزيادة من م ، ق ، ب ، ط .

9 م : من الله .

10 م ، ق ، ب ط : زائداً . ـ وقد وقع بعد هذا في (ب) اضطراب في السياق إذ قدم الناسخ هنا ما يربو عن صفحة أتت في فصل آخر من الكتاب . انظر ص 145 .

11 استصبح السِّراجَ : أوقَدَه واستضاء به .

12 م : استصبحت السروج التي دونه في الرتبة منه كما يستصبح هو سروجه من سروج مَنْ فوقه .

13 الزيادة من ق ، ب ، ط .

14 م : من النور الأعلى . ـ ب : من نوره الأعلى . ـ و«الأعلى» من أسماء الله الحسنى .

15 سورة النور . الآية : 35 .

16 ب : الله نور السماوات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح ، ومعنى قوله تعالى : الله نور السماوات والأرض أي بنوره .

17 رواية ق ، ب . ـ وفي ع ، ط : لأن بنوره سبحانه هدانا . ـ م : لأن نوره سبحانه هادياً .

«مَثَلُ نوره في قَلْبِ المؤمِنِ كَمِشْكاةٍ[1] فيها مِصْباحٌ» . فمتى كانَ الاسْتِمْدادُ مِنَ اللهِ عز وجل والتَّرَقّي مِنَ العبدِ اسْتَنارَ المِصْباحُ وانْجَلى غَسَقُ الظَّلامِ وتَجَلَّتْ لَوائِحُ الغَيْبِ عندَ المُشاهَدَةِ دونَ إيضاحٍ ، ولا يَتَّضِحُ ما أَشَرْنا إليه إلاَّ بعدَ خَلْعِ الأَجْسادِ لأنَّ [النّاظِرَ][2] في هذا المقامِ كأنَّما يَنْظُرُ من وراءِ سِتْرٍ [رقيقٍ][3] يَتَعذَّرُ زوال ذلك الستر مادامتِ الأجسادُ لَمْ تُخْلَعْ كما أنَّ الأفعى في زَمَنِ الشتاءِ إنْ [لاحَ][4] لَها نورُ الشَّمْسِ لا تَتَّضِحُ لَها الشَّمْسُ إلاَّ بعدَ كَشْفِ مَسْلَخِها . ولا أراكَ[5] تَفْهَمُ مَعْنى ما أَشَرْنا به إليك ، ولا تَفْهَمُهُ حتى تُجاوِزَ فَناءَ الفَناءِ . وإليه الإشارة بسر قوله تعالى: ﴿كلُّ مَنْ عليها فانٍ ويَبْقى وَجْهُ رَبِّكَ ذو الجَلالِ والإكرام﴾[6] .

أظُنُّكَ [أيضاً][7] لا تَعْرِفُ الفَناءَ إلاَّ فناءَ الأَجْسادِ بالمَوْتِ أمّا ظاهِرُ الآيَةِ و[ظاهِرُ][8] تَفْسيرِ المُفسِّرين لَعَمْرُكَ كَذلكَ . وأمَّا الإشارةُ بِسِرِّ الآية عند ذوي البصائر والأبصار ليسَ كذلك[9] . وفي سر قوله تعالى : ﴿كُلُّ شَيْءٍ هالِكٌ إلاَّ وَجْهَه﴾[10] إشارةٌ إلى ما أومَأْنا إليه ، لَكِنَّ العُقولَ عجَزَت[11] عنِ الفَهْمِ ، وتَعَذَّرتْ عنِ السَّمْعِ والبصرِ[12] رؤيَةُ الطريقِ ومَعْرِفَةُ المَعْنى[13] . إذن فأقولُ [في هذا المَعْنى] واللهُ المُسْتَعانُ[14] :

مالي أرى العمى آذى الأبصار ؟ ومالي أرى[15] القلوب لا ترى الأسرار ؟ ومالي أرى

---

1 بعدها في ق : وقرأ أبي بن كعب : مثل نور قلب المؤمن كمشكاة . ــ وهي عبارة مقحمة على النص .

2 في الأصل : النظر . ــ وهو تحريف صوابه من النسخ الأخرى .

3 الزيادة من م ، ق ، ب .

4 الزيادة من م ، ق ، ط . ــ وفي ب : وإن لاح .

5 م ، ب : وما أراك .

6 سورة الرحمن . الآية : 26 . وقوله تعالى : ﴿ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾ لم يرد في الأصل وزيادته من م ، ق ، ب .

7 الزيادة من م ، ب .

8 الزيادة من م ، ب .

9 ط : وليس كذلك . ــ تحريف . ــ وفي ق : عند ذوي البصائر والأبصار كذلك . ــ وهو تحريف أيضاً .

10 سورة القصص . الآية : 88 .

11 لم ترد لفظة «عجزت» في ب .

12 م : وتعذر على السمع والبصر رؤية الطريق .

13 ط : هذا المعنى .

14 الزيادة من ب . ــ وفي م : فأقول في ذلك والله المستعان . ــ ط : فأقول والله المستعان . ــ ق : إذن فأقول والله المستعان شيئاً في هذا المعنى .

15 م : إلا الأبصار وما أرى القلوب .

النفوس لا تُفارق الأغيار[1] ؟ ومالي أرى العقول لا تَنْبُذُ[2] الأستار ؟ لو كان بَلَداً طَيِّباً[3] لَشَرِبَ الأمطار ، وأجرى مِنْ[4] ذاته العيون والأنهار ، وعَمَّ ماؤُهُ السَّهْلَ والأَوْعارَ ، وأَنبَتَ الخِصْبَ[5] والأزهارَ ، لكنْ خَبُثَ فأظْهَرَ النَّقْعَ والغُبار ، وأضَرَّ[6] القَحطُ العُمْرانَ و القِفارَ ، فأحْزَنَ[7] الوُحوشَ[8] والأطْيارَ ، وأبكى العبيدَ و الأحْرار ، وأخو الدنيا ظمآنٌ ولو شرب البحار ، تأَمَّلْ هذا المعنى تفكُّراً واعتباراً[9] .

واعْلَمَ يا أخي أنَّ الشَّرابَ[10] العَذْبَ[11] يُرْوي قُلوبَ العارفينَ ، ولا يُرْوي قُلوبَ بني الدنيا[12] لأنّهم مَرْضَى لا يَجِدونَ له عُذوبَةً[13] ، والمريضُ الظامىءُ إذا لم يَجِدْ للشَّرابِ العَذْبِ لَذَّةً خُشيَ عليه[14] أنْ يموتَ عَطْشانَ . وحُكيَ أنَّ أُناساً رَأَوْا صورةَ حَكيمَيْن مِنَ الحُكَماء المُتَقَدِّمين في مسجدٍ ، وفي يَدِ أحدهما رُقْعَةٌ مَكْتوبٌ فيها «إنْ أَحْسَنْتَ كلَّ شيءٍ فلا تَظُنْ أَنَّكَ تُحْسِنُ[15] شيئاً[16] حتى تَعْرِفَ الله [تعالى][17] وتَعْلَمَ أَنَّهُ مُسبِّبُ الأَسْبابِ وموجِدُ[18]

---

1 الأغيار : جمع الغير وهو ما سوى النفس .

2 ق : لا تبدي وهو تحريف .

3 رواية ب . ـ وفي النسخ الأخرى : بلد طيب .

4 م : وأجرى على .

5 في الأصل : وأنبت الحصيد . ـ وما أثبتناه من النسخ الأخرى .

6 م : وظن . ـ ب : وضَرب .

7 م : فأحرق .

8 م ، ق ، ب ، ط : الوحش .

9 ع ، ط : بفكر واعتبار . ـ وما أثبتناه من م ، ق ، ب . ـ وقد وردت هذه العبارات في م ، ط ، ب على شكل أبيات شعرية . ولست شعراً بل هي عبارات مسجوعة يريد المؤلف أن يظهر من ورائها ما يعتري نفسه ويخالجها من ندب وأسف على اغترار المخلوقين بالدنيا . ويشبه تركيب هذه العبارات ما تقدم في صفحة 118هـ 9 .

10 رواية م ، ب . ـ وفي ع ، ق ، ط : الشرب .

11 لم ترد هذه اللفظة في ق .

12 م ، ب : أبناء الدنيا .

13 ق : لأنهم مرضوا لا يجدوا له عُذوبا . ـ وكله تحريف .

14 ع ، ق ، ب ، ط : أخشى عليه . ـ وما أثبتناه من م .

15 ق ، ب : أحسنت .

16 قوله «فلا تظن أنك تحسن شيئاً» لم يرد في م .

17 الزيادة من ق ، ب ، ط .

18 ب : وموجود . ـ وهو تحريف .

الأشْياء» . وفي [يد][1] الآخَر : «كُنْتُ قبل أنْ أعْرِفَ اللهَ [تعالى][2] أشْرَبُ وأظْمَأُ حتى [إذا][3] عَرَفْتُهُ رَوِيتُ بلا شُرْبٍ» . فإنْ عَجَزْتَ أيُّها المِسْكينُ عن عِلْمِ الباطِنِ وآدابِ[1] العارِفينَ فعليكَ بعِلْمِ التَّفْريعِ وهوَ عِلْمُ الظاهِرِ[4] ، ولا تُخْلِ نَفْسَكَ مِنَ الوَجْهَيْنِ جَميعاً .فعُلماءُ الباطِنِ شَكْلٌ واحدٌ ، وعُلماءُ الظاهرِ شَكْلٌ آخرَ ، والطَّيرُ إذا رَعَى مع غَيرِ شَكْلِهِ طارَ وتَرَكَهُ . وَعالِمُ الباطِنِ يُسَمَّى باطِنياً ، وعالِمُ الظَّاهِرِ يُسمَّى ظاهِريّاً ، والذي[5] يَجْمعُ بينَهما يُسَمّى كامِلاً[6] . وقِيل : عُلَماءُ الظَّاهِرِ زينَةُ الأرْضِ والمُلْكِ ، وعُلَماءُ الباطِنِ زينَةُ السَّماءِ والمَلَكوتِ . وبينَ عُلَماءِ الظَّاهر و عُلَماءِ الباطِنِ[7] تَفاوُتٌ[8] . فَعُلماءُ الظاهِرِ هُمْ أهلُ حِراسةٍ للدِّينِ يتأتّى منهم الرَّجْمُ والسَّوْطُ للزَّاني كي لا يَعودَ ولِئلا تتَغَيَّرَ الأنْسابُ[9] ، وتُهْتَكَ الحُرَمُ ، ويتأتّى منهم قَطْعُ الأيدي في السَّرِقَةِ كي لا تَضيعَ الأموالُ ، ويتأتّى منهم صَلْبُ اللُّصوصِ كي لا تُسْفَكَ الدِّماءُ وما أشْبَهَ ذلك من حِراسَةِ المسلمين . ــ وعُلماءُ الباطِنِ تَتأتّى منهم مُراقَبَةُ القُلوبِ ، ومُحاسَبَةُ النُّفوسِ ، ومَعْرِفَةُ مَكامِنِ العَدُوِّ[10] في الصُّدورِ ، والنَّظَرُ إلى الدُّنيا بعَينِ الاحتقارِ ، ورَفْضُ الدَّارَيْنِ[11] جميعاً مِنَ القُلوبِ ، والوُقوفُ مَعَ الحَقِّ على جَمْرِ الصبرِ ، ودَفْعُ الهوى مِنْ ضمائِرِ النُّفوسِ ، وصُحْبَةُ القَضاءِ بآدابِ الرِّضى ، والقناعَةُ بالقِسْمَةِ السَّابقِةِ ، ورؤيَةُ الخير والشرِّ مِنْ مَوْضِعٍ واحِدٍ ، وصَرْفُ الهِمَّةِ عن كُلِّ شيءٍ سوى اللهِ تعالى .

فمَثَلُ عالِمِ الظاهِرِ كمَثَلِ رجُلٍ استَعْمَلَهُ المَلِكُ على مَدينَةٍ مِنْ مَدائِنِهِ يسْتَرِقُّ السَّمْعَ لِفُسّاقِها وخُوّانِها[12] . فإنْ ظَفِرَ بأحَدٍ منهم صَلَبَهُ أوْ رَجَمَهُ أو جَلَدَهُ أوْ سَجَنَهُ . ولولا ذلك لَفَسَدَتِ المدينةُ . ولا بدَّ أنْ يُعْطِيَهُ الملكُ عَطايَا وهَدايَا [ومَواهِبُ][13] لا تُوصَفُ .

---

1 ب : وآداء . ــ تحريف .

2 الزيادة من ب . ــ وفي ق : قبل أن تعرف الله أشرب وأظمأ . ــ تحريف .

3 الزيادة من م ، ق ، ب ، ط .

4 ب : فعليك بعلم الظاهر .

5 ب : والعالم الذي .

6 في الأصل : والذي يجمع كامل . ــ تحريف صوابه من ق ، ب ، ط . ــ وفي م : والذي يجمع بينهما كاملاً .

7 ق ، ط : وبين علماء الباطن وعلماء الظاهر .

8 م ، ب : تفاوت لا ينحصر .

9 ب : فعلماء الظاهر هم أهل حراسته الذين يتأتى منهم الرجم والسوط للزاني كي لا تتغير الأنساب .

10 يقصد بالعدوّ هوى النفس وحرصها على شهوات الدنيا وملذاتها .

11 ب : ورفض الدنيا .

12 م ، ب : وخيانها .

13 الزيادة من م ، ب .

ومَثَلُ عالِمِ الباطِنِ كَمَثَلِ رَجُلٍ قَرَّبَهُ المَلِكُ مِنْ نَفْسِهِ لا زوالَ له عن المَلِكِ يَنْظُرُ إليه على الدَّوامِ بُكْرَةً وعَشِياً ، ولو أعطاه المَلِكُ جميعَ ما مَلَكَ ما وَزَنَ عِنْدَهُ نَظْرَةً واحِدَةً لِوجْهِ المَلِكِ لأنَّ النظرَ لوجه الملكِ أعْلَى وأشرَفُ مِنْ عَطِيَّتِهِ[1] . وهذا ضَرْبُ مَثَلٍ :

– ﴿قُلْ أي شيءٍ أكبرُ شهادةً قلِ اللهُ﴾[2]

– ﴿وأنَّ إلى ربِّك المُنتهى﴾[3]

– ﴿واللهُ خيْرٌ وأبْقى﴾[4]

وفي باطِنِ هذه الآياتِ[5] أسْرارٌ وشَرْحٌ [وإشاراتٌ][6] وتلْويحاتٌ يَطولُ الكَلامُ فيها لكِنِّي بَيَّنْتُ لك ما تَعرفُ به التَفاوُتَ بين عُلماء الظاهر وعُلَماءِ الباطِنِ . وفيما أشَرْتُ لك به كِفايَةٌ . ولا تَقولَنَّ[7] إنّ عُلماءَ الباطِنِ لا يَعْلَمونَ عِلْمَ الظاهِرِ ،بل عَلِموهُ[8] لكِنْ ابْتَلَعَهم بَحْرُ المَعارِفِ فَغَرِقُوا فيه[9] ولم يَجِدوا للخُروجِ منه سبيلاً . ومِنهُ قَوْلُ[10] قائلهم : [المتقارب]

تَوَلَّعَ بالحُبِّ[11] حتى عَشِقْ فلما استقَلَّ بـه لم يُطِقْ
رأى لُجَّةً ظَنَّها مَوجَةً فلما تَوَسَّطَ فيها غرِقْ

فهذا الصِّنفُ مِنْ عُلَماءِ الباطِنِ [هُمْ][12] أُمَناءُ اللهِ تعالى في أَرْضِهِ ، وخُلَفاءُ النبيئين ، ومَشايِخُ الأعْصارِ ، وأَرْبابُ البَصائِرِ ، وأَهْلُ الأسْرارِ الغامِضَةِ . وإليهم الإشارة بسر قولـه تعالى : ﴿هُمْ دَرَجاتٌ عنـد اللهِ﴾[13] . وليس بين العَبْدِ والترقي مِنْ سُفْلٍ إلى عُلُوٍّ إلَّا حُبُّ الدنيا ، فإنَّ التَرَقِّي يَتَعَذَّرُ مِنْ أجْلِ حُبِّها لأنَّها جاذِبَةٌ[14] إلى العالَمِ

---

1 ب : من عطية الملك .

2 سورة الأنعام . الآية : 19 .

3 سورة النجم . الآية : 42 .

4 سورة طه . الآية : 73 .

5 ع ، م : الآية . _ وما أثبتناه من النسخ الأخرى .

6 الزيادة من م ، ق ، ب ، ط .

7 ع ، م ، ق ، ب : ولا تقول : وما أثبتناه من ط .

8 ق : لا يعلمون . _ وفي ب : لم يعلموا علم الظاهر بل يعلموه . _ تحريف .

9 لم ترد لفظة «فيه» في ب .

10 ب : قال .

11 م ، ب : بالعشق .

12 الزيادة من م ، ق ، ب ، ط .

13 سورة آل عمران . الآية : 163 .

14 ب : جالبة . _ م : جالية . _ تصحيف .

الظُّلُماتِـيِّ[1] وطَبائِعُ النُّفوسِ لذلك مائِلَةٌ .

فصل في [صفة][2] تضييعِ الإيمانِ وتَعْرِيتِه

واعْلَمْ رحمكَ اللهُ أنَّ إيمانَ الناسِ اليَوْمَ قد تَعَرّى مِنْ لِباسِهِ إلاَّ مَنْ عَصَمَهُ[3] اللهُ عز وجل ، ومَنْ تَعرّى إيمانُهُ تَلاعَبَ بدينِهِ . فلم يَبْقَ اليَوْمَ مِنَ الإيمانِ إلاَّ اسْمُهُ ، و مِنَ اليقينِ[4] إلاَّ رَسْمُهُ . فأيُّ دينٍ لِقَوْمٍ جَرَّدوا إيمانَهم مِنْ لِباسِهِ ، وهَدموا مَنارَ يَقينِهم مِنْ أَساسِهِ ؟ وهذا صِنْفٌ عند حُضورِ الشَّهواتِ تَعْرِفُهم[5] لأَنَّهم لَيْسَ مَعَهُم تَقْوى تَقيهِم الهَوى ، ولا صَبْرٌ يَقيهِم الشَّهواتِ . وقيلَ إنَّ اللهَ تعالى أَنْزَلَ على عيسى عليه السلام في الإِنْجيلِ[6] : «طُوبى لِمَنْ غَلَبَ هَواهُ بتَقْواهُ ، وَشَهواتِهِ بِصَبْرِهِ»[7] .

واعْلَمْ أنَّ الإيمانَ هو السِرُّ النَّفيسُ المَطْلوبُ المَرْغوبُ فيه ، لا يُعَرِّيهِ مِنْ لِباسِهِ إلاَّ سُفَهاءُ الرِّجالِ . فمَنْ جَرَت عوائِدُهُ بأفعالِ المَعْصِيةِ واقْتِحام المحارِمِ[8] والشُّبُهاتِ فقَدْ عَرّى إيمانه مِنْ لِباسِهِ . ومَنْ جَرَتْ عَوائِدُهُ بأَعْمالِ البِرِّ واتَّصفَ بِصِفاتِ أَهْلِ الوَرَعِ ، وتَحَلّى بِحِلْيَةِ أَهلِ الزُهدِ فَقَدْ كَسا إيمانَهُ ثَوْباً كَثيفاً . فالإيمانُ أَعْلى نِعْمَةٍ مِنَ اللهِ [عز وجل][9] مَنَّ بِها[10] على العَبْدِ لأَنَّهُ سَبَبُ النَّجاةِ ، فمَنْ[11] لَمْ يَعْرِفْ قَدْرَهُ وفَضْلَهُ باعَهُ بِأَبْخَسِ الثَّمَنِ لأنَّ الشَّيْءَ النَّفيسَ الرَّفيعَ إذا بَلَغَ أَقْصى غايَةٍ في القيمَةِ أو بَلَغَ قيمَةً لا تُدْرى[12] لَها غايَةٌ ولا نِهايَةٌ رَدَّهُ الجاهِلونَ بِهِ إلى أَقَلِّ الثَّمَنِ وأَخَسِّهِ[13] . وكذلكَ الإيمانُ لا يَتَهاوَنُ به بَعْدَ إفادَتِه إلاَّ الجاهِلُ[14] بِمِقْدارِهِ وفَضْلِهِ ولا

---

1 ق : إلى العالم الطمأنينة ـ تحريف .

2 الزيادة من م ، ق ، ب ، ط .

3 ق ، ب : عصم .

4 ب : ولا من اليقين .

5 ب : تعرفه . ـ ولم ترد اللفظة في ق .

6 ب : أنزل في بعض الكتاب : طوبى . . . .

7 في الأصل : بصبرته . ـ تحريف صوابه من م ، ط ـ وفي ب : وبصبره شهواته . ـ ق : وبصره شهواته . ـ تحريف .

8 ع ، ط : واقتحام المهالك . ـ وما أثبتناه من م ، ق ، ب .

9 الزيادة من م ، ق ، ب .

10 قوله «من بها» لم يرد في ق ، ب .

11 ب : فإن .

12 م : لا تُدرَك .

13 ب : وخسه . ـ وفي ق : وبخسه . ـ تحريف .

14 ب : الجاهلون .

يَبْعُدُ أنْ يَبيعَهُ بأَقَلِّ شَهْوَةٍ .ففي تعرّي الإيمانِ مِنْ لِباسِهِ النَّارُ ، وفي كِسْوَتِهِ رِضَى الجَبَّارِ . فإذا عَلِمْتَ أنَّ النَّارَ في تَعَريهِ عَلِمْتَ الإشارة بقوله[1] عليه السلام : «اتَّقوا النَّارَ ولَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ»[2] ، ولَكِنْ لا يُخاطَبُ بِهذا الخِطابِ إلاَّ مُعْسِرٌ عَديمٌ أو مَنْ أَقْعَدَهُ العَجْزُ[3] عن[4] الأَقَلِّ مِنْ أعمالِ البِرِّ ويُخافُ عليه شُحُّ نَفْسِهِ فيُقالَ له اتَّقِ النَّارَ[5] ولو بشِقِّ تَمْرَةٍ أو بِإزالَةِ غُصْنِ شَوْكٍ عن طريقِ المُسْلِمينَ أو بكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ إذا كانَ شُحُّ نَفسه لَمْ يَتْرُكْهُ للمُبالَغَةِ في فِعْلِ الخَيْرِ ، واقْتَصَرَ على الأَقَلِّ منه وأَبْطَأَ به شُحُّهُ . ففِعْلُ هذا الصِّنْفِ[6] في جَنْبِ فِعْلِ المُجْتَهِدِ كالتَّيَمُّمِ في جَنْبِ الوُضوءِ أو كصلاةِ المريضِ المُلْقَى[7] في جَنْبِ صلاةِ الصَّحيح . ألا تَرى إلى أبي بكر الصديق[8] رضي الله عنه لَمّا قيلَ له[9] ماذا أَبْقَيْتَ لنفسِك ؟ قال : الله ورَسولَهُ ، يَعْني أَبْقَيْتُ لِنَفْسي[10] مَنْ لا يَفْنَى ولا يَزالُ باقِياً ، وأَبْقَى بِبَقائِهِ[11] مُنَعَّماً أبداً دونَ العُروضِ[12] التي هي عَوارٍ[13] . فزِنْ حالَ مَنْ يَتَّقي النَّارَ ولو بشِقِّ تَمْرَةٍ معَ حالِ مَنْ لَمْ يُبْقِ[14] لنَفْسِهِ شيْئاً تَعْرِفْ ما بينَ الرِّجالِ والرِّجالِ . وقد قال عليه السلام : «الإيمانُ عُرْيان ولِباسُهُ التقوى ، وزينته الحياءُ ، وثَمَرَتُه العِلْمِ»[15] فمعنى قوله عليه الصلاة السلام[16] : «ولباسه التقوى» أنَّ العَبدَ إذا كانَ تَقِياً حَذِرَ على نَفْسِهِ [أنْ يَلْقَى][17] السُّخْطَ في أَقَلِّ ذَنْبٍ يُذْنِبُهُ . ومعنى قَوْلِهِ عليه السلام «وزينته الحياء» أنْ يكونَ العَبْدُ يَسْتحيي

---

1 من ق ، ب ، ط : بسر قوله .

2 البخاري : مناقب 35 ، مسلم : زكاة 66 .

3 ع ، ق : بهذا الخطاب إلا من أقعده العجز . ـ وما أثبتناه من م ، ب ، ط .

4 ب ، ط : على . ـ وفي ق : بهذا الخطاب إلا من أقعده العجز عن الأول من أعمال البر . ـ تحريف .

5 م : شح نفسه أن يقال . ـ وفي ط ، ق : فيجب أن يقال له . ـ ب : ويخاف عليه شح نفسه فيقول له اتق الله .

6 ق : وأبطل به شحه ففضل هذا الصنف . ـ تحريف .

7 في الأصل : المُغمَى . ـ وما أثبتناه من النسخ الأخرى .

8 ق : ألا ترى أبا بكر الصديق .

9 لم ترد لفظة «له» في ب .

10 ب : لنفسك . ـ وهو تحريف .

11 في الأصل : بإبقائه . ـ وما أثبتناه من النسخ الأخرى .

12 ع ، ط : العرض . ـ وما أثبتناه من م ، ق ، ب . ـ والعروض : جمع عَرَض وهو ما يطرأ ويزول ، ومن ذلك الدنيا . ومنه قوله تعالى ﴿لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الحياةِ الدُّنيا﴾ .

13 عوار : جمع عارية وهي الأمانة والوديعة ، أو الشيء الذي يتداوله الناس بينهم .

14 ق ، ب ، ط : لم يتق .

15 ع ، ط : ورأس ماله الفقه . ـ وما أثبتناه من م ، ق ، ب .

16 م ، ق ، ب ، ط : عليه السلام .

17 الزيادة من م ، ق ، ب .

مِنْ مَوْلاهُ أنْ يَراهُ حيْثُ[1] نَهاهُ كَما تَسْتحيي العَذْراءُ ذاتُ الحَسَبِ الرَّفيعِ[2] مِنَ الرَّجُلِ [الصَّالِحِ][3] العظيمِ القَدْرِ . ومَعْنى قوله عليه السلام : «وثَمرته العلم» أنَّ العَبْدَ[4] إذا كانَ عالِماً باللهِ عز وجل عَلِمَ أنّهُ مُسَبِّبُ الأسْبابِ ، وموجِدُ الأشْياءِ . فلا يَرى[5] خَيْراً ولا شَرّاً ولا مَنْعاً ولا عَطاءاً إلاّ مِنْ مَوْضِعٍ واحِدٍ ، ولو ذَهَبَ أهْلُهُ ومالُهُ ونَفْسُهُ ما شَكا . وذلك مِنْ قُوَّةِ الإيمانِ ، وهي دَرَجَةُ العُلَماءِ باللهِ عز وجل المُسْتغرقينَ في مَعْرِفَتِهِ وعَظَمَتِهِ وجَلالِهِ . والدنيا حِجابٌ بينَ العَبْدِ وبينَ هذهِ الدَّرَجَةِ[6] ، فأقولُ في هذا المعنى[7] [واللهُ المُسْتعان][8] :

أرى النفس إلى الدنيا قد مالتْ ، وآمالَها في الحياة قد طالتْ[9] ، وكلما ائْتَمَنْتُها بدِينِها تغَيَّرتْ[10] ، و خادَعَت وخانَتْ ، وكلما[11] تركْتُها لِما اشتهتْ ، بادرتْ و سارَعَتْ [وحَثَّتْ][12] ، لَها في السَّيْرِ إلى النجاة صعوبة ، ولَها في المُقام على الرّديء ما تَمَنَّت[13] ، وطُعْمُها مِنْ دينها في حياتها[14] ، وأقدامُها على الصِراطِ زَلَّتْ[15] ، ظَنَنْتُها جَواداً مِنَ العِداتِ تُريحُني ، فإذا بها شَرُّ العدات لِغَدْرَةٍ[16] .

---

1 في الأصل : من حيث . ــ وما أثبتناه من النسخ الأخرى .

2 ب : ذات الحسب الرفيعة النسب .

3 ب : ذات الحسب الرفيعة النسب .

4 ع ، ط : ورأس ماله العلم . اعلم أن العبد . ــ وما أثبتناه من م ، ق ، ب .

5 سقطت كلمة «يرى» من م .

6 ع ، ط : بين هذه الدرجة وبين العبد . ــ وما أثبتناه من م ، ق ، ب .

7 ع ، ط : في ذلك المعنى .

8 الزيادة من ق ، ب .

9 م : أرى النفوس للدنيا . ــ ق : إن النفس في الدنيا قد مالت ، ومالها في الحياة طالت .

10 م : تغربت .

11 لم ترد هذه اللفظة في ق .

12 الزيادة من ق ، ب . ــ وفي م : وجنت . ــ ووردت الكلمة مضطربة لا تقرأ في ط . ــ بعد هذا تغير الخط الذي كتبت به الأوراق السابقة من المخطوطة (ب) ، وكُتب ما بقي منها بخط مغاير .

13 لم ترد لفظة «لها» في م (قوله : «ولها في السير») . ــ وفي ق : ولهذا في المقام . ــ وفي م ، ق ، ب ، ط : على الرد . ــ وهو تحريف .

14 م ، ب : وطمعها . ــ تحريف .

15 ق : زالت .

16 في الأصل : لِغَدْرَتِ . ــ م : ظننتها جوادا من العدة ترتجى فإذا بها شر العدات عمت . ــ ب : ظننتها جواد من العِدة تربحني فإذا بها شر العداة العذرت . ــ وفي ق : ظننتها حواد من العادات تجيء فإذا بها شر الشهوات . ــ ط : ظننتها جواداً من العدات تريحني فإذا بها شر اللذات . ــ وكله تحريف . وقد وردت هذه العبارات في م ،

واعْلَمْ رحمَكَ اللهُ أنَّ شهواتِ النُّفوسِ ظُلُماتٌ للقلوبِ [1] ، وعُنْصُرَ الشَّهواتِ مِنْ حُبِّ الدُّنيا مَنْبَعُهُ [2] . وفي تَجَرُّدِ النُّفوسِ عن حُبِّ الدنيا مَشَقَّةٌ وعُسْرٌ [3] عَسيرٌ . واعْلَمْ أنَّ حُبَّها غَرَرٌ [4] بالدِّينِ ، وضُعْفٌ لِلإيمانِ ، وعِلَّةٌ لليَقينِ ، وحِجابٌ [5] للبَصائِرِ ، ومَرَضٌ للقُلوبِ وبُعْدٌ مِنَ اللهِ عز وجل لأنَّ حُبَّها رَأْسُ كل خَطيئَةٍ كما وَرَدَ في الخَبَرِ [6] بَلْ كما قالَ اللهُ تعالى [7] : ﴿فلا تَغُرَّنَّكُمُ الحياةُ الدنيا ولا يَغُرَّنَّكم باللهِ الغَرورُ﴾ [8] فَبِقَدْرِ رَفْضِها ، والإعْراضِ عنها ، والصَّبْرِ على مَصائِبِها ، والزُّهْدِ في مُباحِها يَثْبُتُ العَبْدُ على مَحَجَّةِ الدينِ لأنَّ للقُلوبِ مِنْ حُبِّها سَكَراتٍ [9] ، ولأقْدامِ المُغْتَرِّينَ بِها عَثَراتٍ . وقد أخْبَرَ اللهُ عزَّ وجل عِبادَهُ بعَيْبِها ، فما ازْدادَ النَّاسُ عليها إلاَّ حِرْصاً وانْكِباباً ، لكِنْ إذا أرادَ اللهُ بِقَوْمٍ شَرّاً قَدَّمَ [10] على ذلكَ أسْباباً . فَمَثَلُ مَنْ سَحَرَتْ قَلْبَهُ الدنيا واغْتَرَّ بِها وآثَرَها على الآخِرَةِ كَمَثَلِ رَجُلٍ أعمى لَهُ زَوْجتانِ إحْداهُما جميلَةٌ غايَةَ الجَمالِ [11] ، لها نَسَبٌ رَفيعٌ ، والأُخْرى أمَةٌ سَوْداءُ مُنْتِنَةُ الرَّائحةِ [12] أقْبَحُ شيءٍ رأتْهُ العُيونُ . فَلَمْ تَزَلِ الأمَةُ السوداءُ تَسْحَرُ قَلْبَهُ وتَخْدَعُهُ حتَّى مَيَّلَتْهُ [13] إلى نفسِها وفارَقَ ذاتَ النَّسَبِ الرَّفيعِ المُتَّصِفَةَ بالجَمالِ . فلمَّا انْجَلى عن بَصَرِهِ العَمَى [14] نَظَرَ إلى الزَّوْجَةِ التي في مِلْكِهِ فإذا هي أقْبَحُ النَّاسِ وَجْهاً وأبْخَسُهُم حالاً [15] .

ط ، ق على شكل أبيات شعرية . وليست شعراً بل هي جمل مسجوعة ليس إلاّ . وقد عمد المؤلف أحياناً إلى هذا الأسلوب ليعبر عما يشعر به من ازدراء للدنيا ، وما يختلج في نفسه من أسف على تهافت الخلائق عليها وتكالبهم على ملذاتها . وقد تقدم ما يشبه هذا في ص 118 ، وص 124 .

1 ق ، ط : شهوات النفس ظلمة للقلب . ــ وفي م : شهوات النفوس ظلمة للقلوب .

2 قوله «واعلم رحمك الله . . . وعنصر الشهوات» لم يرد في ق .

3 في الأصل : وعصر . ــ تحريف صوابه من النسخ الأخرى .

4 الغَرَرُ : ما يجلب المضرة أو ما يكون مجهول العاقبة لا يُدرَى أيكون أم لا . ــ التعريفات : 115 .

5 م ، ب : وحجب .

6 قوله «في الخبر» لم يرد في ب .

7 م ، ق ، ب ، ط : سبحانه .

8 وردت هذه الآية مرتين في القرآن الكريم : سورة لقمان . الآية : 33 ؛ سورة فاطر . الآية : 5 .

9 ق : لأن القلوب على حبها سكرات . ــ تحريف .

10 ط : وقدَّر . ــ وفي ب : بقوم شر إقدام على ذلك . ــ تحريف .

11 في الأصل : غاية في الجمال . ــ وما أثبتناه من النسخ الأخرى .

12 م ، ق ، ب ، ط : الريح .

13 ب : حتى ملته . ــ تحريف .

14 ب : العماء .

15 ب : وأخسسهم حالاً . ــ تحريف . ــ وقوله «فنظر إلى التي في ملكه فإذا هي أقبح الناس وجها وأبخسهم حالاً» لم يرد في ق .

وَنظَرَ إلى الزَّوْجَةِ [الأخْرى][1] التي فارَقَ فإذا بنورِها يَزيدُ على نورِ الشَّمْسِ الطَّالِعَةِ ، فَنَدِمَ على فِراقِها نَدامَةً ما نَدِمَ الأوَّلونَ والآخِرونَ مِثْلَها .

فلا تَرْضَ لنفْسك أيُّها المِسْكينُ[2] الأمَةَ السوْداءَ وراجعْ ذاتَ النَّسَبِ الرَّفيعِ ما دامَتْ في العِدَّةِ ، واتْرُكِ الأَمَةَ السوداءَ يَزْدَحِمُ[3] عليها عُمْيانُ الغافِلين لأنَّ وِلايَةَ الله تعالى لا تُنالُ بِحُبِّها وإنَّما تُنالُ بعُزوفِ[4] القَلْبِ عنها ، لكِنَّ القُلوبَ[5] إذا سَكِرَتْ مِنْ حبِّها لا يَتأتَّى مِنها سَمْعُ نَصيحَةٍ ، ولا انْتِباهٌ لِمَوْعِظَةٍ ، ولا يَقَظَةٌ مِنْ غَفْلَةٍ لأنَّ السُّكارى مِنْ حُبِّها يَسْبَحُونَ في سَكْرَتِهم[6] ، ويَتردَّدون في [ظُلْمَةِ][7] غَفْلَتهم ، ويَتَسابقونَ إلى لذائِذِ شهَواتِهم ، ويَقْتَحِمونَ المَهالِكَ بأنْفُسِهِم ، ويَبْلُغون فيهم[8] أُمْنِيَةَ عَدوِّهم ، ويُطْفِئونَ نورَ عِلْمِهم[9] بظُلْمَةِ جَهلِهم ويُتْلِفونَ إيمانَهم بتسويفِهم ، وَيَبيعونَ آخِرَتَهم بدُنياهُم[10] كأنَّ الدنيا ليسَتْ بفانيةٍ ، وكأنَّ القيامَةَ ليسَتْ بقائمَةٍ ، وكأنَّ العُمُرَ لا يُسأَلُ عنه ، وكأنَّ الجبَّارَ لا يُحْذَرُ منه ، فإنَّا للهِ وإنَّا إليه راجعونَ . فإذا أصبحنا فيه وأمسَيْنا مِنْ سَكْرَتِنا[11] وسَخافَةِ عقولنا صِرْنا[12] كالرَّاكِبِ المُوَلِّي وجهَهُ إلى مُؤخِرِ الدّابةِ يَنْظرُ إلى المَوْضعِ الذي رَكِبَ[13] منه فَيَشْتَهيهِ ويَتَمنى المُقامَ فيه ، ولا يَنْظُرُ إلى مَوضعِ نُزوله فَيَحْذَرُهُ ، والدّابةُ جَدَّتْ به السَّيْرَ بلا زادٍ يَنْزِلُ عليهِ . لَكِنْ كذلك تَنْعَكِسُ أحوالُ المُغْتَرِّين بها . فَتَوْلِيَةُ الوجوهِ إلى المَوْضِعِ الذي يُنْزَلُ فيهِ[14] أوْلَى وأحَقُّ عند ذوي العُقول ، وتَوليةُ الوُجوهِ إلى ما عنه[15] الارْتِحالُ أيْسَرُ لِنُفوسِ

---

1 الزيادة من ق ، ب ، ط .

2 ب : أيها الأمير . ــ تحريف .

3 ع ، ق ، ب : يزاحم . ــ وفي م : يقتحم . ــ وما أثبتناه من ط .

4 في الأصل : بعزوبة . ــ وفي م : بعزوب . ــ وما أثبتناه من ق ، ب ، ط . ــ والعزوف عن الشيء : الإعراض عنه .

5 في الأصل : القلب . ــ تحريف صوابه من النسخ الأخرى .

6 في الأصل : سكراتهم . ــ وما أثبتناه من النسخ الأخرى .

7 الزيادة من م ، ب .

8 م : فيه .

9 م ، ب : عملهم .

10 ب : ويتلقون أيامهم بتسويفهم ويعولون دنياهم من آخرتهم .

11 ع ، ق : سكرتها . ــ ط : سكراتها .

12 م : سرنا .

13 في الأصل : يركب . ــ وما أثبتناه من النسخ الأخرى .

14 ب : موضع النزول .

15 ب : ما عند . ــ م : ما عنده .

الجُهّالِ[1] . فإنْ أرَدْتَ أن تَقْتفيَ أثَرَ الذاهِبينَ إلى الله تعالى فاسْتَخِفَّ بِدُنْياكَ وانظُرْ إليها[2] بِعَيْنِ الزَّوالِ ، وأنزِلْ نَفْسَكَ عندَ أخْذِكَ القُوَّةَ[3] منها مَنْزِلَةَ المُضْطَرِّ إلى الميتَةِ ، لا تَبْتَغِ منها[4] الإكْثارَ والادِّخارَ ، ولا تَفْرَحْ بِما أقْبَلَ عليكَ مِنها[5] ، ولا تَحْزَنْ عمّا زُوِيَ[6] منها عنك .

قال الله تعالى : ﴿لِكَيْ لا تَـأسَوْا على ما فاتكم ولا تفْرَحوا بما آتاكم﴾[7] . فهذا الخِطابُ لا يَحْتَمِلُهُ مَنْ سَكَنَ حُبُّ الدنيا في قَلْبِهِ وإنَّما يَحْتَمِلُهُ الذّاهِبُ إلى ربِّهِ .

فَأوَّلُ درجة الذاهبين إلى الله تعالى رَفْضُ الدنيا التي هي ظُلْمَةٌ للقُلوبِ[8] ، وحِجابٌ للوائحِ الغُيوبِ ، والحاجِزَةُ بينَ المُحِبِّ والمَحْبوبِ . فبِقَدْرِ رَفْضِها تَسْتَعِدُّ للسَّفَرِ ، ويَصِحُّ[9] للقُلوبِ النَّظَرُ ، فإنْ كانَتِ الدنيا مِنْ قَلْبِ العبدِ مَرْفوضَةً حتى لا تَعْدِلَ عنده جَناحَ بَعوضَةٍ فَقَدْ وَضَعَ قَدَمَهُ في أوَّلِ دَرَجَةٍ مِنْ دَرَجاتِ المُرِدينَ[10] فيَنْظُرُ العَبْدُ بعد ذلك ما قَدَّمَتْ يداهُ فيرْفَضُ دُنْياهُ[11] ، ويُقْبِلَ على أُخْراهُ ، ويُنْزِلُ نفسه بِمَنْزِلَةِ الذُّلِّ والصَّغارِ فيكونُ حالُه ما بينَ الرَّجاءِ والخَوْفِ[12] مُعْتَدِلاً لأنَّ زَوالَ الرَّجاءِ قُنوطٌ ، وزَوالَ الخَوْفِ أَمْنٌ[13] . وأهلُ هذا المَقامِ يكونُ لهم البُكاءُ فَرَحاً وتَعْزِيَةً مِنْ خَوْفِ الذُّنوبِ ، وفَضائِحِ العُيوبِ ، ثُمَّ يَرْقَوْنَ إلى سَلامَةِ الصُّدورِ ، وطَهارَةِ القُلوبِ ، فيَرْغَبونَ في الثَّوابِ الجَزيلِ في المَنْزِلِ الكريمِ ، في جوارِ المَلِكِ الرَّحيمِ .

وأهلُ هذا المَقامِ يَبْكونَ مَرَّةً مِنْ خَشْيَةِ اللهِ ، ويَضْحَكونَ[14] مَرَّةً طَمَعاً في رحمةِ الله سبحانه . وهذا المَقامُ هو مَقامُ أهلِ الخَشْيَةِ[15] ثُمَّ يَرْقَوْنَ إلى حُبِّ مَوْلاهم فَيَرْفُضونَ دنياهم وأُخْراهم ،

---

1 في الأصل : الجاهل . ـ تحريف صوابه من النسخ الأخرى .

2 ب : بدنياه وانظر هما . ـ وهو تحريف .

3 ب : عند أخذ القوة .

4 قوله «منزلة المضطر إلى الميتة لا تبتغ منها» لم يرد في ب . ـ وفي م : لا يبتغ .

5 في الأصل : بما قبل علها منها . ـ وهو تحريف صوابه من ط ، ق . ـ وفي م ، ب : بما أقبل منها عليك .

6 زُوِيَ عنه الشيءُ : حُجب عنه .

7 سورة الحديد . الآية : 23 .

8 م ، ق ، ب ، ط : ظلمة القلوب ، وحجاب لوائح الغيوب .

9 ع ، ق : ويصلح . ـ وما أثبتناه من النسخ الأخرى .

10 ق : في أول درجة المردين .

11 ب : في رفض دنياه .

12 ق : ما بين الخوف والرجاء . ـ وفي ب : ما بين الذل والرجاء .

13 ب : أمان .

14 في الأصل : ويبكون . ـ تحريف صوابه من النسخ الأخرى .

15 ب : وهذا مَقامُ أهل الخشية .

وتَعْذُبُ عندهم المِحَنُ ، فيَسْتَغْرِقونَ في مَعْرِفةِ المِنَنِ . وهذا مَقامُ أهلِ الهَيْبَةِ ، وأهلُ هذا المَقامِ تَعْتَدِلُ[1] عندهم المَقاديرِ فيرَوْنَ في جَنْبِ كلِّ مِحْنَةٍ نِعْمَةً ، وفي جَنْبِ كلِّ نِعْمَةٍ شُكْراً . فالمِحَنُ لا تَقْطَعُهم ، والنِّعَم لا تَشْغَلُهم[2] . وأهْلُ هذا المقام يَطرأ عليهم الغَشْيُ والصَّعْقُ[3] ولا يَجِدونَ للدُّموعِ سبيلاً ، ولا يَرَوْنَ في الوُجودِ إلاَّ الله سبحانه وأفعالَه .

فصل [يتأتّى النظر على قدر صحته وقوة نوره]

واعْلَمْ أنَّ النَّظَرَ يتأتَّى و يُمْكِنُ مِنَ البصرِ[4] على قَدْرِ صِّحتِه وقوَّةِ نورِهِ[5] ، وزَوالِ الغَسَقِ[6] مِنَ الأُفُقِ بإشْراقِ نورِ الشمسِ بعد زوالِ السَّحابِ الحاجبِ[7] لَها ، فإذا كَمُلَتْ[8] هذه الشُّروطُ يُمْكِنُ ويَتأتَّى[9] مِنَ البَصَرِ النَّظَرُ على وِفْقِ الرَّغْبَةِ فَيَصْلُحُ حينئذٍ روحُ البَصَرِ الحسِّي [أنْ تَتَجَلّى فيه لوائحُ أنْوارِ عالَمِ الشَّهادَةِ الحِسّي][10] . وهذا مَثَلٌ يستدعي شَرْحَ ما بعدَهُ مِمَّا يَليهِ .

فصل في الرُّوحِ العَقْلِيِّ

فإذا سَلِمَ الرّوحُ العقلي مِنَ الخَلَلِ الذي يَشينُهُ ويُوهِنُهُ تَجَلَّتْ فيه أسْرارُ عالَمِ الغَيْبِ إذا لَمْ تَتَعَذَّرْ رُؤْيتُهُ بسُحُبٍ مَعْنَوِيةٍ ، وأشْرَقَ[11] نورُ شَمْسِ القُرْآنِ على أُفُقِ عالَمِ العَقْلِ[12] ، [وانْجَلى عنه غَسَقُ الظَّلامِ فَيَسْتَعينُ العَقْلُ][13] على ما تَجَلّى في روحِهِ بالفِكْرِ والوَهْمِ والتَّدبيرِ وغيرِ

---

1 ع ، م ، ب : تعدل . ـ وما أثبتناه من ق ، ط .

2 في الأصل : والنعيم لا تشغلهم . ـ تحريف صوابه من النسخ الأخرى .

3 الغشية هي غيبة القلب بما يرد . ويظهر ذلك على ظاهر العبد . والغشي في اصطلاح الصوفية عبارة عن الشيء الذي لا يستقر على مرآة القلب ولا يأخذ لونا في البصيرة . ـ معجم مصطلحات الصوفية (أبو خزام) 131 . ـ والصعق هو الغشية أو الذهاب أو الفناء . وذلك من مطالعة أنوار الحقائق . فالصعق دهشة وسكر ناتج من تجلي أسرار الله على قلب العبد الصادق ، وذلك في حال المشاهدة . ـ معجم ألفاظ الصوفية (الشرقاوي) 190 . انظر أيضا معجم مصطلحات الصوفية : 151 . ومعجم المصطلحات الصوفية 109 .

4 م : واعلم بأن النظر يتأتى من البصر . ـ ب : أن النظر يتأتى من البصر .

5 م : على قدر صحة المبصر وقوة نوره .

6 الغسق : ظلمة الليل .

7 ب : الحاجبة .

8 م : من الأفق باشتراق نور الشمس بعد زوال السحابة الحاجبة ، فإذا كملت .

9 م ، ب : فإذا كملت هذه الشروط يتأتى .

10 الزيادة من م ، ب ، ط .

11 ب : بسحاب معنوية وإشراق .

12 ب : عالم الغيب . ـ وهو تحريف .

13 الزيادة من م ، ب ، ط .

ذلك مِنْ جُنودِهِ وخُدَّامِهِ وعُمَّالِهِ الذين سَخَّرَهم الله له[1] في عَالَمِهِ[2] الخاصِّ له[3] أيضاً . وهذا أيضاً مَثَلٌ يَسْتَدْعي شَرْحَ ما بَعْدَهُ مِمّا يليه .

فصل في الرُّوحِ القُدْسيِّ

والرُّوحُ القُدْسيُّ عالَمٌ آخَرُ مِنْ وَراءِ [حِجابِ][4] العَقْلِ يَخْتَصُّ به[5] الأنبياءُ وبعض الأولياءِ فَتَتَجَلّى فيه لوائِحُ و لوامِعُ[6] بعدَ فَناءِ كُلِّ حادِثَةٍ مَوْجودَةٍ ، وبعدَ فناءِ الفناءِ ، ولا يَتَعَذَّرُ عليك[7] وُجودُ ذلكَ إلاَّ بِرُسُومِكَ وصفاتِكَ وحِجابِ ذاتِكَ . ولا تَحْسَبَنَّ[8] أيُّها المسكينُ أنَّ السماواتِ والأرضَ والعَرْشَ والكُرْسيَّ وغيرَ ذلك مِنَ الحوادِثِ أشدُّ كثافةً مِنْ حِجابِ ذاتِكَ ، بل حِجابُ[9] ذاتِكَ أشَدُّ كثافَةً مِنْ جَميعِ ذلكَ ، لَكِنْ لا يَصْلُحُ لأسرارِ لوائحِ الغيب إلاَّ الأمناءُ مِنْ عبادِ الله عز وجلّ الذين يَصْلُحونَ للقُربِ والمُجالَسَةِ وحِفْظِ الأسْرارِ عنْ آذانِ الأشْرارِ وهُمْ الذينَ لم يَبقَ لهم منه حَظٌّ ولا لَهُم فيه مُطالَبَةٌ[10] فَكَانُوا بِلا كَوْنٍ وشَهِدوا بِلا شهودٍ ، بَلْ يَكونون بالتكوينِ ويَشْهَدونَ بالإشْهادِ ، فلا هُمْ هُمْ ، وهُمْ لا هُمْ . فهُمْ مِنْ حَيْثُ الوُجودُ ، ولا هُمْ مِنْ حَيْثُ الإيجادُ . ليس لَهُمْ في أنْفُسِهم حظٌّ ، أُخْرِجُوا مِنْ حُدودِ[11] التَّفْرِقَةِ إلى عَيْنِ الجَمْعِ . فهُمْ مَجْموعونَ[12] في عَيْنِ الجَمْعِ ، فلا ثَمَّ كَلامٌ ولا عنهم[13] عِبارَةٌ بِحالٍ . فالنَّظَرُ إلى الله عز وجل بِعينِ الرَّجاءِ والخَوْفِ[14] ، والكَرَمِ والجمالِ والرَّحْمَةِ ، والرَّأفَةِ والشَّفَقَةِ ، واللُّطْفِ والحِلْمِ ،

---

1 ب : والذين سخر لهم الله . ــ تحريف .

2 في الأصل : في عماله . ــ وهو تحريف صوابه من النسخ الأخرى .

3 ق : الخالص له .

4 الزيادة من م ، ق ، ب ، ط .

5 ب : بها . ــ تحريف .

6 ب : لوامع و لوائح . ــ واللوائح في اصطلاح الصوفية : ما يلوح من نور التجلي ثم يروح ويسمى بارقة وخطرة . واللوامع معناها قريب من اللوائح ، وهي أنوار ساطعة تلمع لأهل البدايات من السالكين . ــ معجم مصطلحات الصوفية 230 . ــ معجم المصطلحات الصوفية 152 ومعجم ألفاظ الصوفية 247 .

7 لم ترد لفظة «عليك» في ب .

8 ب : ولا تحسب .

9 ع ، ط : حُجُب . ــ وما أثبتناه من م ، ق ، ب .

10 ب : لم يبق لهم منهم حظ ولا فيهم مطالبة .

11 في الأصل : من حد التفرقة . ــ وما أثبتناه من النسخ الأخرى .

12 ط : مجمعون .

13 م ، ق ، ب : عنه .

14 ق ، ب ، ط : بعين الخوف والرجاء .

العَفْوِ والغُفْرانِ ، كلُّ ذلك يَسْتَدعي البَقاءَ والنَّظَرَ إليه [سبحانه][1] بعين الحياء والتَّعظيم ، والإجْلالِ والهَيْبَة ، والوَقارِ والعِزَّةِ ، والكَمالِ[2] والعِلْمِ ، والسُّلطانِ والقُدْرَةِ ، والانْفِرادِ والحِكْمَةِ والغَناء[3] ، كُلُّ ذلكَ يَسْتَدعي الفَناءَ والنَّظَرَ على قَيس صَقْل البَصَر[4] .

فصل في الفِراسةِ

والفِراسَةُ ثابِتةٌ في الكِتابِ[5] والسُّنَّةِ . فالكتابُ[6] قولُهُ تعالى : ﴿إِنَّ في ذلك لآياتٍ للمُتَوَسِّمين﴾[7] . والسُّنَّةُ قَوْلُهُ عليه الصلاةُ والسلامُ[8] : «إنَّ للهِ عِباداً يعْرِفون النّاس بالتَّوَسُّمِ»[9] وقوله عليه الصلاةُ والسلامُ أيضاً[10] : «اتّقوا فِراسةَ المؤمِنِ فإنّهُ يَنْظُرُ بنورِ الله»[11] .

والفِراسَةُ لوائِحُ تتجلّى في عالَمِ الرُّوحِ القُدْسِيّ ، وهو نتيجةٌ مِنْ نَتائجِ حَقيقَةِ الإيمانِ ، وطَهارة[12] الأسْرارِ ، ولكِنْ لا يُقْطَعُ بهذا[13] على مَخْلوق لأنَّ القَطْعَ بِها مُخالِفٌ لِطَريقِ العِلْمِ . فمَنْ قَطَعَ بِها فهو جاهِلٌ بالعِلْمِ ، وهو عاصٍ مَأثومٌ وإنْ أصابَتْ فِراسَتُهُ .

فصل في القُرْبِ والمُشاهَدَةِ

فَعِلْمُ القُرْبِ خِلافُ وُجودِ القُرْبِ ، وعِلْمُ المُشاهَدَةِ خِلافُ وُجودِ المُشاهدةِ[14] . فعِلْمُ القُرْبِ أنْ يَعْلَمَ العبدُ أنَّ اللهَ عز وجل قريبٌ منه ، ووُجودُ القُرْبِ إجْلالُ اللهِ عز وجلّ[15] ، وَوَضْعُ كلِّ شيءٍ سِواهُ مَعَ وُجودِ الطُّمأنينَةِ [به][16] وَفَقْدِ الاعْتِمادِ على غَيْرِه .

---

1 الزيادة من م ، ق ، ب ، ط .
2 في الأصل : والكلام . ـ وهو تحريف ، صوابه من النسخ الأخرى .
3 الغناء ـ بفتح الغين ـ : النفع والخير .
4 م : قدر البصر . ـ ق : قيس البصر .
5 في الأصل : في الكتب . ـ وما أثبتناه من النسخ الأخرى .
6 م ، ب : فأما الكتاب .
7 سورة الحجر . الآية : 75 .
8 م ، ق ، ب ، ط : عليه السلام .
9 ق : يعرفون بالتوسم .
10 قوله «عليه السلام أيضاً» لم يرد في ب ، ق .
11 المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي 476/6 .
12 ب : وظاهرة . ـ وهو تحريف .
13 في الأصل : ولا يقطع هذا . ـ وما أثبتنا من م ، ق ، ط . ـ وفي ب : لا يقطع بها .
14 قوله «فعلم القرب . . . وجود المشاهدة» لم يرد في ط .
15 ب : إجلال القلب لله سبحانه .
16 الزيادة من م ، ط .

وعِلْمُ المُشاهدَةِ أنْ يَعلَم العبدُ[1] أنَّ الله عز وجل مُشاهِدُهُ ، ووُجودُ المُشاهَدَةِ أنْ يَشْهَدَ اللهَ[2] بإيمانِهِ كأنَّهُ يَراهُ معَ وُجودِ الهَيْبَةِ والتَّعْظيم والإجْلالِ لله سبحانه ، ورؤية مَنْ سواهُ بعينِ العَدَمِ والتَّلاشي .

وشَرْحُ المُشاهدةِ يَحْتَمِلُ وُجوهاً يَجِبُ سِتْرُها عن غير أهلِها لأنَّ مَنْ أَعْطى عِلْماً لِجاهِلٍ لم تَبْلُغْهُ رُتْبَتُهُ ، ولا يَسَعُهُ عَقْلُهُ ، ولا يَحْتَمِلُهُ فَهْمُهُ ، ولا تُدرِكُهُ فِطْنَتُهُ كمَنْ عَلَّقَ الجَوْهَرَ[3] في أعْناقِ الخَنازيرِ . ولذلك قيلَ : ما حَدَّثَ أحَدٌ قَوْماً بِحَديثٍ لا تَحْتَمِلُهُ عُقولُهم إلاَّ زادَهم[4] فِتْنَةً وحَيْرَةً[5] . وقد سُئِلَ بعضُ العارفيـنَ عن عِلمٍ فلم يُجِبْ ، فقال له السَّائِلُ[6] : «مَنْ سُئِلَ عن عِلْمٍ فكَتَمَهُ أُلْجِمَ يَوْمَ القيامَةِ بلِجامٍ مِنْ نار»[7] . فقال المسؤولُ : «إنْ مَنعْتُهُ مَنْ يَسْتَحِقُهُ فلْيُلْجِمْني» يَعْني عِلْمَ المُكاشفَةِ والمُشاهَدَةِ لأنَّه عِلْمٌ مُشْتَمِلٌ على الأسْرارِ التي لا يَحِلُّ[8] كَشْفُها لِعوامِّ العُلَماءِ ولا لِعوامِّ الأُمِّيينَ[9] لأنَّ عُقولَهم تَنْخَفِضُ دونَ أعالي تلك الأسْرارِ[10] . ولكنَّ نَفْسَ الجاهِلِ تَدَّعي أنَّها جامعةٌ[11] لِكُلِّ عِلْمٍ وأنَّها تُحيطُ بِكُلِّ جوابٍ فَهْماً . وليْسَ الأمْرُ كذلك وإنَّما يُكالُ لكلِّ أحَدٍ بمِعْيارِ عَقْلِهِ[12] ، فمتى زِيدَ على المِعْيارِ وَقَعَ الإنْكارُ على ما فَضَلَ [على][13] المِعْيارِ . ومِنْ أجْلِ هذه العِلَّةِ لا يُعْطى السَّائِلُ مِنَ العِلْمِ فوْقَ ما يَحْتَمِلُهُ عَقْلُهُ ولا يَجِبُ للسائِلِ أنْ يِسْأَلَ عَمَّا لا تَبْلُغه[14] رُتبتُه كما قيلَ : «السؤالُ عمّا لا تبلُغهُ[15] رُتْبتُك جهلٌ وسوءُ أدَبٍ» . وقال رسول الله ﷺ : «لا

---

1 لم ترد لفظة «العبد» في ق ، ب .
2 ب : أن يعلم الله بإيمانه .
3 م ، ب : الجواهر .
4 في الأصل : إلا زادتهم . ـ وما أثبتناه من النسخ الأخرى .
5 ب : ولا زادهم الله حيرة . ـ تحريف .
6 بعدها في ط : «كما قال ﷺ» .
7 الترمذي : عِلم 3 ، وانظر المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي 94/6 .
8 ب : على أسرار لا يحل .
9 ق : والعوام الأمين . ـ ب : ولا لعلماء الأميين .
10 قوله : «التي لا يحل . . . تلك الأسرار» لم يرد في م .
11 لم ترد لفظة «جامعة» في ب .
12 ع ، ق : بمعياره . ـ وما أثبتناه من ب ، ط . ـ وفي م : باعتبار عقله .
13 الزيادة من ق ، ب ، ط . ـ وفي م : عن المعيار .
14 ب : على ما لم تبلغه .
15 ب : لم تبلغه .

تُعطوا الحِكْمَةَ غير[1] أهلها فتَظلِمُوها ، ولا تمنَعوها أهْلَها فتَظلِمُوهم»[2] . فهذا دليلٌ على [أنَّ] المَسْؤولَ[3] لا يُعْطي السّائِلَ مِنَ العِلْمِ إلاَّ ما هو أهْلُهُ ، ويَسَعُهُ عَقْلُهُ ، فإنْ أعْطاهُ[4] فوقَ ذلكَ فقدْ ظَلَمَ وفارَقَ الصَّوابَ .

فصل في الأنوار

واعْلَم أنَّ الخَشْيَةَ لها نورٌ يُورِّثُ انْشِراحَ الصُّدورِ[5] وزوالَ دَرَنِ القُلوبِ[6] ، ولَذَّةَ المُناجاةِ ، والرَّغْبَةَ في الزيادةِ مِنْ أعمالِ البرِّ طَمَعاً لِوُصولِ المَأمولِ مِنَ اللهِ عز وجل .

والتَّقوى له نورٌ يُظْهِرُ عاقِبَةَ المَعْصيةِ[7] ، ويُورِّثُ الانْحِجازَ عن المُخالَفةِ وإنزالَ المحظورِ مَنْزِلَةَ النارِ . والعِلمُ له نورٌ تتَمَيَّزُ بِهِ الحَقائِقُ والخصائِصُ ، ويُورِّثُ زوالَ ظُلْمَةِ الجَهْلِ[8] والغَيْبَةِ عن الأسْبابِ . والإيمانُ له نورٌ يُورِّثُ الاسْتِغْراقَ في جَلالِ الربوبية ، والخَشْيَةِ مِنْ سَطْوَةِ الألوهِيَةِ ، والاسْتِظْلالِ بظِلِّ العُبوديَةِ . واليَقينُ له نورٌ يُورِّثُ تلاشي الخَلْقِ في جَنْبِ عَظَمَةِ الخالِقِ ويُورِّثُ مَحْقَ[9] الخَوْفِ مِنْ جَميعِ المَخلوقينَ ، والطَّمَعِ فيما عندهم ، والحِرْصِ في اسْتِعْجالِ المَطلوبِ . والعَقْلُ له نورٌ يُورِّثُ التَّفكُّرَ والاعْتبارَ في إتْقانِ[10] صَنْعَةِ الجبّارِ . والإسلامُ له نورٌ ، يُورِّثُ الاسْتِسلامَ والسُّرورَ بِمَجاري[11] الأحْكامِ . والمَعْرِفَةُ لها نور يُورِّثُ الحَياءَ والانْكِماشَ ومُفارَقَةَ الانْبِساطِ ، والسُّكونَ عند فَقْدِ العَطِيَةِ مع مُفارَقَةِ الطَّيْشِ والاضطِرابِ ، والطُّمأنينة بِما جَرَتْ به عُقْدَةُ الضَّمانِ[12] ، والاعتمادَ على ما عندَ اللهِ سبحانه مع فقدِ الاعتمادِ على ما في يَدِكَ وأيْدي النّاسِ[13] . والمَحَبَّةُ لَها نورٌ يُورِّثُ الشَّوْقَ ، ومَحَبَّةَ الفِراقِ طَمَعاً لِلْوُصولِ ، وَعُزوبَ القَلبِ عن

---

1 في الأصل : لغير . ــ وما أثبتناه من النسخ الأخرى .
2 لم نهتدِ لتخريج الحديث .
3 الزيادة من م ، ق . ــ وفي ب : على السائل . ــ وهو تحريف .
4 ع ، ق ، ط : أعطى . ــ وما أثبتناه من م ، ب .
5 ع ، ق ، ط : الانشراح للصدور . ــ وما أثبتناه من م ، ب .
6 الدرن الوسخ ، ودرن القلوب : ما علق بها من حب الشهوات ، واقتراف الذنوب وارتكاب المحرمات .
7 ب : يظهر على قُبّة المعصية . ــ تحريف .
8 في الأصل : زوال كلمة الجهل . ــ تحريف صوابه من النسخ الأخرى .
9 في الأصل : محو الخوف . ــ تحريف صوابه من النسخ الأخرى . ــ ومَحَقَ الشيءَ يَمْحَقُهُ مَحْقاً : إذا أزاله وبدّده وفي القرآن الكريم ﴿يمحق الله الربا ويربي الصدقات﴾ .
10 ب : من إتقان .
11 ع ، ط : لمجاري . ــ وما أثبتناه من م ، ق ، ب .
12 ب : الظمان . ــ تحريف .
13 ب : على ما في يد كرم أيدي الناس . ــ وهو تحريف .

الكَوْنَينِ ، وإقبالَهُ بِكُلِّيَتِهِ على مُكوِّنِهما[1] وتَلاشي البَلاءِ[2] في جَنْبِ مَحبَّةِ المَحبوب ، والتَّنَعُّمَ بذِكرِهِ ، وصَرْفَ الهِمَّةِ عن غَيْرِهِ كما قيلَ في الحِكْمَةِ : «مَكْتوبٌ أيها الصِّدِّيقُون تَنَعَّمُوا بِذِكْري وافْرَحوا به» . فالمَحَبَّةُ إذا رَسَخَتْ[3] في القلوبِ امْتَحَقَتْ[4] وتَلاشَتْ في جَنْبِها جميعُ المَصائِبِ والمِحَنِ والمَشَقّاتِ . والحِلْمُ له نورٌ يُورِّثُ العَفْوَ والصَّفْحَ والتَّجاوُزَ ويَمْحَقُ الانْتِصارَ مِنَ الظّالِمِ بِيَدٍ أو لِسانٍ أو حِقْدٍ أو عَداوَةٍ . وذلك مِنْ صِفاتِ الصِّدِّيقينَ . والصَّبْرُ له نورٌ يورِّثُ زوالَ ظُلْمَةِ[5] الجَزَعِ ويَبْعَثُ النُّفوسَ كارِهَةً على طَريقِ الاسْتِقامَةِ . والرِّضى له نورٌ يُوَرِّثُ عُذوبَةَ الصُّعوباتِ ، وتَعْذُبُ في جَنْبِهِ المَراراتُ ، ويُفيدُ السُّرورَ بمجاري الأَقْدارِ ، ويُنزِلُ الفَقْرَ والغِنى ، والمَرَضَ والصِّحَةَ ، والمَنْعَ والعَطاءَ ، والضَّرَّ والنَّفْعَ ، والشِّدَّةَ والرَّخاءَ ، والفُقْدانَ والوِجْدانَ ، بِمَنْزِلَةٍ[6] واحِدَةٍ . وذلك مِنْ صِفاتِ الصَّفْوَةِ[7] مِنَ المؤمِنينَ ، كما قيل : «يُنادي مُنادٍ يَوْمَ القِيامَةِ : أَيْنَ صَفْوَةُ اللهِ مِنْ عِبادِهِ ؟ فَتَقولُ المَلائِكَةُ : يا رَبِّ ومَنْ صَفْوَتُكَ مِنْ عبادِكَ ؟ فيقولُ : القانِعونَ بعَطائِي ، الرّاضونَ بقَضائِي» . والقناعَةُ لها نورٌ[8] يَتَلاشى في جَنْبِهِ تَهْويساتُ الأَطْماعِ ، ويَقْطَعُ أَرْسانَ الحِرْصِ[9] ، ويُلْقي[10] عن القُلوبِ[11] مُصيبَةَ الإلْحافِ[12] . فالقناعَةُ أَسْنى حِلْيَةٍ تَحَلّى بِها العارِفونَ .

فصل في عِلْمِ القُلوبِ

فإذا كَمُلَتْ للعَبْدِ[13] ثَلاثُ[14] خِصالٍ تَفَجَّرَ العِلْمُ مِنْ قَلبِه [وظَهَرَ][15] على لِسانِهِ ، وهي :

---

1 ب : قلقا للوصول وعزوب القلب عن ذلك الكونين وإقباله بكله على مكونهما . ـ وهو تحريف .

2 ع ، ق : وتلاشي الفاني . ـ وما أثبتناه من م ، ب ، ط .

3 ب : رصخت . ـ وهو تحريف .

4 في الأصل : امتحنت . وفي ق ، ط : امتحت . ـ وما أثبتناه من م ، ب .

5 ب : له نور يزيل ظلمات الجزع .

6 ب : منزلةً . ـ وقوله «والفقر والنفع والشدة والرخاء والفقدان والوجدان» لم يرد في م .

7 ب : وهي صفات الصفوة .

8 ب : وللقناعة نور .

9 الأرسان جمع رسن وهو اللجام وما شابهه .

10 م ، ط : وتلغي .

11 ق ، ب : عن القلب .

12 الالحاف : الإصرار . ـ وفي القرآن الكريم : ﴿لا يسألون الناس إلحافاً﴾ .

13 ب : في العبد .

14 ع ، ب ، ق : ثلاثة . ـ خطأ .

15 الزيادة من م ، ب ، ط .

الزُّهْدُ والإخلاصُ والتَّقوى . فإنْ تزيَّى أحدٌ بزيِّ المُخْلِصين والزُّهادِ والمتَّقين ولم يَنْبُع العِلْمُ مِن قلبه على لسانه فهو غيرُ صادقٍ[1] في ما تَزَيَّى به ، ونَسَبَ نفسه إليه . فالعِلْمُ الذي يَنْبُعُ مِن القُلوبِ على الألْسُنِ[2] لا يُنْكِرُهُ إلاَّ جاهِلٌ مُنْغَمِسٌ في جَهْلِهِ . وكَيْفَ يُنْكَرُ ما في الكِتابِ[3] والسُّنَّةِ أصْلُهُ ؟ قال الله سبحانه : ﴿واتَّقوا الله ويُعَلِمُكم الله﴾[4] . وقال رسول الله ﷺ : «مَن أخْلَصَ لله أربعينَ يوماً ظَهَرتْ ينابيعُ الحِكمةِ مِنْ قلبه على لِسانِه»[5] . وقال : «إذا زَهِدَ العَبْدُ في الدنيا وَرِثَ[6] ثلاثَ خِصالٍ : عِزّاً مِنْ غير عشيرَة ، وغِنىً مِنْ غَيْرِ مال ، وعِلْماً مِنْ غير تَعْليم»[7] . وكَتَبَ عُمرُ رضي الله عنه إلى أُمَراءِ الأجْنادِ : «احفظوا مِنَ المُطيعينَ ما يَقولونَ ، فإنَّهم[8] تَتجَلَّى لَهُمْ أُمورٌ صادِقَةٌ» . فالعِلْمُ مَجْعولٌ في القُلُوبِ لَكِنَّهُ يَتَعَذَّرُ ظُهورُهُ[9] بِحُبِّ الدنيا والقُصورِ على ما اقْتَصَرَ عليه أبْناؤُها . فمُعالَجةُ ظُهورِ العِلْمِ المَجْعولِ في القُلوبِ كَمُعالَجَةِ حَفْرِ الآبارِ رَغْبَةً في الماءِ ، فلا مَطْمَعَ في مِياهِ الآبارِ إلاَّ بعد [مَشَقَّةِ] الكدِّ[10] والاجْتِهادِ والتَّعَبِ في حَفْرِها ، والصَّبْرِ على صُعُوبَةِ وَعْرِها . وكذلك لا مَطْمَعَ في العِلْمِ الذي يَنْبُعُ مِنَ القَلْبِ ويَظْهَرُ على اللِّسانِ إلاَّ بعد مُعالَجةِ القلبِ بالأدْوِيَةِ التي تَصْلُحُ لِزَوالِ دَرَنِه ورانِه[11] ، وكَشْفِ حِجابِهِ[12] وصَقْلِهِ مِنْ كَدوراتِهِ ، ولِينِهِ مِنْ قَسْوَتِهِ ، ويَقْظَتِهِ مِنْ وَسْنَتِهِ[13] ، وحياتِهِ مِنْ مَوْتِهِ ، وقُرْبِهِ مِنْ بُعْدِهِ ، وصَرْفِ هِمَّتِهِ لربِّهِ .

---

1 ب : فهو كاذب .

2 م ، ب : على اللسان .

3 في الأصل : في الكتب . ـ وما أثبتناه من النسخ الأخرى .

4 سورة البقرة . الآية : 282 .

5 م : أربعين صباحاً .

6 م : أورث .

7 م : من غير تعلم .

8 ب : فإنها .

9 في الأصل : ظهور . ـ تحريف صوابه من النسخ الأخرى .

10 الزيادة من م ، ط ، ب .

11 الرّان والرين سواء كالذام والذيم والعاب والعيب ، وهو الصدأ الذي يغشى القلب . وفي القرآن الكريم : ﴿كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾ . ـ وفي الاصطلاح الصوفي الرين هو حجاب القلوب لا يمكن كشفه إلا بالإيمان معجم مصطلحات الصوفية (عبد المنعم الحفني) : 116 ومعجم المصطلحات الصوفية (جورج متري عبد المسيح) : 93 .

12 ب : حجبه .

13 ط : وسينته . ـ وهو تحريف . ـ وفي م ، ق : من سنته . ـ والوَسْنَةُ والسِنَةُ بمعنى واحد وهو أول النوم .

وَمِنْ جُمْلَةِ العِلَلِ التي تَشِينُ القَلْبَ وَيَسْتَعِدُّ لِمُعالَجَةِ زَوالِها الكِبْرُ والحَسَدُ ، والغَضَبُ والرِّياء ، والسُّمْعَةُ والمَحْمَدَةُ ، والجاهُ والشَّرَفُ ، وعُلُوُّ المَنْزِلَةِ ، والطَّمَعُ والحِرْصُ ، والقَسْوَةُ والمُداهَنَةُ ، [والحِقْدُ والعَداوَةُ][1] ، وحُبُّ المَحْمَدَةِ[2] ، وكَراهَةُ المَذَمَّة . فهذه جُمْلَة مِنْ عِلَلِ القلبِ وحُجُبِه . فكُلُّ ما عَدَدْنا[3] [مِنْ هذه العِلَلِ][4] وما لم نَعُدَّه راجِعٌ إلى أصلٍ واحِدٍ وهو حُبُّ الدنيا لأنّ حُبَّها مِنه يَتَفَرَّعُ كلُّ شَرٍّ[5] ، ومنه[6] يَتَشَعَّبُ كل قبيحٍ ، ومِنه تأتِي كلَّ جائِحَة[7] . فكُلُّ غافِلٍ اسْتَعْبَدَتْهُ نَفْسُهُ ، ومَلَكَتْهُ شَهْوَتُهُ ، وقادَهُ حِرْصُهُ . فإذا زالَتْ هذه العِلَلُ التي ذَكَرْتُ لك ظَهَرَ الصِّدْقُ [والإخْلاصُ][8] ، والتواضُعُ والحِلْمُ ، والوَرَعُ والقَناعَةُ والزُّهْدُ ، والصَّبْرُ والرِّضى ، والأُنْسُ والمَحبةُ والشَّوْقُ ، والتَوَكُّلُ والخَشْيَةُ والحُزْنُ ، وقِصَرُ الأَمَلِ ، ومزاجُ النيَةِ بالعَمَلِ[9] ، ويَنْبُعُ العِلْمُ مِنَ القلوب [ويَنْفِي الجَهْلَ][10] ويُضيءُ القَلْبَ بنورٍ إلهي ، ويُنيرُ البصائر ، ويَتلألأُ الإيمانِ ، وتَرْسُخُ[11] المَعْرِفَةُ ، ويَشْمَخُ[12] اليقينُ ، ويَتقَوّى الإلهامُ ، وتَبْدو الفِراسَةُ[13] ويظْهَرُ السِرُّ[14] ، ويَحُلُّ الصَّفاءُ ، وتَتَجَلّى الأَسْرار ، وتوجَدُ الفوائدُ ، وتَنْفَتِحُ أبوابُ المَلَكوتِ .

فَبَعْدَ تَرَقّي هذا المَقامِ تَصيرُ القُلوبُ يَنابيعَ للحِكْمَةِ ، وخَزائِنَ للقُدْرَةِ ، وثوابتَ[15] للعَظَمَةِ ، فَتَمْتَحِقُ[16] الرُّسوم ، وتَنْدَرِسُ الصِّفات ، ويَفْنى كُلُّ ما يَتَأَتّى إدْراكُهُ ببصرٍ أو بصيرةٍ ، وتَتَجَلّى

---

1 الزيادة من م ، ق ، ب ، ط .

2 ب : وحب المدحة .

3 في الأصل : عددته . ـ وفي ق ، ط : ما عددت . ـ وما أثبتناه من م ، ب .

4 الزيادة ق ، ب ، ط .

5 ع ، ق ، ط : كل شيء . ـ وما أثبتناه من م ، ب .

6 ب : عنه .

7 ق ، ب ، ط : كل حاجة . ـ تحريف . ـ والجائحة : المصيبة تحل بالرجل في ماله أو ما أذهب الثمر أو الزرع أو نحوهما من الآفات الطبيعية .

8 الزيادة من م ، ق ، ب ، ط .

9 ق : بالعلم . ـ تحريف .

10 أي : ينفي العِلْمُ الجَهْلَ . ـ وفي م : ينتفي . ـ ب : يشفي . ـ تحريف . ـ والزيادة من ق ، ط .

11 ع ، م : وترشح . ـ وما أثبتناه من ق ، ب ، ط .

12 ع ، ط : ويتشمخ . ـ وفي ق : ويتمشخ . ـ وكلاهما تحريف صوابه من م ، ب .

13 ب : الفراسات .

14 في الأصل : وبصفا السر . ـ وفي ق ، ط : ويصفا السر . ـ وفي ب : ويصفو . ـ وما أثبتناه من م .

15 ع ، ط : ينابيعا للحكمة وخزائنا للقدرة وثوابتا للعظمة . ـ وهو خطأ في النسخ .

16 في الأصل : فتمحو . ـ وما أثبتناه من م ، ب ، ط . ـ وفي ق : وتمحق .

لوائِحُ الغَيْبِ وتَهُبُّ رِيَّاحُ الهَيْبَةِ بِصَدْمَةِ العِزَّةِ . وإلى هذا المَعنى الإشارَةُ بسِرٍّ قوله عليه الصلاة والسلام[1] : «حِجابُهُ النُّور[2] ولو كَشَفها لأحْرَقَتْ[3] سُبُحاتُ وَجْهِهِ[4] كُلَّ شيءٍ أدْرَكَهُ بَصَرُهُ»[5] . ولذلك قال قائلهم : [مجزوء الكامل]

أَشْتاقُهُ فإذا بَـدا أطْرَقتُ مِنْ إجْلالِه

لا خِيفَةً بَـلْ هَيْبَةً وصِيانَـةً لِجمالِـه

وأصُدُّ عنـه تَجَلُّدا وأرومُ طَيْفَ خيالِـه[6]

[7]وقد قَدَّمْنا أنَّ الرُّوحَ القُدْسيّ تتجَلَّى فيه لَوامِعُ ولوائِحُ الغَيْبِ[8] إذا صَحِبَتْهُ الخُصوصِيَةُ والعِنايَةُ[9] الأزَليَةُ . وقد قَدَّمْنا [أيْضاً][10] أنَّ عالَمَ الرّوحِ القُدُسي مِنْ وَراءِ عَالَمِ العَقْلِ ، لكِنّي أظُنُّكَ تَقولُ : كَيْفَ يَكونُ عالَمٌ آخرُ مِنْ وراءِ عالَمِ العَقْلِ الذي هو قُطْبٌ يَدورُ[11] عليه العُقَلاءُ ؟ .

اعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ أنَّ عالَمَ العَقْلِ تُشْرِقُ عليه أنوارُ العَقْلِ فتَجْري أقْلامُ الحَفَظَةِ على العَبْدِ مِنْ أجْلِ ذلكَ . فإذا عارَضَ العَقْلَ نَوْمٌ لَمْ تَكتُبْ أقلامُ الحَفَظَةِ على العَبْدِ شيئاً لأنَّ أحْكامَ العَقْلِ قد ارْتَفَعَتْ ، لَكِنَّ النائِمَ تتأتّى منه بصيرَةٌ في النوم تتجَلَّى فيها الرؤْيَةُ الصَّالِحَةُ[12] فتكونُ تلك الرؤيَةُ جزءاً مِنْ سِتةٍ وأربعينَ جُزْءاً مِنْ النُّبوةِ[13] . ألا تَرى أنَّ البَصيرةَ التي تَتأتّى مِنَ النائِمِ إنَّما هي[14] مِنْ وَراءِ العَقْلِ ، ولو كانَ للعَقْلِ هناكَ حُكْمٌ لَجرَتْ أقْلامُ

---

1 ق ، م ، ب ، ط : عليه السلام .

2 ق : حُجُبُ النور .

3 ب : لاحترقت . ــ تحريف .

4 سُبُحات وجهه : أنواره تعالى وجلاله وعظمته . ــ المعجم الوسيط سبح .

5 مسلم : إيمان 393 ، ابن حنبل : 404/4 .

6 وردت هذه الأبيات في ع ، م ، ق على شكل عبارات نثرية .

7 سبق أن أشرنا إلى اضطراب السياق في ب إذ أخر الناسخ مقدار صفحة ونصف صفحة إلى موضع آخر من هذه المخطوطة . انظر ص 124 هـ 5 وقد ساق هنا ما سبق أن أخره .

8 ع ، ق : تتجلى فيه لوائح الغيب . ــ وما أثبتناه من م ، ب ، ط .

9 ب : إذا صحبته العناية .

10 الزيادة من م ، ب .

11 ع ، ق : تدور عليه الخلائق . ــ وما أثبتناه من م ، ب . ــ وفي ط : يدل عليه العقلاء .

12 ب : الصادقة .

13 البخاري : تعبير 3 ، 4 ، 10 . ــ ومسلم : رؤيا 6 ، 7 ، 8 .

14 ع ، ق ، ط ، ب : إنها وما أثبتناه من م .

الحَفَظَةِ على النَّائمِ . وكذلك الرُّوحُ القُدُسيُّ مِنْ وراءِ العقْلِ تتجلى فيه لوائحُ الغيْبِ لبَصيرةِ النَّائمِ[1] . والرُّوحُ القُدْسيُّ أيضاً يُشْبِهُ بصيرةَ [النائمِ][2] مِنْ وجْهٍ [آخرَ][3] ، وذلك[4] أنَّ بَصيرةَ النَّائمِ التي تتجلَّى فيها[5] الرؤيةُ لا تَتأتَّى مِنَ النائمِ إلاَّ بعد غَيْبَةٍ عَنِ الرُّسومِ والصِّفاتِ . وكذلك الرّوحُ القُدْسيُّ الذي تتجلَّى فيه لوائحُ الغَيْبِ لا يتأتَّى مِنَ العَبْدِ حتى يَغيبَ عن الرسومِ والصِّفات . فهذه هذه[6] لَكِنَّ الرُّوحَ القُدْسيَّ على رُتْبتَيْنِ : الرُّتْبَةُ الأُولى تُشْبِهُ وَقْتَ انْصِداعَ الفَجْرِ إلى الطُّلوعِ ، تَبْدُو فيه الفِراسَةُ[7] وإنْ كانَتِ النُّجومُ[8] بادِيَةً . والرُّتْبَةُ الثانيةُ تُشْبِهُ وَقْتَ الطُّلوعِ ، تَذْهَبُ فيه النُّجومُ فلا تَرى لَهم مِنْ باقيةٍ ، فَيَفْنى كُلُّ مُحْدَثٍ ويَبْقى مَنْ لَمْ يَزَلْ .

وسأُشيرُ عليكَ بإشاراتٍ وتَلْويحاتٍ مِنْ سِرِّ[9] قَوْله تعالى : ﴿انْظُرْ إلى الجَبَلِ فإنِ اسْتَقَرَّ مَكانَهُ فَسَوْفَ تَرانِي﴾[10] فهذا خِطابٌ انْطَوى على سِرَّيْنِ : أَحَدُهما شَغَلَهُ بالنَّظَرِ إلى الجَبَلِ ثُمَّ تَجَلّى للجَبَلِ فَجَعَلَهُ دَكّاً[11] ، ولو لَمْ يَشْغَلْهُ بالنَّظَرِ إلى الجبلِ لَماتَ موسى عليه السَّلام حينَ تَجَلَّى رَبُّهُ للجَبَلِ . [فإنَّ الرُّؤْيَةَ جَمْرَةٌ تَمْحَقُ صُمَّ الجِبالِ[12] . فكَيْفَ تَثْبُتُ لها[13] أشْخاصُ الرِّجال][14] ، لَكِنَّهُ شَغَلَهُ[15] بالنَّظَرِ إلى الجَبَلِ ، فلَمَّا أصابَ الجَبَلَ ما أصابَهُ خَرَّ موسى صَعِقاً . وكانَ آخِرَ عَهْدِهِ بالنِّساءِ[16] .

---

1 قوله «تتجلى فيه لوائح الغيب لبصيرة النائم» لم يرد في م .

2 الزيادة من م ، ق ، ب ، ط .

3 الزيادة من ق ، ط ، ب .

4 في الأصل : وكذلك . ــ وما أثبتناه من النسخ الأخرى .

5 ب : فيه .

6 ب : فهذا هذا . ــ وفي ق : فهذه (من غير تكرار) .

7 ق ، ب : الفراسات .

8 ب : النجوى . ــ وهو تحريف .

9 في الأصل : بسر . ــ وما أثبتناه من النسخ الأخرى .

10 سورة الأعراف . الآية : 143 . وقوله تعالى : ﴿فسوف تراني﴾ لم يرد في الأصل وزيادته من م ، ق ، ب ، ط .

11 إشارة إلى قوله تعالى : ﴿فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخرَّ موسى صعقاً﴾ .

12 رواية ب . ــ وفي الأصل : الجبل .

13 ب : له . ــ تحريف .

14 الزيادة من م ، ب ، ط .

15 في الأصل : أشغله . ــ وما أثبتناه من النسخ الأخرى .

16 رواية م ، ب . ــ وفي ع ، ق ، ط : بالدنيا . ــ وقد كتب في هامش ط «بالنساء» وفوقها خ إشارة إلى وجود هذه الرواية في نسخة أخرى .

والسِّرُّ الثاني[1] مِنْ قوْله ﴿انظُرْ إلى الجَبَلِ﴾ يَعْني : انظُرْ يا موسى إلى الجَبَلِ فهو أَشَدُّ منك جَسَداً ، وأعظمُ خَلْقاً ، وأَهْيَبُ مَنْظَراً ، فإنْ[2] ثَبَتَ لرُؤْيتي تَثْبُتْ[3] أَنْتَ لِرؤيتي ، ولا يَحْمِلُني وَيَصْبِرُ لِمُشاهَدَتي إلاَّ قُلوبُ[4] العارفينَ التي نَوَّرْتُها بِمَعْرِفَتي ، وأَيَّدْتُها [بأنوارِ][5] كَرامتي ، وقَدَّسْتُها بِنَظَري ، [ونَوَّرْتُها بنوري][6] . فإنْ حَمَلَني شَيْءٌ وَصَبَرَ لِمُشاهدتي فتلك القلوبُ دونَ غيرِها ، ثم إذا حَمَلَتْني تلك القلوبُ دون غيرِها وصَبَرَتْ لِمُشاهَدَتي فأنا حامِلي لا غَيْري إذ بي حَمَلَتِ القلوبُ وَصَبَرَتْ لِمُشاهَدَتي فلا مُشاهِدَ[7] للحَقِّ سِوايَ[8] .

وقدِ انْدَرَجَتْ تحتَ هذه الألفاظِ أَسْرارٌ يَعْقِلُها العارفونَ ، ويَعْجِز عَنْ مَعْرِفَةِ تأْويلِها الجاهِلُونَ فكمْ مِنْ جاهِلٍ نسبَ القُبْحَ للصَّوابِ[9] حينَ لَمْ يَتأَتَّ مِنْ عَقْلِه فَهْمُ الخِطابِ .

واعْلَمْ أَيُّها الأخُ الكريم أنَّ مُنازلَةَ[10] الربوبيةِ خارِجَةٌ عنْ رُسومِ البَشَرِيةِ ، ولا يَتَجَرَّدُ[11] أَحَدٌ عنْ رُسومِ البَشَرِيةِ [بتَكَلُّفٍ][12] أَصْلاً لَكِنْ سَبَقَ ما سَبَقَ مِنَ الخُصوصيةِ والعِنايةِ . قال الله تعالى : ﴿يَخْتَصُّ برحْمَتِهِ مَنْ يَشاءُ﴾[13] ، وقال تعالى : ﴿ذلك فضْلُ الله يؤتيه مَنْ يَشاءُ﴾[14] ، [وقال عز وجل : ﴿ولولا فَضْلُ الله عليكم ورَحْمَتُهُ ما زكى منكم مِنْ أَحَدٍ أبداً ولكنَّ الله يُزَكِّي مَنْ يَشاءُ﴾][15] . فَمَنْ لم تَسْبِقْ له في البدايةِ[16] عِنايَةٌ لَمْ تكُنْ لَهُ في الخَيْرِ

---

1 ق : والثاني .

2 في الأصل : فإذا . ـ وما أثبتناه من النسخ الأخرى .

3 ب : ثبتت . ـ ولم ترد اللفظة في ق .

4 لم ترد كلمة «قلوب» في ب .

5 في الأصل : وأيدتها بكلامي . ـ وما أثبتناه من ق ، ب . ـ وفي م : وأيدتها بنور كرامتي . ـ ط : وأيدتها بكرامتي .

6 الزيادة من م ، ق ، ب ، ط .

7 ق ، ب : فلا مشاهدة .

8 م ، ب : للحق سبحانه سواه . ـ وبعد هذا يتحد السياق بين (ب) والنسخ الأخرى انظر ما أشرنا إليه في ص : 124هـ 5 . وص 151هـ 1 .

9 ب : نصب نسب القول للصواب . ـ وهو تحريف . ـ وفي ق : فكم جاهل . جاهل قصد القبح للصواب . ـ وهو تحريف أيضاً .

10 رواية ق ، ب . ـ وفي ع ، م ، ط : منازلات .

11 في الأصل : ويتجرد . ـ تحريف صوابه من ب ، ط .

12 الزيادة من ب ، ط . ـ وقوله : «أن منازلة الربوبية خارجة عن رسوم البشرية بتكلف» لم يرد في م ، ق .

13 سورة آل عمران . الآية : 74 .

14 سورة النساء . الآية : 54 .

15 سورة النور . الآية : 21 . ـ والزيادة من م ، ق ، ب ، ط .

16 في الأصل : فمن سبقت له في البداية . ـ وهو تحريف صوابه من النسخ الأخرى .

نهايةٌ . وكُلُّ مَنْ اختَصَّهُ اللهُ عز وجل في الأزَلِ لأسْرارِهِ ، ووَفّقَهُ لمُكاشَفَتِهِ ، وانتَخَبَهُ لِمُشاهَدَتِهِ ، واسْتَعْمَلَهُ لِموافَقَتِهِ ، ورآهُ قَبْلَ وَجودِهِ للخَيْرِ أهْلاً ، وجَعَلَهُ في الأزَلِ للأسْرارِ[1] مَوْضِعاً ، جَرَتْ عَوائِدُهُ بَعْدَ وُجودِهِ على حَسَبِ ما اسْتَعْمَلَهُ اللهُ عز وجل به ، فَيُعَلِّمُهُ[2] بعدما جَهِلَ ، ويُنَبِّهُهُ بعدما غَفِلَ ، ويُطَهِّرُهُ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فَعَلَ ، ويُؤَدّي عَنْهُ كُلَّ ما يُتابَعُ به[3] ، ويَصْرِفُ هِمَّتَهُ كُلَّها إليه ، ويَقْطَعُ عنه كُلَّ عَرَضٍ يَسْتَرِقُّهُ ، ويُزيلُ عن قَلْبِهِ كُلَّ حِجابٍ يَحْجُبُه . فإنَّ مَنْ سَبَقَتْ له العِنايَةُ لا تَضُرُّهُ الجِنايَةُ . فَلا تَطْمَحْ[4] بأُمْنِيَتِكَ إلى الأسْرارِ وقَلْبُكَ مُلَطَّخٌ بالأغْيار ، فإيّاكَ أنْ تَرْقَى بأُمْنِيَتِكَ إلى الأسْرارِ[5] رُقِيّاً ، وتَهْوِي بأُمْنِيَتِكَ إلى القَبائِحِ هُوِيّاً ، فإنَّ أسْرارَ الجَبّارِ لا تَتَجَلّى لِقلوبِ الأشْرارِ ، فإنَّ اللهَ عز وجل لا يَسْتَوْدِعُ أسْرارهُ قَلْباً رآهُ مِنَ الدنيا قد عَلِقَ ، ولا صَدْراً رآهُ مِنْ حُبِّ غيره [قد] وَسَقَ[6] ، فإنَّ اللهَ عز وجل يغيرُ بأسراره[7] أنْ يَضَعَها في قلبِ مَنْ لَمْ يَرْضَ بأحْكامِهِ . ومِنْ غَيْرَتِهِ سبحانه [أنَّهُ][8] لَمْ يُكَلِّمْ موسى عليه السلام إلاَّ جَوْفَ اللَيْلِ بعد إزالَتِهِ عن بَشَرِيَتِهِ ، فغابَ موسى عن رَسْمِهِ فَأفْناهُ حتى رآه[9] ثمَّ رَدَّهُ إلى صِفَتِهِ ، ورُسومِ ذاتِهِ . فالحَمْدُ للهِ مُكْرِمِ الأصْفِياءِ ، ومُفيدِ[10] الأوْلِياء ، ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلاَّ باللهِ العلي العظيم .

فصل في الصدق

ومِنْ شُروطِ الصدق التَّعْظيمُ والتَّصْديقُ والحلاوَةُ والخِدْمَةُ [والحُرْمَةُ][11] . فَمَنْ لَمْ يَكُنْ

---

1 في الأصل : في الأسرار . ــ وما أثبتناه من النسخ الأخرى .

2 ب : فيَعمله . ــ تحريف .

3 ع ، ط : كل تُباعةٍ . ــ وما أثبتناه من م ، ب . ــ وفي ق : يؤدي عنه تباعة . ــ تحريف صوابه من ب .

4 ق : فلا تطمع .

5 قوله «فلا تطمح . . . بالأغيار» لم يرد في ب .

6 الزيادة من م ، ق . ــ وفي ب : قد امتلأ . ــ و وسق الشيءَ : حمله أو ضمه إليه . ومنه قولهم : وسقت النخلةُ إذا حملت . وقال تعالى : ﴿فلا أقسم بالشفق والليلِ وما وَسَقَ والقَمَرِ إذا اتَّسَقَ﴾ . قال الفرّاء : وما وَسق أي وما جمع وضم . ــ اللسان : وسق .

7 كذا وردت العبارة في الأصول ، والمعروف في المعاجم وكتب اللغة : غار عليه يغار .

8 الزيادة من م ، ق ، ب ، ط .

9 ط : حتى أراه . ــ وفي هذا إشارة للآية الكريمة : ﴿ولمّا جاء موسى لِميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرني انظر إليك . قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني . فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخرّ موسى صعقاً﴾ .

10 ب : ومعيد . ــ وهو تحريف .

11 ب : الحلاوة والحرمة . ــ والزيادة من ق ، ط .

له تَصْديقٌ فهو مُنافِقٌ ، ومَنْ لمْ يكنْ له تَعظيمٌ فهو مُبْتَدِعٌ ، ومَنْ لمْ يكُنْ له حَلاوَةٌ فهو مُراءٍ ، ومَنْ لمْ يَكُنْ له خِدْمَةٌ[1] فهو فاسِقٌ .

ومِنْ شُروطِ الصِّدقِ أيضاً تَرْكُ الشكوى في وَقْتِ المِحْنَةِ ، وتَرْكُ المَعْصيةِ في وَقْتِ النِّعْمَةِ ، وتَرْكُ الغَفْلَةِ في وَقْتِ الفِكْرةِ . ــ ومِنْ شُروطِ الصِّدْقِ أيضاً تَجْديدُ السِّرِّ[2] لِورودِ الإلْهامِ والإشاراتِ التي لا عِلَّةَ فيها وإشهادُ الحَقِّ على جميعِ الأحْوالِ ، والوقوفُ مع اللهِ سبحانه ، والتبرُّؤُ مِمَّنْ سواهُ مِن سُكونٍ إليه ، واعْتمادٍ عليه ، وخَوْفٍ مِنْهُ ، ورَجاءٍ فيه[3] ، ورؤيةُ إجابَةِ الدُّعاءِ مَكْراً واستدْراجاً ، ورؤيةُ تأخيرِ الإجابَةِ طَرْداً وبُعْداً وحِجاباً[4] .

ومِنْ شُروطِ الصِّدْقِ أيضاً تَرْكُ الاسْتِعْذارِ[5] عند[6] وُجوبِ الحقِّ ، والإنْصافُ مِنْ النَّفْسِ والأهْلِ والوَلَدِ مَعَ إزالَةِ جَحْدِ حُجَّةِ[7] الحَقِّ والرُّكونِ إلى الباطِلِ .

ومِنْ شُروطِ الصِّدْقِ أيضاً القَوْلُ بالصِّدْقِ ، والعَمَلُ بالصِّدْقِ ولو كانَ في ذلك تَلَفُ النَّفْسِ والأهْلِ والوَلَدِ لأنَّ الصِّدْقَ شُعْبَةٌ مِنَ الحَقِّ ، والحَقُّ مُرٌّ لا تُسْتَطاعُ[8] صُحْبَتُهُ إلاَّ بَعْدَ حَمْلِ مَؤُونَةِ الصَّبْرِ ، والصَّبْرُ تَصْطَكُّ رُكَبُ أشباهِ الرِّجالِ مَنْ ثِقَلِ حَمْلِهِ .

ومِنْ شُروطِ الصِّدْقِ أيضاً الغَيْبَةُ عن كُلِّ حَظٍّ هو للنَّفْسِ[9] عاجِلٌ أو آجِلٌ[10] إلاَّ ما تَمَسُّ الحاجَةُ إليهِ مع وُجودِ الشَّوْقِ لِلِّقاءِ ، وعُزوبِ القَلْبِ عنِ البَقاءِ ، واسْتِغْراقِ الهِمَمِ في بِحارِ الجودِ والمِنَنِ ، وصُحْبَةِ النِّعَمِ بِلِسانِ الشُّكْرِ ، وتَلَقِّي المِحَنِ بالصَّبْرِ والرِّضى ، مع وُجودِ القَصْدِ[11] في الفَقْرِ والغِنى .

ومِنْ شُروطِ الصِّدْقِ أيضاً اسْتِغْناؤُكَ بربِّكَ مع تَرْكِ الرُّجوعِ إلى نَفْسِكَ ، ورَفْضُ الطَّلَبِ لِمَا فَوْقَ الكِفايَةِ ، وإزالَةُ رَغْبَةِ الزِّيادَةِ ، مَعَ وُجودِ القَناعَةِ ، ورُؤْيَةُ الفَقْرِ صِيانَةً للدِّينِ ونِعْمَةً

---

1 ب : ومَنْ لم تكن له حُرْمَةٌ فهو فاسق .

2 ب : لتجريد السر .

3 ق ، ط : أو خوفٍ منه أو رجاء فيه .

4 ق ، ط : أو بعداً أو حجاباً .

5 م : الاستقرار . ــ تحريف .

6 ع ، م ، ق : عن . ــ وما أثبتناه من ب ، ط .

7 لم ترد لفظة «حجة» في ب .

8 ع ، ق ، ط : لا يستطيع . ــ وما أثبتناه من م ، ب .

9 ب : للنفوس .

10 ب : عاجل و آجل . ــ وفي ق : عاجلاً وآجلاً .

11 ب : ووجود القصد .

مِنَ اللهِ عز وجل يُخافُ على زَوالِها كَما يَخافُ الغَنِيُّ على زَوالِ غَنائِهِ . فإذا [كانَ][1] الفقيرُ بِهَذِهِ الصِّفَةِ دَخَلَ الجَنَّةَ قَبْلَ الأغْنِياءِ بِخَمْسِ مائَةِ عامٍ ، ويُكْفَى في القِيامَةِ مَؤُونَةَ المَوْقِفِ[2] .

ومِنْ شُروطِ الصِّدْقِ أيضاً طَهارَةُ السِّرِّ لِعَظَمَةِ اللهِ عز وجل وجَلالِهِ ، ووَلَهُ القَلْبِ في عَظَمَتِهِ وكَمالِهِ ، ووَلَهُ اللِّسانِ بِشُكْرِ نَعْمائِهِ ، ووَلَهُ العَيْنِ في إتْقانِ الصَّنْعَةِ في أرضِهِ وسَمائِهِ .

ومِنْ شُروطِ الصِّدْقِ أيضاً عِلْمُ قَلْبِكَ بأنَّ اللهَ عز وجل ناظِرٌ إليكَ في قِيامِكَ وقُعودِكَ ، وحَرَكاتِكَ وسَكَناتِكَ[3] ، ومَجيئِكَ وذهابِكَ ، ومَعَ وُجودِ الحَياءِ والهَيْبَةِ والتَّعْظيمِ للهِ سُبحانَهُ .

ومِنْ شُروطِ الصِّدْقِ أيضاً مُراعاةُ الوَقْتِ ، ومُوادَعَةُ السَّاعَاتِ بلا شُرورٍ فيها ولا خيانَةٍ .

ومِنْ شُروطِ الصِّدْقِ أيضاً عُزوبُ القَلْبِ[4] عن المَحارِمِ والشُبُهاتِ ، ومَنْعُ النَّفسِ مِنْ أخذِ ما تُريدُ أَخْذَهُ مِنَ الدنيا مِنْ مَطْعَمٍ ومَلْبسٍ ومَرْكَبٍ ومسْكَنٍ ومَنْكَحٍ[5] إلاَّ ما كانَ حَلالاً حقيقةً يَقْبَلُهُ العِلْمُ ، ولا يَرُدُّهُ الوَرَعُ ولا يُنْكِرُهُ القَلْبُ إذا عُرِضَ عليهِ بِحجةٍ ولا سببٍ[6] .

ومِنْ شُروطِ الصِّدْقِ أيضاً إجالَةُ الفِكْرِ في السَّوابِقِ ، والتَّحَفُّظُ مِنَ الطَّوارِقِ ، والوَجَلُ[7] مِنَ العَواقِبِ ، والاسْتِعْدادُ للنوائِبِ ، والتَبَرُّؤُ مِنَ الحَوْلِ والقوَّةِ ، والوُقوفُ مع لا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلاَّ باللهِ العلي العظيمِ .

فصل في معْرِفَةِ الخُصوص

اعْلَمْ رحمك اللهُ أنَّ خُصوصَ أبْناءِ الآخِرَةِ بعدَ النبيئينَ عليهم الصلاة والسلام[8] الصِّدِّيقونَ والرّوحانيونَ والأبْدالُ والأوْلياءُ[9] . فهذِهِ أسماءُ مَشايخِ العارفينَ . فالصِّديقُ هوَ الذي يَأْخُذُ حظَّهُ مِنْ كُلِّ مَقامٍ سَنِيٍّ حتى يَقْرُبَ مِنْ دَرَجَةِ[10] الأنْبياءِ عليهم السلام مَعَ وُجودِ الصِّدْقِ في جميعِ الأوْقاتِ لا يُعارِضُهُ في صِدْقِهِ عارِضٌ بِحالٍ . وقال الجُنَيْدُ[11] رحمه اللهُ : «الصِّدِّيقُ :

---

1 الزيادة من ق ، م ، ب ، ط .

2 الموقف : أي موقف يوم القيامة .

3 ب : حركاتك وسكونك .

4 ب : عزوب الخَلْقِ .

5 ب : من مطعم أو ملبس أو مركب أو مسكن أو منكح .

6 ب : ولا ينكره الغضب إذا أعرض عليه . ــ وهو تحريف .

7 الوجل : الفزع .

8 ق ، ب : عليهم السلام .

9 ع ، ق ، ط : والصديقين والروحانيين والأبدالِ والأولياء ــ وما أثبتناه من م ، ب .

10 ب : درجات .

11 الجنيد بن محمد بن الجنيد ، أبو القاسم : صوفي من العلماء بالدين . عده كثير من العلماء شيخ مذهب التصوف لضبط مذهبه بالكتاب والسُّنة . توفي سنة 298هـ ببغداد . ــ الأعلام 141/2 .

القائِمُ مع الحَقِّ بلا واسِطَة ، والمُراقِبُ لَمِوْلاهُ على قَدْرِ احْتمالِ عَقْلِهِ وطاقَتِهِ ، لا يَذْخِرُ[1] عن[2] الله عز وجل فضلاً مِنْ ذلك» .

والرّوحانيُّ هو الذي لا يُطالِعُ الأسْبابَ فيَرى الأشْياءَ كُلَّها مِنَ الله تعالى بلا واسِطَةٍ[3] .

والأَبْدالُ[4] هُمُ الذينَ يَبْذُلونَ أَنْفُسَهم وأموالَهم ابْتِغاءَ مَرْضاةِ الله ولا يَجِدونَ في أنفسِهم حالةً تَشينُ هِمَمَهم[5] إلاَّ بَدَّلوها بالصَّفاءِ والوَفاءِ ، ويَأْنَفونَ عن مواضِعِ لَوْمِهِ ، ويَتَعَرَّضونَ لنَفَحةِ رَحْمَتِه . فإنْ ذَهَبَ مِنْهم[6] أَحَدٌ بُدِّلَ بغيرِهِ مِمَّنْ يَصْلُحُ أنْ يَقومَ في الاسْتقامَةِ مَقامَهُ .

والأَوْلياءُ هم الذين لَزِمُوا الطّاعَةَ[7] على التَّوالي بلا فَتْرَةٍ ، وتَوَلّى الله عز وجل أمرهم ، ولَمْ يَكِلْهُم إلى أنفسهم وتَدْبيرهم ، وحَجَبَهم عن هواجِسِ النُّفوسِ ورُعوناتِ الطَّبائِعِ[8] .

فصل في مَراتِبِ النّاسِ في المَنْطِقِ

فالعُمْيانُ المُتهاوِنونَ بأمْرِ الله تعالى يُسَرِّحونَ أَلْسِنَتَهم[9] لِتَمْزيقِ أَعْراضِ النّاسِ والسَّيِّءِ

---

1 في الأصل : لا يدخل . ـ تحريف صوابه من النسخ الأخرى .

2 لم ترد لفظة «عن» في ب .

3 ط : فيرى الأشياء من الله كلها تعالى . ـ تحريف .

4 والأبدال «جمع بَدَل ويدل على إحدى المراتب في الترتيب الطبقي للأولياء عن الصوفية ، وهم يشاركون بما لهم من اقتدار له أثره في حفظ نظام الكون» معجم ألفاظ الصوفية (حسن الشرقاوي) : 22 ويقول الشريف الجرجاني : «والبدلاء هم سبعة رجال ، من سافر من موضع ترك جسداً على صورته حيا بحياته ، ظاهراً بأعمال أصله بحيث لا يعر أحد أنه فقد» كتاب التعريفات : 34 .

5 ب : تَعيشُ هممهم . ـ تحريف .

6 في الأصل : منه . ـ تحريف صوابه من النسخ الأخرى .

7 ب : طاعته .

8 الرعونة : الحمق والاسترخاء . ـ وفي الاصطلاح الصوفي هي «الوقوف مع حظوظ النفس ومقتضى طباعها» . ـ اصطلاحات الصوفية للقاشاني : 150 . ـ انظر أيضاً معجم ألفاظ الصوفية : 151 وفي (ب) وحدها ورد الفصل الآتي :
فصل في مراتبِ اختيارِ النّاسِ : قال رسول الله ﷺ : «لا تَزالُ طائِفَةٌ مِن أُمَّتي على الحَقِّ إلى قِيامِ السّاعَةِ» ، مِنْهم العُلَماءُ ، ومنهم الأَوْلياءُ ، ومنهم البُدَلاءُ ، ومنهم الأَخْيارُ ، ومنهم النُّجَباءُ ، ومنهم النُّقَباءُ ، ومنهم الأَوْتادُ ، ومنهم القُطْبُ . والقُطْبُ واحِدٌ في مَكَّة ، والأَوْلياءُ أربعٌ على أَرْكانِ الدنيا ، والنُّجباءُ سَبْعٌ في الشّامِ ، والنُّقَباءُ اثنا عَشَرَ ، والأخْيارُ في السِّياحَةِ أربعٌ وعشرونَ ، والبُدَلاءُ في المُدُنِ والقُرى وهم أربعونَ ، والأَوْلياءُ الصّالِحونَ في المَغْرِبِ . والأَوْلياءُ ثلاثَةُ مائة . ولم نضف هذا الفصل إلى المتن لاعتقادنا أنه زيادة من الناسخ الذي كتب هذه النسخة (ب) .

9 ب : يسرحون أنفسهم . ـ تحريف .

منَ القَوْلِ في مَجالِسِ أهلِ الغَفْلَةِ مَعَ فَقْدِ عَظَمَةِ اللهِ سبحانه مِنَ القَلْبِ[1]، وتَدْنيسِ صَحائِفِ الحَفَظَةِ بِسوادِ حَصائِدِ اللِّسانِ مَعَ زِراعَةِ الأَوْقاتِ بالشَّرِّ الذي تَعْقُبُهُ النَّدامَةُ عندَ حَصادِهِ.

والرُّتْبَةُ الثانِيَةُ في المَنْطق وهي رُتْبَةُ العَوامِّ مِنْ أبناءِ الآخِرَةِ. فرُتْبَةُ العَوامِّ سَجْنُ اللِّسانِ عنِ الحَصائِدِ المُهْلِكَةِ، وبَسْطُهُ بالكَلامِ بالعِلْمِ السَّالِمِ اعْتِقادُهُ مِنْ عاهاتِ حُبِّ الجاهِ والشَّرَفِ[2] واسْتِمالَةِ وُجوهِ النَّاسِ نَحوَ المُتَكَلِّمِ، وخُمولُ الذِّكْرِ، وصِيانَةُ اللِّسانِ عن جِنايَتِهِ.

والرُّتبة الثالثةُ في المَنْطِقِ هي رُتْبَةُ الخُصوصِ. فَرُتْبَتُهم سَجْنُ لِسانِ القَلْبِ عن التدبيرِ والإرادةِ مَعَ وُجودِ اليَقينِ بأنَّ اللهَ عز وجل دَبَّرَ الأَشْياءَ وفَرَغَ مِنْ تَدْبيرِها[3] وأرادَ خَلْقَهُ بما أرادَهم، فَنَفَذَتْ فيهم إرادَتُهُ على حَسَبِ ما أرادَ، فعَلِموا أنَّ تدبيرينَ وإرادَتينِ لا يَكُونَانِ[4] في مُلْكٍ واحِدٍ.

فصل في مراتب الناس في النظر

فرُتْبَةُ العُمْيانِ تَسْريحُ النَّظَرِ إلى الأشْخاصِ المُزَيَّنَةِ[5] على[6] وَجْهِ تأمُّلِ المَحاسِنِ اسْتِجْلاباً لِلَّذَّةِ بالنَّظَرِ[7] مع نِسيانِ سُخْطِ اللهِ سُبْحانَهُ وغَيْرَتِهِ على مَحارِمِهِ مع إزالةِ خَشْيَةِ اللهِ سبحانه[8] وهَيْبَتِهِ منَ القُلوبِ عند هَتْكِ السُّتورِ واقْتِحام رُكوبِ الجرائمِ.

والرُّتبةُ الثَّانيةُ في النَّظَرِ وهي رُتْبَةُ العوامِّ مِنْ أبناءِ الآخِرةِ، فَنَظَرُهم التَّأمُّلُ في مَلَكوتِ السماواتِ والأرضِ وما خَلَقَ اللهُ مِنْ شيْءٍ. فالتَّأمُّلُ بالمُلاحَظَةِ والبصيرةِ[9] والاعْتِبارِ. فالاعتبارُ يُورِثُ مُطالَعةَ المَعارِفِ، والبصائرُ تُورِثُ الضياءَ في الضَّمائِرِ، ومُلاحَظَةُ عَظَمَةِ الكَريمِ[10] تُورِّثُ البِرَّ والنَّعيمَ، والفِكْرَةُ تَتَوَلَّدُ منها الفوائِدُ على قَدْرِ يَقينِ المُتفكِّرينَ، فإنْ

---

1 ع، ق: من القول. ـ وما أثبتناه من م، ط. ـ وقوله «من القلب» لم يرد في م، ب.

2 في الأصل: والشرب. ـ تحريف صوابه من النسخ الأخرى.

3 ب: وفرغ منها. ـ وفي ق: وفرغ عن تدبيرها. ـ تحريف.

4 ب: لا يكونوا. ـ تحريف.

5 ب: الأشخاص المؤنثة. ـ تحريف.

6 في الأصل: وعلى. ـ تحريف صوابه من النسخ الأخرى.

7 ب: استجلاباً للذة النظر.

8 ق، ب، ط: تعالى.

9 قوله: «فنظرهم التأمل... والبصيرة» لم يرد في ق.

10 ب: وملاحظة الله عظمة الكريم. ـ تحريف.

صَحَّتِ الفِكْرَةُ كانَ حَشْوَها اليَقينُ لأنَّ[1] التَّفكُّرَ على الحَقيقَةِ قارِعٌ[2] لِبابِ المَلَكوتِ .

والرُّتْبَةُ الثالِثةُ في النَّظَرِ وهي رُتْبَةُ الخُصوصِ . فَنَظَرُ الخُصوصِ الاسْتِغراقُ في النَّظَرِ إلى المَلِكِ ، والغَيبةُ عن نَظَرِ المَلَكوتِ ، فورِثُوا بذلك درجةَ[3] الأبرارِ ، وصاروا للهُدى أعْلاماً[4] فرأوا المَلَكوتَ بالمَالِكِ ولَمْ يروا المالِكَ بالمَلَكوتِ فنَوَّرَ اللهُ عز وجل قُلوبَهم بنورِهِ فنظروا إليه به ولم يترك فيهم نَظَرُهم لِمَوْلاهم فَضْلاً يَنْظُرونَ به[5] إلى مَنْ سِواهُ . فكُلُّ عينٍ شاهَدَتِ الأميرَ لا تَرى مِنْ دونه شيئاً[6] . فالشَّمْسُ إذا أشْرَقَتْ بنورِها على الأبصارِ لَمْ تَجِدِ الأبصارُ للكَوكِبِ أثَراً .

فصل في مَراتِبِ النّاسِ في السَّمْعِ

فرُتْبَةُ العُمْيانِ[7] في السّمع سَمْعُ المَواعظِ[8] [والحِكَمِ][9] بالآذانِ دونَ القلوبِ معَ وُجودِ المَلَلِ لِما سَمِعُوا مِنَ المواعِظِ والحِكَمِ ، ووُجودِ اللّذاتِ لِما لَمْ يَسْمَعوا مِنْ ذلك لأنَّهم يَتلَذّذون بِما لَمْ يَسْمَعُوا لذَّةَ اسْتِطْرافٍ بِلا أنْ تَحُلَّ أمْطارُ المَواعِظِ والحِكَمِ في قُلوبِهم[10] ، ولَوْ حَلَّتْ فيها[11] لأنْبَتَتْ خِصْباً وثِماراً لكِنَّ وابِلَ السّماءِ[12] لا يُنْبِتُ على الصفا[13] خِصْباً[14] ، ولا تُورِقُ به الحِجارَةُ .

الرُّتْبَةُ الثانِيةُ في السَّمْعِ وهي رُتْبَةُ العَوّامِ مِنْ أبْناءِ الآخِرَةِ . فَسَمْعُهم[15] المَواعِظَ والحِكَمَ

---

1 قوله «فإن صحت الفكرة كان حشوها اليقين لأن» لم يرد في ب .

2 في الأصل : فارب . ــ وهو تحريف صوابه من النسخ الأخرى .

3 ب : درجات .

4 ع ، ط : علما . ــ وما أثبتناه من م ، ق ، ب .

5 ع : فضلا عن أن ينظرون به إلى من سواه . ــ وما أثبتناه من م ، ق ، ب . ــ وفي ط : فضل عن أن ينظروا به .

6 ب : مَنْ دونَه .

7 ب : العصيان .

8 في الأصل : تسمع المواعظ . ــ تحريف صوابه من النسخ الأخرى .

9 الزيادة من م ، ق ، ب ، ط .

10 ق : لا أن تحل أمطار المواعظ والحكم من قلوبهم .

11 في الأصل : بها . ــ وما أثبتناه من النسخ الأخرى .

12 الوابل : المطر الشديد . قال تعالى : ﴿فإنْ لَمْ يُصِبْها وابِلٌ فَطَلٌّ﴾ .

13 في الأصل : على السماء . ــ وهو تحريف صوابه من النسخ الأخرى . ــ والصفا : جمع صفات وهو الحجر الأملس .

14 ق : حطباً .

15 ق : في سمعهم .

بالقُلوبِ فَوَرِثُوا بذلك الانْخِلاعَ عنِ السُّرورِ ، واليَقَظَةَ [لِلوَعيدِ][1] ، والإشْفاقَ على النفوسِ مِنْ صَدْمَةِ العَذابِ ، والنَّظَرَ إلى اللهِ عز وجل بعَينِ الخوفِ والخَشْيَةِ . والنَّظَرُ إلى المَحارمِ كالنَّظَرِ إلى الطَّعامِ المَسْمُومِ .

الرُّتْبَةُ الثالِثَةُ في السَّمْعِ وهي رُتْبَةُ الخُصُوصِ ، فَقُلوبُهم لا يَزُولُ[2] عنْ سَمْعِها قَوْلُهُ تعالى : ﴿واللهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكم ومَثْواكُم﴾[3] ، فَعَلِموا أنَّ حَرَكَتَهم وسُكُونَهم[4] بِعَيْنِ اللهِ عز وجل[5] ، وتَقَلُّبَهم في قَبْضَةِ اللهِ ، ومَثْواهم في كَنَفِ اللهِ ، لا يُفارِقُ عِلْمُ ذلك فِكْرَهم ، فَأَقْبَلُوا بِكُلِيتِهم[6] على سَيِّدِهم ، فَأَجْسادُهم مَعَ الخَلْقِ وقُلوبُهم مع الحَقِّ[7] ، إنْ نَظَروا فَفيهِ[8] ، وإنْ تَكَلَّمُوا فَعَنْهُ ، وإنْ هَرَبُوا فَمِنْهُ ، وإنْ مَشَوْا فإليهِ ، وإنْ وَقَفُوا[9] فَمَعَهُ ، وإنْ سَكَنُوا فَعِنْدَهُ ، وإنْ قَصَدوا فإليهِ ، وإنْ تَوَكَّلوا فَعليه . افْتَقَروا[10] إلى اللهِ[11] فأغْناهم عمَّنْ سِواهُ ، وهو الغَنِيُّ الحَميدُ .

فصل في مُشاهَدَةِ الحالِ والغَيْبَةِ عنه في حالِ الوُصْلَةِ[12]

فالعَبْدُ لا بُدّ له مِنْ مُشاهَدَةِ حالِهِ وإنْ سَما قَدْرُهُ ، فإنَّ طَبائِعَ البَشَرِيَّةِ تَسْرِقُ العَبْدَ لا مَحالَةَ لكنَّ العَبْدَ يَغيبُ عن مُشاهَدَةِ حالِهِ إذا اسْتَغْرَقَ في بَحْرِ[13] الجَلالِ والعَظَمَةِ فَيَظْهَرُ عليه [أثَرُ][14] ذلك . فإنْ رَدَّهُ اللهُ عز وجل إلى بَشَرِيَّتِهِ[15] ظَهَرَ عليه أيضاً أثَرُ ذلك بقَوْلٍ أو فِعْلٍ . ألا تَرى إلى قَوْلِ هُودٍ عليه السلام : ﴿فَكِيدُونِي جميعاً ثُمَّ لا تُنْظِرون﴾[16] .

---

1 الزيادة من م ، ق ، ب ، ط .
2 ع ، ق ، ط : لا يزال . ــ وما أثبتناه من م ، ب .
3 سورة محمد . الآية : 19 .
4 ق : حركاتهم وسكناتهم . ــ ب : حركاتهم وسكونهم .
5 م ، ط : تعالى .
6 ب : بكلهم .
7 م ، ب : مع الخالق .
8 ب : وإن نظروا فيه . ــ تحريف .
9 ب : وإن تكلموا فعنه ، وإن مَشوا فأهبه (كذا) وإن وقفوا . ــ تحريف .
10 ب : افترقوا . ــ تحريف .
11 في الأصل : افتقروا إليه . ــ وما أثبتناه من النسخ الأخرى .
12 الوُصلة : الاتصال ، وكل شيء اتصل بشيء فما بينهما وُصْلَةٌ . ــ اللسان : وَصَلَ .
13 م ، ب : في بحور .
14 الزيادة من م ، ق ، ب ، ط .
15 ق ، ب ، ط : البشرية .
16 سورة هود . الآية : 55 .

﴿يا أسفَى على يُوسُفَ﴾[1] فأوْحى اللهُ إليه : أخذْنا منكَ وَلَداً[2] وأبقَينا لكَ أوْلاداً[3] ، أتتَأسَّفُ عليه كُلَّ هذا التَّأسُفِ ولا تتأسّفُ على ما يَفوتُكَ مِنّا بِتَأسُّفِكَ عليه[4] .

وقال أبو سعيد الخراز[5] : التَّأَسُّفُ على الفائتِ تَضْييعُ وَقْتٍ ثانٍ . فالعياذُ باللهِ مِنَ الاشْتِغَالِ بغير اللهِ والسُّقوطِ مِنْ عَيْنِ اللهِ ، و لاحول ولا قوَّةَ إلا باللهِ العلي العظيم .

فصل في صَرْفِ الهِمَمِ إلى اللهِ سبحانَهُ

فالهِمّةُ روحُ القَلْبِ ولُبابُهُ إنْ تَعَلَّقتْ باللهِ عَزَّ وَجَلَّ وانْصرَفَتْ[6] عَمَّنْ دونَهُ ، فإنَّ لكلِّ هِمَّةٍ [طَلَباً][7] . فمَطْلوبُ هِمَمِ الغافِلينَ الدنيا ، إنْ أقْبَلتْ فَرِحوا ، وإنْ أدْبرَتْ وقَعَدَتْ شَكَوْا[8] وحَزِنوا . ومَنْ شكا فِراقَ شيْءٍ أحَبَّ وِصالَهُ .

ومَطْلوبُ هِمَمِ العارفينَ الحَقُّ سبحانه ، والسُّكونُ إليه ، والاعْتِمادُ عليه ، والتَّلَذُذُ بذِكره ، والافتِخارُ بِمَعْرِفتِه ، كما قيلَ : إنَّ اللهَ عز وجل أوْحى إلى داودَ عليه السلام : يا داوُدُ بي فافْرَحْ ، وبذِكْري[9] فتَلَذَّذْ ، وبِمَعْرِفتي فافْتخِرْ ، فعمّا قليلٍ أفرِغُ الدّارَ مِنَ الفاسِقينَ ، وأُنْزِلُ لَعْنَتي على الظّالِمينَ ، فلا تَصرِفْ هِمَّتَكَ عنِ المُنْعِمِ إلى النَّعيمِ فَتَرْضى لِنَفْسِكَ بالدُّونِ ، لكِنْ بقَدْرِ نورِ شَمْسِ عَقْلِكَ ، وقُوَّةِ إيمانِكَ تكونَ رَغْبَتُكَ[10] إلى ربِّكَ ، وبِقَدْرِ ظُلْمَةِ جَهْلِكَ ، ورعونةِ طَبْعِكَ ، تَسْفُلُ لِما سَمَا عنهُ غيْرُكَ[11] . فَذو العقلِ الضعيف[12] كالغُرابِ يَتَلَذَّذُ بالجيفَةِ ، فارفضْ مَنْ سِواهُ[13] والزَمْ

---

1 سورة يوسف . الآية : 84 .

2 لم ترد هذه اللفظة في ط .

3 في الأصل : وأبقيناك أولادا ـ تحريف صوابه من النسخ الأخرى .

4 قوله : «كل هذا التأسف . . . بتأسفك عليه» لم يرد في ق .

5 أبو سعيد الخراز يقال له لسان التصوف ، من أهل بغداد ، صحب ذا النون المصري وبشر بن الحارث . توفي سنة 279هـ .

6 ع ، ق ، ط : انصرفت (بدون واو العطف) ـ وما أثبتناه من م ، ب .

7 الزيادة من م ، ق ، ب ، ط .

8 م ، ب : إن أقبلت فرحوا وإن فقدت شكوا .

9 ب : يا داود فافرح بذكري .

10 في الأصل : تكون همتك ـ وما أثبتناه من النسخ الأخرى .

11 ق ، ط : تسفل لما عنه سما غيرك ـ م : تسفل عما سما عنه عمرك ـ تحريف ـ وفي ب : تسفل لماماً عند غيرك ـ تحريف أيضاً .

12 ع ، ط : العقل الطفيف ـ م ، ق : اللطيف ـ وما أثبتناه من ب .

13 في الأصل : فإن رفض ـ تحريف صوابه من النسخ الأخرى ـ وفي ب : ما سواه ـ وما أثبتناه من م ، ق ، ط .

قَرْعَ بابِهِ ، واسْتَدِلَّ بنورِ كتابِهِ . فالكِتابُ عزيز ، وعِلْمُ الكتابِ أعزُّ منه ، وعِلْمُ الكِتابِ[1] عزيز والعَمَلُ به أعزُّ ، والعَمَلُ عزيز والذَّوْقُ أعزّ ، والذَوْقُ عزيز والمُشاهدةُ في الذوْقِ أعَزّ ، والمُشاهَدَةُ عزيزةٌ والمُوافَقَةُ في المُشاهدة أعزّ ، والمُوافقةُ عزيزةٌ والأنْسُ في الموافَقةِ أعزُّ ، والأُنْسُ عزيز وآدابُ مَحَلِّ[2] الأُنْسِ أعزُّ ، لكنْ لا يَستنشِقُ رائحةَ هذه المقاماتِ مَنْ غَلَبَ جَهْلُهُ على عِلْمِهِ ، وهواهُ على عَقْلِهِ ، وسَفَهُه على حِلْمِهِ ، وكلُّ مَنْ يُتْعِبُ نَفْسَهَ فيما لا يَتَزَوَّدُ به[3] فهو سَفيه ، فإنَّ السَّفَهَ صَنْعَةُ كل مُتَبَطِّلٍ مَفْتونٍ .

فصل في السَّفَه وبيانِ أهلِه

فَأصْلُ السَّفَهِ الاشْتِغالُ بِما لا فائِدَةَ فيه ، وتضييعُ أسْبابِ المَنافِع . مِثالُ ذلك رَجُلٌ أعِيرَتْ له أرْضٌ[4] يَزْرَعُها لِيَقومَ منها مَعاشُهُ وسَدُّ فاقَتِهِ ، فَجَعَلَ الرَّجُلُ يُسَوِّفُ ويَتَبَطَّلُ حتى ذَهَبَ وَقْتُ الحَرْثِ . فحانَتْ بعد ذلك مَجاعَةٌ أشْمَتَتْ بكل مُسَوِّفٍ مُتَبَطِّلٍ في أوانِ الزِراعَةِ . وهذا مَثَلٌ يُضْرَبُ لِمَنْ أعِيرَتْ له أيامُ الحَياةِ لعِبادة رَبِّهِ ، ومُحارَبَةِ عَدُوِّهِ ، ومُجاهَدةِ نفسه ، والاسْتِغفارِ مِنْ ذَنبه ، والتَّزَوُّدِ لِيَوْمِ فقرِه ، فَجَعَلَ يَصْحَبُ أيَّامَهُ [بالبِطَالَةِ][5] ، وشَرِبَ مِنْ غُسَيْلَةِ غشية[6] الدنيا شَرْبَةً ذَهَبَ مِنْ أجْلِها فَهْمُهُ ، وسَقَطَ مِنها عقلُهُ ، فَجَعَلَ الدنيا نُصْبَ عَيْنَيْهِ ، ونَبَذَ الآخِرَةَ خلْفَ ظَهْرِهِ . فهذا أصْلُ السَّفَهِ وفَرْعُهُ .

واعْلَمْ أنَّ الرِّجالَ رَجُلان : سَفيهٌ ورشيدٌ . فالسَّفيهُ مَنْ تَعَرَّضَ بالتَّلَفِ لدينِهِ ، وأذْهَبَ أيّامَهُ بلا فائِدةٍ تَسُرُّهُ في القِيامَةِ . وآسَفُهُ مِنْ هذا الجِنْسِ وأبْخَسُ حالاً مَنْ يَزْرَعُ الشَّرَّ[7] في حَياتِهِ ويَتَّكِلُ على رحمَةِ الله تعالى بعد وفاتِهِ مَعَ لزومِ نِسيانِ عُقوباتِهِ ، فإنَّ لله[8] عز وجل رَحْمَةً وغَضَباً ، فالسَّفيهُ يَنْظُرُ إلى الرَّحْمَةِ ويَنسى الغَضَبَ والعُقوبَةَ وهو سَبَبُ رُكوبِ المَعْصِيَةِ وفَقْدِ الخَشْيَةِ . والرَّشيدُ يَنْظُرُ إلى الرَّحْمَةِ فيُبادِرُ بالعَمَلِ الصَّالِحِ ويَرْجو قَبولَ العُذْرِ

---

1 ب : والعلم . ـ وما أثبتناه من ق ، ط .

2 لم ترد لفظة «محل» في ط .

3 ب : من يتعب نفسه فلا يتزود منه به فهو سفيه . ـ تحريف .

4 في الأصل : الأرض . ـ وما أثبتناه من النسخ الأخرى .

5 الزيادة من م ، ق ، ب ، ط .

6 م : غسيلة . ـ ق : عشبة . ـ ولم ترد الكلمة في ب . ـ وغشية الدنيا : سكرتها .

7 م : وآسفه من هذا الجنس حالاً من ترك البر في حياته . ـ ب : وأسفه من هذا الجنس حالاً من يزرع الشر . ـ وفي ق : وأسفه من هذا أبخس حال من يزرع الشر . ـ وهو تحريف .

8 ع ، ب : فإن الله . ـ وما أثبتناه من م ، ق ، ط .

بالتوبَةِ مع لُزومِ النَّدَمِ على التَّفْريطِ والزَّلَلِ ، ويَنْظُرُ إلى الغضَبِ[1] فَيَهْرَبُ مِنْ مَواطِنِ المَعْصِيَةِ مَعَ وَجودِ الخَوْفِ والخَشْيَةِ ، ويكونُ نَظَرُهُ إلى الرَّحْمَةِ والغَضَبِ مَوْزوناً كما قال عليه الصلاة والسّلام[2] : «لَوْ وُزِنَ رَجاءُ المؤمِنِ وخَوْفُهُ لاَعْتَدَلا»[3] . مِثالُ ذلك عَبْدٌ دعاهُ المَلِكُ وبيدِ المَلِكِ أَلْفُ دينارٍ يَجودُ بِها ، وبيدِهِ الأخرى سَيْفٌ مَسْلول يَنْتَقِمُ به ، فلا يَدْري العَبْدُ المَدْعُوُّ أيفوز بالألْفِ دينارٍ أم بالسَّيْفِ يَنْفُذ مَقاتِلَهُ .

فمِنْ صِفَةِ السَّفيهِ[4] زَوالُ لَبْسَةِ التَّقْوى والوَرَعِ مع رُكوبِ الشَّهواتِ والمَحارِمِ لكِنَّ تَرْكَ الشُّبُهاتِ[5] والمَحارِمِ ليسَ كُلُّ الناسِ تَحْتَمِلُهُ . ـ ومِنْ صِفَةِ السَّفيهِ أيضاً تَعْطيلُ أيَّامِ الحَياةِ بالبِطالَةِ مَعَ نِسيانِ سوءِ المُنْقَلَبِ ، والرُّكونُ إلى الغَفْلَةِ مع مُفارَقَةِ المُجاهَدَةِ . ـ ومِنْ صِفَةِ السَّفيهِ أيضاً تَخَبُّطُ قلبه وجوارِحِهِ في جَمْعِ[6] حُطامِ الدنيا ، والاسْتِكْثارُ مِمَّا جاوَزَ الكَفافَ[7] منها مَعَ نِسيانِ الآخِرَةِ . فالغَفْلَةُ للسَّفيهِ هي رأسُ مالِه وبالبِطالَةِ يَصْحَبُ صَرْفَ[8] زَمانِهِ ، وبالتَّلَفِ يُقابِلُ دينَهُ[9] ، وفي جَمْعِ[10] المحْظورِ تعرقُ جَبْهَتُهُ[11] ونَفَقَةُ دنياهُ مِنْ آخِرته ، وهِمَّتُهُ مُتَعَلِّقَةٌ بعاجِلَته . ﴿قُلْ كُلٌّ يَعمَلُ[12] على شاكِلَتِهِ﴾[13] .

فهذا صِنْفٌ مُفْتَضِحٌ في مَشْهَدِ[14] القيامةِ . فَمَنْ رَفَعَ دنياهُ وَضَعَتْهُ آخِرتُهُ ، ومَنْ عَرَفَ سُمَّ الدنيا ظَهَرَتْ له عاقِبَتُهُ ، فما خَلَقَ اللهُ أيامَ الحَياةِ للتَّسْويفِ ولا لِلْبِطالَةِ[15] ، وإنَّما خلَقها

---

1 م : والرجل ينظر إلى الغضب . ـ تحريف .

2 ق ، ط : كما قال عليه السلام . ـ وفي م ، ب : كما وردَ في الخبر عنه عليه السلام .

3 لم نهتد لتخريج الحديث .

4 في الأصل : فمن صفة السيف . ـ وهو تحريف صوابه من النسخ الأخرى .

5 ط : الشهوات .

6 في الأصل : في جميع . ـ وما أثبتناه من النسخ الأخرى .

7 ب : الكفوف .

8 ب : صروف .

9 ب : دونه . ـ تحريف .

10 في الأصل : في جميع . ـ وما أثبتناه من النسخ الأخرى .

11 م ، ب : جبينه .

12 في الأصل : لعاجله فكل يعمل . ـ وما أثبتناه من ب ، ط . ـ وردت هذه العبارات مضطربة السياق والترتيب في ق .

13 سورة الإسراء . الآية : 84 .

14 ق ، ب ، ط : مشاهد القيامة .

15 م ، ق ، ب ، ط : لتسويف ولا لبطالة .

للتَّزوّدِ [منها][1] ، ويَنْظُرُ [الله][2] عز وجل فيهم إلى أحوالِ خَلْقِهِ وأعْمالِهِم ، وتَقَلُّبهم وتَقْليبهم في حَرَكاتِهِم[3] وسَكَناتِهِم . وإليهِ الإشارةُ بقوله تعالى : ﴿ثُمَّ جَعَلْناكُمْ خَلائِفَ في الأرْضِ مِنْ بعْدِهم لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلونَ﴾[4] .

فما مِنْ لَيْلٍ ولا نهارٍ إلاَّ و العَبْدُ مَسْؤُولٌ فيهما[5] هَلْ فَرَّطَ فيهما أمْ لا ، ولا عُذْرَ لأحَدٍ في التَّفريطِ بعْدَ كمالِ شُروطِ فَهْمِ الخِطابِ . فأيّامُ الحَياةِ مَوْقِفُ المُهْلَةِ[6] والتَّأني والإعْذارِ[7] والإنْذارِ ، ولَيْسَ على اللهِ[8] عز وجل فِيهم عَجَلَةٌ[9] على عَبْدٍ عَصاهُ . والقِيامَةُ مَوْقِفُ عَدْلٍ واقْتضاءِ حَقٍّ وسُؤالٍ عنْ واجبٍ ، والمُجازاةِ على كُلِّ فِعْلٍ ، والنَّدامَةِ على كُلِّ إثْمٍ ، والحَسْرَةِ مِنْ كُلِّ ظُلْمٍ . فكُلُّ سَفيهٍ زرَعَ الشَّرَّ في حَياتِهِ حَصَدَ النَّدامَةَ بعد وفاتِهِ . ولا تَغْتَرَّ بِعِلْمِ اللِّسانِ مَعَ جَهْلِ الجَنانِ[10] ، ولا مَسَرَّةَ بِعَمَلٍ مَمْزوجٍ بالعَيْبِ ، ولا توبَةَ مع فَقْدِ النَّدامَةِ ، ولا فَرَحَ لِعَبْدٍ يَشْهَدُ القيامة ، ولا رِفْعَةَ لِمَنْ لَمْ تَكُنْ التَّقوى [لِباسَه][11] ولا عِزَّةَ لِمَنْ لَعِبَ بِحَياتِهِ . ولا يَنْفَعُ تَزْيينُ الظاهِرِ بالثِّيابِ إذا حَلَّ بِبُنْيانِ التَّقوى والوَرَعِ الخَرابُ[12] وأخْرَبَهُ[13] .

وعلى الجُمْلَةِ مَنْ ذَهَبَ تَقْواهُ سَقَطَ قَدْرُهُ ، فإنَّ مَشْهَدَ القيامة يُحْزِنُ الجاهِلَ ، ويُرْدي الغافِلَ ، ويَفْضَحُ السُّفهاءِ ، ويُشْمِتُ بالظَّالِمِ الأعْداء[14] . فالعِياذُ باللهِ مِنْ نَوْمَةِ العُقولِ عن تَفَقُّدِ الأحْوالِ[15] ، وما تَوفِيقِي إلاَّ باللهِ العلِيِّ العظيمِ .

---

1 الزيادة من ق ، ب ، ط . ـ وفي م : وإنما خلقهم لتزود منهم .
2 الزيادة من م ، ق ، ب ، ط .
3 م ، ب : وتقلبهم في حركاتهم .
4 سورة يونس . الآية : 14 .
5 م ، ب : مسؤول عنهما .
6 ط : المهلكة . ـ تحريف .
7 ق ، ب ، ط : والاعتذار .
8 ب : ليس لله عز وجل فيها . ـ تحريف .
9 ق : حجة . ـ تحريف .
10 ب : مع جهل القلب .
11 الزيادة من م ، ق ، ب ، ط . ـ وفي الأصل بياض .
12 في الأصل : الخراج . ـ وهو تحريف صوابه من النسخ الأخرى .
13 ب : ولا ينفع الظاهر بالثياب وداخل بنيانه التقوى والورع والخراب . ـ تحريف .
14 لم ترد لفظة «الأعداء» في م ، ب .
15 ق ، ط : من تفقد . ـ وفي م : والعياذ بالله من نومة العقول ومن تفقد الأحوال .

فصل في العِلْمِ النّافعِ والفرقِ بين عِلْمِ اللسان وعِلْمِ القَلْبِ

فعِلْمُ اللِّسانِ لا يُورِّثُ الخَشْيَةَ ولو كثُرَ لفظُ اللسانِ بالعِلْمِ ، فإنَّ اللسانَ شِبْهُ الوَزيرِ ، والقلْبَ شِبْهُ الأميرِ ، فَقَوْلُ الأميرِ مُمْتَثَلٌ مقبولٌ ، وقولُ الوَزيرِ مَتْروكٌ مَرْدودٌ لا مَحالَةَ . وقَدْ وَرَدَ في بَعْضِ الأخْبارِ أنَّ العِلْمَ عِلْمان : عِلْمَ اللِّسانِ ، فذلك حُجَّةٌ على بني آدَمَ ، وعِلْمَ الجَنانِ ، وذلك العِلْمُ النافِعُ . فَمَثَلُ مَنْ كانَ عالِمَ[1] اللِّسانِ ، جاهِلَ القَلبِ كَمَثَلِ مَنْ يَستَصْبِحُ سِراجَهُ على ظَهرِ البَيْتِ في لَيْلٍ مُظلِمٍ فاسْتَنارَ السِّراجَ لِمَنْ كانَ في السِّكَكِ[2] مِنَ المارينَ ، وبَقِيَ أهْلُ البَيتِ في الظُّلمةِ مُتَحَيِّرينَ . فجوْفُ البَيْتِ أوْلى بالسِّراجِ مِنْ ظَهْرِهِ[3] ، لكِنْ لا يَعْرِفُ ذلك مَنْ غَشاهُ لَيْلُ[4] جَهْلِهِ . فما تَعَلَّقَتِ المِدْحَةُ بالعُلَماءِ إلاَّ بِوُجودِ الخَوْفِ والخَشيةِ مِنَ اللهِ عز وجل ، كما قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : «لَيْسَ العِلْمُ بِكَثْرةِ الروايَةِ ، إنما العِلْمُ الخشية» . أرادَ ابن مسعود قَوْلَهُ تعالى : ﴿إنّما يَخْشى اللهَ مِنْ عِبادِهِ العُلَماءُ﴾[5] . فالخَشيةُ لا تُوجَدُ إلاَّ مِنْ عالِمٍ بالقَلْبِ لا مِنْ عالِمٍ باللسانِ[6] . فعِلْمُ القلبِ هو المَطْلوبُ المَرْغوب [فيه][7] ، وعِلْمُ اللِّسانِ مرغوبٌ عنه ، مَزْهودٌ فيه عند أهْلِ البَصائِرِ . فعِلْمُ القلبِ أصْلٌ أصيلٌ يَتفرعُ منه[8] الحِذْرُ مِنْ حَصائِدِ اللِّسانِ ، والهُروبُ إلى الصَّمْتِ ، إذا لم يَكنِ الكَلامُ ذِكْراً أو دِلالَةَ خَيْرٍ ، ويَتَفرَّعُ مِنْهُ أيْضاً الحِذْرُ مِنْ سُمُومِ النَّظَرِ ، وحِفْظُ الفَرْجِ مع الهُروبِ إلى غَضِّ البَصَرِ ، وحِصْنُ[9] العِفَّةِ . ويَتَفَرَّعُ منه أيضاً الحِذْرُ مِنْ فُضولِ المَطْعَمِ ، والهُروبُ مِنَ الشُّبُهاتِ والمَحارِمِ ، ولا يأْخُذُ مِنْ أحَدٍ شيئاً إلاَّ ما جَرَّهُ إليه بَيْعٌ[10] أو إجارَةٌ أو ميراثٌ أو هِبَةٌ أو صَدَقَةٌ[11] أو حُكْمٌ شَرْعِيٌّ بعد وَزْنِ ذلك[12] كُلِّه بِميزانِ

---

1 ط : علم . ـ تحريف .
2 ب : في الطريق .
3 ق : من ظهرها .
4 غشاه الليل : أظلم عليه ومنه قوله تعالى : ﴿والليل إذا يغشى﴾ .
5 سورة فاطر . الآية 28 .
6 ب : إلا من علم القلب لا من علم اللسان .
7 الزيادة من م ، ب .
8 ب : يتفرع عنه .
9 ب : وحسن .
10 م : نفع .
11 ق ، ب ، ط : أو صدقة أو هبة . ـ وفي م : أو صدقة أو هيبة . ـ تحريف .
12 م : بعد وزن جميع ذلك .

الوَرَعِ . فإنِ الْتَبَسَ [مِنْ ذلك شيءٌ عُرِضَ على القَلْبِ ، فإنِ الْتَبَسَ][1] عليه وَجَبَ تَرْكُهُ . وإليه الإشارة بقوله عليه السلام : «اسْتَفْتِ قَلْبَكَ وإنْ أفتاكَ المُفْتونَ»[2] . فالورَعُ غِرْبالُ الأشْياءِ والعَقْلُ مِيزانُها[3] . فإنْ فُقِدَ الوَرَعُ أُكِلَتِ السُّمومُ والإبَرُ . وتَظْهَرُ في مَشْهَدِ[4] القيامَةِ العِبَرُ إذا ظَهَرَ[5] على العَبْدِ كلُّ ما اسْتَتَرَ ، وافْتَضَحَ الغافِلونَ[6] على رُؤوسِ البَشَرِ .

ويَتَفَرَّعُ مِنْ عِلْمِ القَلْبِ أيضاً الهُروبُ مِنَ الأمْنِ إلى الخَوْفِ ، ومِنَ الغَفْلَةِ إلى الانْتِباهِ ، ومِنَ الذّنْبِ إلى التَّوْبَةِ ، ومِنَ الجَزَعِ إلى الصَّبْرِ ، ومِنَ التَّسويفِ إلى المُجاهَدَةِ ، ومِنَ الجَهْلِ إلى العِلْمِ ، ومِنَ الغَضَبِ إلى الحِلْمِ ، ومِنَ الطَّمَعِ إلى القناعَةِ ، ومِنَ الحِرْصِ إلى السُّكونِ ، ومِنَ الشُّبهاتِ إلى الوَرَعِ ، ومِنَ الاسْتكثارِ إلى الزُّهْدِ ، ومِنَ الكِبْرِ إلى التَّواضُعِ ، ومِنْ حَظِّ النَّفْسِ إلى حظِّ القَلْبِ ، لكِنْ لَمَّا أُجيحَتِ[7] القُلوبُ كَسَلَتِ[8] الجَوارِحُ عن الطَّاعَةِ . فإنَّ حُبَّ الدُّنْيا وهَوَى النَّفْسِ لَمْ يزالا يتَزايَدان على الفُؤادِ[9] حتى احْتَرَقَتْ مِنْ أجْلِها ثِمارُ[10] التَّقْوى والوَرَعِ مِنَ القَلْبِ فصارَ العبدُ من أجلِ ذلك «كَحاطِبِ ليلٍ مُظْلمٍ»[11] لا دَليلَ له بِبَصَرٍ ولا بَصيرةٍ . فلا رَجْعَةَ عنِ الذَّنْبِ[12] مَعَ فَقْدِ الخَشْيَةِ ، ولا أُنْسَ مع وُجودِ الوَحْشَةِ ، ولا عِلْمَ مَعَ وُجودِ فَقْدِ الوَرَعِ[13] ، ولا اسْتِقامَةَ مع فَقْدِ الطَّوْعِ ، ولا عِبادَةَ مع طولِ الأَمَلِ ولا اجْتِهادَ مَعَ الكَسَلِ ، ولا يُغْني الاجتهادُ شيئاً مع ظُلْمَةِ الخِذلانِ ، ولا يَنْفَعُ وَصْفُ الطريقِ للعُمْيان ، ولا يَتَّعِظُ القلبُ المَحْرومُ ، ولا رِفْعَةَ مع

---

1 الزيادة من ق ، ب ، ط . ـ وفي م : فإن التبس من ذلك شيء على القلب وجب عليهم تركه .

2 في الأصل : وإن أفتوك . ـ تحريف صوابه من النسخ الأخرى . ـ وورد في م بعد الحديث النبوي : أراد بالمفتين علماء الظاهر . ـ والحديث عند أحمد بن حنبل 194/4 .

3 ع ، ط : ميزانه . ـ وفي م : ميزانهم . ـ وما أثبتناه من ق ، ب .

4 في الأصل : ويشهد في مشهد القيامة . ـ تحريف صوابه من النسخ الأخرى .

5 ب : إذا ظهرت .

6 في الأصل : العاملون . ـ وفي ق ، ب ، ط : الفاعلون . ـ وما أثبتناه من م .

7 أجيحت القلوب : أصيبت بجائحة أي بداهية ومصيبة . ـ اللسان : جَوَحَ . ـ وفي ب : احتجبت القلوب .

8 ب : كلت .

9 ع ، ق ، ط : لم يزد إلا نيراناً على الفؤاد . ـ وما أثبتناه من ب . ـ وفي م : لا يزالا يتزايدان على الفؤاد .

10 في الأصل : أثمار . ـ وما أثبتناه من النسخ الأخرى .

11 ب : الليل المظلم . ـ ويقال : فلان «كحاطب ليل» إذا كان لا يميز في أقواله وأفعاله بين الجيد والسيىء ، والنافع والضار .

12 ب : من الذنب .

13 ب : ولا علم بعد فقد الورع .

الفِعْلِ المَذْموم ، ولا يَنْفَعُ الطِبُّ[1] الأمواتَ ، ولا بَصيرَةَ مع حُبِّ الشَّهواتِ ، ولا حَرْبَ لأجَمٍّ[2] ، ولا اسْتِجابَةَ لأصَمَّ . قال الله العظيم[3] : ﴿إنَّما يَسْتجيبُ الذين يَسْمَعونَ والمَوْتى يَبْعَثُهم الله﴾[4] . فَمَنْ لَمْ يَفْتَحِ الله سَمْعَهُ في الأزَلِ لَمْ تَفُكَّ[5] المَوْعظَةُ اليَوْمَ عنْ قَلْبه طابَعَ[6] الحِرْمانِ . فالمَحْرومُ مَنْ حُرِمَ الآخِرَةَ وإنْ مَلَكَ الدنيا [بِحَذافيرِها][7] . فَمِنْ شُروطِ الحِرْمانِ حُبُّ الدنيا مع مُلازَمَةِ التَّفريط والبِطالَةِ وتَضْييعِ الوَقْتِ ، والاشْتِغالِ بالدنيا ، ونِسيانِ الآخِرَةِ . فَلَوْ وَزَنَ العَبْدُ بِعَقْلِهِ اشْتِغالَهُ بالدنيا مع اشْتغاله بالآخِرَةِ لَظَهَرَ التَّفريطُ والبِطالَةُ ، وتَظْهَرُ سَخافَةُ العُقولِ ومَوْتُ القلوبِ . فأيُّ عِلْمٍ يَنْفَعُ مع هذه العِلَلَ إذا سَكَنَتْ في القُلوبِ ، ولا تَسْكُنُ أبَداً في قَلْبٍ نَوَّرَهُ الله بالعِلْمِ ، وإنَّما تَسْكُنُ في قَلْبٍ أظْلَمَهُ الجَهْلُ . فإنَّ مَنْ كانَ عالِمَ اللسانِ ، جاهِلَ القلبِ يَغْلِبُ جَهْلُهُ على عِلْمِهِ ، وهَواهُ على عَقْلِهِ ، ودنياهُ على آخِرَتِهِ . وعلى الجُمْلَةِ كُلُّ عالِمٍ رَجَحَتْ دنياه في قلبِهِ[8] على آخِرَتِهِ بِوَزْنِ خَرْدَلَةٍ[9] فهو عالِمٌ باللسان جاهِلٌ بالقلب[10] ولا مَحالَةَ ، فالدنيا ميتَةٌ والآكِلُ منها بلا وَرَعٍ كَلْبٌ ، وأيُّ فائِدَةٍ في الكَلْبِ وإنْ كانَ عالِماً ؟ فَقَدْ كفى بالكَلْبِ اسْمُهُ . فأيُّ مُصيبَةٍ [أعْظَمُ][11] مِنْ مُصيبَةِ مَنْ سَفَلَ [عنْ][12] رُتْبَةِ أهْلِ الوَرَعِ إلى رُتْبَةِ الكَلْبِ بعد إفادَةِ العِلْمِ والعقلِ اللذَيْنِ[13] جعلَهما الله نورَيْنِ يَدُلانِ على فَضْلِ الآخِرَةِ على الدنيا . لَكِنْ إذا طَمَسَ الله عز وجل بَصائِرَ القلوب لَمْ يَنْفَعِ العبدَ المَحْرومَ نورُ عِلْمٍ ولا عَقْلٍ[14] فَيَصيرُ عِلْمُهُ والجَهْلُ سواءً . فإذا حَلَّ نورُ العِلْمِ بالقَلْبِ لَمْ يَكُنِ القَلْبُ جاهِلاً .

1 ب : الطلب . ـ تحريف .
2 في اللسان (مادة : جمم) : ورجل أجم : لا رمح معه في الحرب .
3 م ، ق ، ب ، ط : قال الله سبحانه .
4 سورة الأنعام . الآية : 36 .
5 ق : لم تكف .
6 ق ، ب ، ط : طبائع .
7 الزيادة من م . ـ وفي ب : الدنيا بأسرها .
8 ب : رجحت في قلبه دنياه على آخرته . ـ ولم ترد العبارة في ق .
9 قوله «فإن من كان عالم اللسان جاهل القلب يغلب جهله . . . بوزن خردلة» لم يرد في ق .
10 رواية ق . ـ وفي ع ، م ، ب ، ط : عالم اللسان جاهل القلب .
11 الزيادة من م ، ق ، ب ، ط .
12 الزيادة من م ، ق ، ب ، ط .
13 في الأصول : اللذان .
14 م ، ب : لم ينتفع العبد المحروم بنور علم ولا عقل .

ومِنْ عَلامةِ نورِ العِلْمِ إذا حَلَّ بالقَلْبِ المَعْرِفَةُ والمُراقَبَةُ [والحَياء][1] والتوبَةُ والوَرَعُ والزُّهْدُ والتَّوكُّلُ والصَّبْرُ والأنسُ والمُجاهَدَةُ والصَّمْتُ والخَوْفُ والرَّجاءُ والقَناعَةُ وذِكْرُ المَوْتِ .

فالمَعْرِفَةُ للتَّنزيهِ والتَّفريدِ والتَّعْظيمِ والإجْلالِ لله سبحانه . والمُراقَبَةُ للهمَمِ والخواطِرِ وحِفْظ الأوْقاتِ . والحَياءُ لِقَطْعِ الانْبساطِ ومُلازمةِ الانْكِماشِ والدُّخولِ تحت السَّكينةِ والوَقارِ . والتَّوبَةُ لِهَدْمِ الجناياتِ وسِتْرِ القبائحِ والدُّخولِ في سُرادِقاتِ النَّدَمِ[2] مع تَرْكِ الإصْرارِ . والوَرَعُ لِتَرْكِ الشُّبُهاتِ والمَحارمِ وما الْتَبَسَ على الفَهْمِ مَعْناهُ . والزُّهْدُ لِقَطْعِ الشَّواغِلِ وإراحَةِ القلبِ والبَدنِ ، وتَرْكِ ما جاوَزَ مِنَ العَيْشِ الكَفافَ . والتَّوكُّلُ للسُّكونِ والهُدوءِ[3] والطُّمأنينة بما جَرَتْ عليه قديماً عُقْدَةُ الضَّمانِ ، ومُفارَقَةِ الطَّيْشِ والحِرْصِ وكُلِّ ما يَمْنَعُ القلبَ مِنَ السُّكونِ . والصَّبْرِ لِقَطْعِ الجَزَعِ ، واحْتِمالِ المَكارِهِ ، ومُفارَقَةِ الرّاحَةِ ولُزومِ الكَدِّ والاجْتِهادِ ، والرِّضَى بِعُذوبَةِ المَرارَةِ ، وسُهولَةِ الصُّعوبَةِ ، واعتدالِ المُرِّ والحُلوِ من القضاءِ ، والالْتِذاذ بمجاري الأقْدارِ . والأنْسُ للتَّنعُّمِ[4] بذِكْرِ المولى والوَحْشَةِ مِمَّنْ سواهُ ، واعْتِزالِ القلبِ عن الحُظوظِ[5] العاجلةِ إلاَّ ما تَمَسُّ إليه حاجَةُ الاضطرار[6] . والمُجاهَدَةُ لِقَطْعِ التَّسويفِ والبِطالةِ مع مُلازَمةِ خَوْفِ فَوْتِ المَأمولِ مِنَ الله عز وجل . والصَّمتُ لِقَطْعِ الخَوْضِ ، والانْتِصارِ على الشَّيطانِ ، والظَّفَرِ بالسَّلامةِ . والخَوْفُ للهُروبِ مِن الأمْنِ ، والحِذْرِ مِنَ الوعيدِ ، والاعْتزالِ عن المَعصيةِ ، والإقْلاعِ عن القَبائحِ . والرَّجاءُ لِقَطْعِ القُنوطِ وتَبْريدِ حَرارَةِ الخَوْفِ ، والطَّمَعِ في الغُفْرانِ مع تَرْكِ مُلازَمَةِ التَّفريطِ . والقَناعَةُ لِقَطْعِ الحِرْصِ ، وزوالِ الطَّمَعِ مع حُسْنِ مُعاشَرَةِ الفَقْرِ ومُجانَبَةِ الإكْثارِ . وذِكْرُ المَوْتِ لِقَطْعِ طولِ الأمَلِ ، ورؤيَةِ اقْترابِ الأجَلِ والاسْتِعْدادِ للرِّحْلَةِ ، والتَّأهُبِ للنَّقْلَةِ ، ورؤْيَةِ النَّفْسِ مِنْ جُمْلَةِ الأمْواتِ .

فهذه صِفاتُ مُعامَلاتِ القلبِ المَحْمودَةُ تَظْهَرُ بالعَبْدِ إذا قَذفَ الله عز وجل نورَ العِلْمِ في قَلبهِ وهي مِنْ سِماتِ الخُصوصِ لا مِنْ سِماتِ العوامِّ[7] ، فإنَّ أعمالَ القلوبِ للخُصوصِ وأعْمالَ الجَوارِحِ للعوامِّ[8] ، فأرْبابُ الجوارحِ كَمَثَلِ رجُلٍ يُؤاجِرُ نَفْسَه لرجلٍ آخرَ فيَعْمَل له

---

1 الزيادة من م ، ق ، ب ، ط .

2 السراديق : كل ما أحاط بشيء من بناء ونحوه . وفي القرآن الكريم : ﴿أحاط بهم سرادقها﴾ .

3 ب : والهدى . ــ وفي ق : والسكون والصدق والطمأنينة .

4 ب ، ط : للتنعيم .

5 ب : من الحظوظ .

6 ط : الحاجة الاضطراب . ــ تحريف . ــ وفي ق : ما تمس به الحاجة الاضطرار . ــ تحريف أيضاً .

7 ب : العموم .

8 الزيادة من م ، ق ، ب ، ط .

بيَدِهِ عَمَلاً فتكونُ أُجْرَتُهُ قيراطاً أو دِرهَماً أو ديناراً على قَدْرِ إتْقانِ الصَّنْعَةِ . وأرْبابُ القُلوبِ كَمَثَلِ رَجُلٍ غَنِيٍّ أعطى مُقارضيهِ قَناطيرَ مُقَنْطَرَةً مِنَ الذَّهَبِ يَبْتَغونَ بها فَضْلَ اللهِ في أسواقِ غيرِ كاسِدَةٍ فأتوهُ[1] برأسِ مالِهِ سالِماً وبأرْباحٍ لا تَنْحَصِرُ . فشَتّانَ ما بين أربابِ [القلوبِ][2] وأربابِ الجوارِحِ . فالاسْتِعاذَةُ[3] باللهِ مِنْ عِلْمٍ لا يَنْفَعُ ، والعَجْزِ عمّا كانَ عَلَيهِ صَدْرُ هذه الأُمَّةِ والسَّلَفُ الصَّالِحُ رضي اللهُ عنهم أجمعين .

فصل في مَقامِ العارِفِ مع اللهِ[4] عز وجل في الإرادة

فالعارِفُ إذا حَصَلَ جِسْمُهُ في بَحْرِ البَلاءِ وتَلاطَمَتْ عَلَيْهِ أمْواجُ الكُروبِ بِعاصِفاتِ المِحَنِ أَلْقى بِإرادَةِ نَفْسِهِ في حالِ العَدمِ وألقى عُنُقَه في غُلِّ[5] إرادةِ السَّيِّدِ كأنَّهُ لا نَفْسَ له فتَجْذِبُهُ إرادةُ الحقِّ سُبحانَهُ جَذْبَةً تَسْلَخُهُ مِنْ حِجابِ نَفْسِهِ سَلْخَةً فَيُشْرِفُ على رِياضِ المُشاهَدَةِ ، ولا مَطْمَعَ في هذا المَقامِ لِسالِكٍ حتى يَفْنى عن إرادَتِهِ ويَعْلَمَ قَطْعاً أنَّ إرادَتينِ لا تَكونانِ[6] في مِلْكٍ واحِدٍ ، ويَرى أنَّ إرادَتَهُ حِجابٌ مُدْلَهِمٌّ[7] يَتَعَذَّرُ على البَصائِرِ مِنْ أجْلِهِ[8] الظَّفَرُ بِالمُشاهَدَةِ[9] .

فصل في مَقامِ العارِفِ مع اللهِ[10] عز وجل في الاعتِمادِ عليه ورؤيةِ مَنْ سواه بعينِ التلاشي والعدم

فالعارِفُ يَجِدُ في نفسِهِ الاعْتِمادَ على اللهِ وإنْ كانَتِ السَّماءُ لا تُمْطِرُ ، والأرْضُ لا تُنْبِتُ ، والنَّفْسُ لَيْسَ لَها يَدٌ[11] [ولا رِجْلٌ][12] ، ولا حَوْلٌ ولا حيلَةٌ ، لَمْ يَزِدْهُ ذلكَ إلاَّ اعْتِماداً على اللهِ[13] سبحانه وطُمَأْنينةً بِما جَرَتْ به عليه عُقْدَةُ الضَّمانِ الأوَّلِ ، فإنَّ العارِفَ في هذا المَقامِ

---

1 ع ، ق ، ط : وأتاه . ــ وما أثبتناه من م ، ب .
2 الزيادة من م ، ق ، ب ، ط
3 ع ، ق : فالاستعاذ . ــ ط ، ب : فالعياذ . ــ وما أثبتناه من م .
4 ق : من الله .
5 الغُلُّ ــ بضم الغين ــ : الطوق من حديد أو جلد يوضع في عنق الأسير أو المجرم أو في أيديهما . ــ وفي ط : في حبل . ــ ووردت هذه العبارات مضطربة في م ، ق ، ب .
6 ب : لا تكونا . ــ تحريف .
7 حجاب مدلهم : سميك صفيق .
8 ع ، ق ، ط : من أجلها . ــ وما أثبتناه من م ، ب .
9 ط : بالمشاهدات .
10 ق : من الله .
11 ب : ولا لها يد . ــ وفي ق : ليس لها يد ولا حيلة .
12 الزيادة من م ، ق ، ب ، ط .
13 ب : لم يزده ذلك الاعتماد على الله . ــ تحريف . ــ وفي ق : لم يزده ذلك إلا الاعتماد على الله .

يَرى أَنَّهُ ليس في الوجودِ إلاَّ هو ومَوْلاهُ ، ويرى الخَلائِقَ[1] مَعْدومينَ ، ولا يَرى لِجِسْمِهِ[2] جارِحَةً تتأتَّى منها حيلَةٌ سِوى الفَمِ والبَطْنِ فقط ، وكأنّما تُطْعِمُه القُدْرَةُ بلا سَبَبٍ ولا واسِطَةٍ ولو كانتِ الأَسْبابُ والوسائِطُ غَيْرَ ذاهِبَةٍ .

واعْلَمْ أنَّ الأَسْبابَ والوَسائِطَ حِجابٌ لا تَنْفُذُهُ[3] إلاَّ بَصيرَةُ مَنْ يَرى الأَسْبابَ والوَسائِطَ مَطْروحين في حينِ العَدَمِ ، ويَرى الخَلْقَ كُلَّهم مَوْتى فَيُكَبِّرُ عليهم كما يُكَبَّرُ على المَيِّتِ . ومَنْ لَمْ يَكُنْ كَذلِكَ فلَيْسَ بعارِفٍ حَقِيقِي[4] ، وإنَّما هو مِنْ عَبَدةِ الأَسْبابِ والوسائِطِ . وذلك كلُّه مُجانِبٌ لأَحوالِ المُوقِنِينَ .

فصل في مَقامِ العارِفِ مع اللهِ عزوجل في حرَكاتِهِ وسَكَناتِه[5]

فالعارفُ إذا سَكَنَ رأى سُكونَهُ في كَنَفِ اللهِ مع وُجودِ هَيْبَةِ اللهِ ، وإذا تَحرَّكَ رأى حرَكَتَهُ في قَبْضَةِ اللهِ مع وُجودِ عظَمَةِ اللهِ ، وإذا ابْتُلِيَ رأى بَلْواهُ بعيْنِ اللهِ مع وُجودِ الرِّضى عَنِ اللهِ ، وإذا عُفِيَ رأى مُعافاتَهُ فَضْلاً مِنَ اللهِ مع وُجودِ الشُّكْرِ للهِ ، وإذا هَمَّ بذَنْبٍ لَمْ يَرَ حِجاباً بينَهُ وبينَ اللهِ مع وُجودِ الحَياءِ مِنَ اللهِ ، وإذا نظَرَ إلى الخَلْقِ لَمْ يَرَ إلاَّ اللهَ معَ وُجودِ تلاشي الخَلْقِ في جَنْبِ عظَمَةِ اللهِ ، وإذا ذكَرَ اللهَ عَلِمَ أنَّ اللهَ ذَكَرَ نَفْسَهُ مع وُجودِ التَّبري مِنَ الذِّكْرِ للهِ ، وإذا لاحَظَ الوُجودَ لَمْ يَجِدْ فيهِ غَيْرَ اللهِ ويرى الخَلْقَ فِعْلاً مِنْ أفْعالِ اللهِ إذا لَمْ يكُونوا فكانوا بِاللهِ[6] وللهِ مَعَ[7] وُجودِ عَزْلِ الضُّرِّ والنَّفْعِ عن غَيْرِ اللهِ والوُقوفِ بالحقيقَةِ مَعَ لا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلاَّ باللهِ العليِّ العظيمِ .

ولا مَطْمَعَ في هذا المَقامِ لِسالكٍ إلاَّ مَنْ جَعَلَ الدنيا قِبْلَةً لِظَهْرِهِ ، والآخرَةَ قِبْلَةً لِقَلْبِهِ ، والحَقَّ سبحانه قِبْلَةً لِهِمَّتِهِ مع وُجودِ فَقْدِ الالْتِفاتِ عَمَّ اسْتَقْبَلَته هذه الثَّلاثُ[8] . فإنْ فَعَلَ هَبَّتْ

---

1 ط : الخلق .

2 ب : بجسمه .

3 ع ، م ، ق : لا تنفده . ــ ب : لا تنفذ . ــ وما أثبتناه من ط .

4 ب : حقيقة .

5 المقام عند الصوفية هو مقام العبد بين يدي الله في ما يقام فيه من المجاهدات والرياضات والعبادات . وشرطه أن لا يرقى من مقام إلى مقام ما لم يستوف أحكام ذلك المقام . فإن من لا قناعة له لا يصح له التوكل ، ومن لا توكل له لا يصح له التسليم ، وهكذا . معجم مصطلحات الصوفية (عبد المنعم الحفني) 248 .
ق : من الله . ــ ولم ترد في م ، ب عبارة «في حركاته وسكناته» .

6 ق : إذا لم يكونوا فكونوا بالله . ــ تحريف .

7 في الأصل : ومع . ــ تحريف صوابه من النسخ الأخرى .

8 ق : ثلاثة .

على قَلْبِهِ رِيَاحُ الكرم فتكونُ هذه المَقاماتُ عِنْدَه أيْسَرَ مِنْ تَرَدُّدِ نَفَسِهِ في جَسَدِهِ إذْ لا حِرْمانَ مع التَّوْفيق ، ولا جِنايَةَ مع العِنايَة ، ولا حِجابَ على المُتَّصِفِ بالألوهيةِ لِمَنْ أشْرَقَتْ على قَلْبِهِ أنوارُ الخُصوصيةِ . قال الله سبحانه : ﴿يَخْتَصُّ بِرحْمته مَنْ يشاءُ﴾[1] وقال سبحانه : ﴿ذلك فضل اللهِ يؤتيه مَنْ يَشاءُ والله ذو الفَضْلِ العَظيم﴾[2] .

فصل في استغراقِ العارِفِ في بَحْرِ الجُودِ والألْطافِ

فالعَارِفُ يَرَى اللهَ باللهِ مع وُجودِ فَقْدِ مَنْ سِوَى الله ، ولا يَجِدُ وُصولاً إلى اللهِ إلاَّ بتَرْكِ نفسهِ في الذّهابِ إلى اللهِ سُبحانَهُ . فإذا لاحَظَ بقلبِهِ عَظَمَةَ اللهِ خَضَعَ مِنْهُ كلُّ عضوٍ إجْلالاً لله فَيَقولُ في بِدايَةِ الاسْتِغْراقِ : الله الله ! . فإذا اسْتَغْرَقَ قَلبه لم يَبْقَ منه فضْلٌ يقولُ[3] الله . ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾ . فلا تَطْمَحْ[4] لِهذا المَقام بأُمْنِيَتِكَ[5] وأنتَ مُقيمٌ مع رُسومِكَ وصِفاتِكَ . فلا عُثُورَ عليهِ بِكَثْرَةِ عِلْمٍ ، ولا اسْتِحْسانِ فِعْلٍ ، ولا معالَجةِ تَصَنُّعٍ[6] ، ولا اسْتِجْلابِ تَكَلُّفٍ ، لأنَّهُ مَقامُ الخُصوصِ لا يُدْرَكُ إلاَّ بالخُصوصيةِ ، والخُصوصيةُ لا تُدْرَكُ بتكَلُّفٍ أصْلاً . فَمَنْ لَمْ يَرَهُ الحَق سبحانه للخُصوصيةِ أهْلاً أمْضَى له أيامَ حياتِهِ في سِياسَةِ نفسه ، ولا بُدَّ مِنْ ظُهورِ الخُصوصيةِ على الشَّواهِدِ ، فإنَّ الخاصَّ لا يُدْلي[7] بنفسِهِ في رِقِّ[8] مَلِكٍ ، وذلك مِنْ أوائِلِ ظُهورِ الخصوصيةِ .

فصل في رُؤية العارِفِ نفسَه

فالعارِفُ يرى نفْسَهُ شِبْهَ نَجِسٍ في الوُجودِ ، ولا يَعْلَمُ ساعةَ رَحْمَةِ اللهِ تعالى إلاَّ بِوُصُولِها[9] لِمثْلِهِ وجنسِهِ ، ويَرى مَنْعَ الإجابَةِ لِدُعاءِ مَنْ دَعا مِنْ جُلَسائِهِ بِسَبَبِ حَضْرَتِهِ مُنِعَ ، ولا يَرى عَمَلَهُ وإنْ سَجَدَ على الجَمْرِ مَثَلاً أهْلاً للقَبول ، ولا يَجِدُ مع ما أهَّلَ به نَفْسَهُ مِنَ القُبْحِ كَراهةً لِمَذَمَّةٍ ولا مَسَرَّةً لِمِدْحَةٍ . فإنْ قَبَّلَ الناسُ يَدَهُ أو تَمَسَّحوا بِثِيابِهِ رأى[10] نفسَه كالبِكْرِ الزَّافَةِ إلى

1 سورة آل عمران . الآية : 74 .
2 سورة آل عمران . الآية : 54 .
3 ق : لقول .
4 ق ، ط ، ب : فلا تنظر .
5 ب : فأمنيتك .
6 قوله : «ولا معالجة تصنع» لم يرد في ق .
7 ب : لا يدري . ــ ووردت الكلمة مضطربة في ق .
8 ب : رزق . ــ تحريف .
9 ب : بوصلها .
10 ب ، ق : يرى .

بَعْلِها وهي مُفْتَضَحَة بِفُجورٍ[1] وكُلَّما طافَ النَّاسُ بِها وعَظَّموا شأْنَها لَمْ تَلْتَفِتْ إلى ذلك مِنْ أجْلِ ما تَوَقَّعَتْهُ مِنْ مُطالَعَةِ الشَّماتَةِ والفَضيحَةِ. فهذا طَرَفٌ مِنْ تواضُعِ العارِفينَ.

فصل في مَقامِ العارِفِ مع الله عز وجل في الفَقْرِ والغِنى

فالعارِفُ يَنْظُرُ بِبَصيرتِهِ في الفقرِ والغِنى نَظَراً مُعْتَدِلاً لا رُجْحانَ لأحَدِهما على الآخَرِ بَعْدَ حُلولِ أحَدِهما، ومتى نَظَرَ إلى الغِنى بِعَيْنِ الإيثارِ على الفَقْرِ بعد حُلولِ الفقرِ فقَدْ عارَضَ القَضاءَ بالسُّخْطِ وأَلْقى جِلْبابَ الرِّضى عن وَجْهِهِ[2] وأفْضَتْ بهِ هَواجِسُ نَفْسِهِ، ورُعوناتُ طَبْعِهِ، إلى الانْخِلاعِ مِنَ العبوديةِ، ومُنازَعَةِ الرُّبوبية. وإنْ نَظَرَ إلى الفقرِ بعَيْنِ الإيثارِ على الغِنى بعد حُلولِ الغنى فقدْ عارَضَ القضاءَ بالسُّخْطِ نُفوراً مِنْه عن الشُّكْرِ، وذلك ظُلْمٌ وَجَوْرٌ في حَقِّ العَبْدِ. فإنَّ العارِفَ لا يُعارِضُ فَقْراً ولا غِنىً حلَّ به باخْتِيارِهِ[3] ولا تَمَلُّكٍ ولا تُهْمَةٍ[4] وإنَّما يرغَبُ إلى الله عز وجل في حُسْنِ مُعاشَرَةِ أيِّهما[5] حَلَّ به مِنهما مع وُجودِ التَّسْليمِ والتَفْويضِ[6] لله سبحانه فيما حَكَمَ به. فإنَّ الرَّاضيَ يُشْبِهُ مَيِّتاً[7] لا نفسَ له تَخْتارُ، فالفقْرُ والغِنى[8] حُكْمانِ مِنْ حَكيمٍ واحِدٍ وهو أعْلَمُ سُبْحانَهُ بعبيدِهِ وما يَصْلُحونَ به. فمِنْهم مَنْ يَصْلُحُ بالفقرِ ولا يصلُحُ بالغِنى، ومنهم مَنْ يَصْلُحُ بالغِنى ولا يَصْلُحُ بالفَقْرِ، ومنهم مَنْ يَصْلُحُ بالعَطاءِ ولا يَصْلُحُ بالمَنْعِ، ومنهم مَنْ يَصْلُحُ بالمَنْعِ ولا يَصْلُحُ بالعطاءِ، ومنهم مَنْ يَصْلُحُ بالبَلاءِ ولا يَصلحُ بالصِّحَّةِ[9]، ومنهم مَنْ يَصْلُحُ بالصِّحةِ ولا يَصْلُحُ بالبَلاءِ، ومنهم مَنْ يَصْلُحُ بالوَجْهينِ [جَميعاً][10] وهي[11] أعْلى رُتْبَةٍ يُشارُ إليها

---

1 ب: بفروج. ـ تحريف.

2 ق: ولقي جلباب عن وجهه. ـ تحريف.

3 ب: باختيار. ـ وقوله «حل به» لم يرد في ق.

4 ق: ولا بملك ولا بهبة.

5 ق: معاشرته إليهما.

6 في الأصل: والتفريض، تحريف صوابه من النسخ الأخرى.

7 ع، ط: فإن الراضي شبه ميت. ـ ق، ب: فالراضي شبه ميت. ـ وما أثبتناه من م.

8 ب: لا نفس له يختار لها. ـ وفي ق: لا نفس له تختار في الفقر والغنى.

9 في الأصل: فمنهم من يصلح بالفقر ولا يصلح بالغنى، ومنهم من يصلح بالعطاء ولا يصلح بالمنع، ومنهم من يصلح بالبلاء ولا يصلح بالصحة. ـ وما أثبتناه من ق، ب، ط. ـ وفي م: فمنهم من يصلح بالفقر ولا يصلح بالغنى، ومنهم من يصلح بالغنى ولا يصلح بالفقر ومنهم من يصلح بالمنع ولا يصلح بالعطاء، ومنهم من يصلح بالعطاء ولا يصلح بالمنع، منهم من يصلح بالبلاء ولا يصلح بالصحة.

10 الزيادة من م، ق، ب، ط.

11 ع، م: وهو. ـ وما أثبتناه من ق، ب، ط.

في غايَةِ هذا الشَّأنِ ﴿وربُّكَ يَخْلُقُ ما يَشاءُ ويَخْتار ، ما كانَ لَهمُ الخِيرَةُ ، سُبْحانَ اللهِ وتعالى عمّا يُشْرِكُون﴾[1] . ففي هذه الآيةِ كِفايَةٌ وتَعْزِيَةٌ لِكُلِّ سالِكٍ راضٍ عن اللهِ تعالى لَكِنْ لا يَعْقِلُها ولا يَتَلَذَّذُ بها إلاَّ مَشايخُ العارفينَ .

فصل في المُرورِ على الصِّراطِ المَضْروبِ على عاهَاتِ[2] النُّفوسِ إلى جَنَّةِ المَعارِف

لا طَريقَ لسالِكٍ إلى جنَّةِ المعارِفِ إلاَّ على ظَهْرِهِ ، كَما أنَّهُ لا طَريقَ إلى جَنَّةِ النَّعيمِ إلاّ على ظَهْرِ الصِّراطِ المَضْروبِ[3] على مَتْنِ جَهَنَّم ، وكِلاهما صِراطان[4] يَعْسُرُ الجوازُ عليهما لِمَنْ أثْقَلَتْهُ أوْزارُه ، ومَنَعَهُ مِنَ التّوبةِ إصْرارُه .فالصِّراطُ الحِسيُّ [هو][5] المَضْروبُ على ظَهْرِ جَهَنَّم يَعْسُرُ الجوازُ عليه لِمَنْ أحاطَتْ به خَطيئاتُهُ ، وغَيَّرَتْ صُحُفَ الحَفَظَةِ جناياتُه[6] . والصِّراط المَعْنَوي هو الصّراطُ المَضْروبُ على [ظَهْرِ][7] عاهاتِ النُّفوسِ يَعْسُرُ الجوازُ عليه لِمَنْ حَمَلَ دُنياه على عاتِقِهِ ، واصْطادَ قُلوبَ المؤمنينَ بِنَبْلِ[8] بَوائِقِهِ واحْتَكَرَ أصولَ الشَرِّ في قَلْبِه[9] ، وعَمِيَتْ[10] بصيرَتُه عنْ قُبْحِ عَيْبِهِ . فمَنْ اتَّصَفَ بِهذه العلَّة لا تَثْبُتُ أقْدامُهُ على الصِّراطِ المعنوي أصْلاً . فالصّراطُ الحِسيُّ تَزِلُّ[11] الأقْدامُ عنه مِنْ ثِقْلِ الذُّنوب ، والصِّراطُ المعنوي تَزِلُّ الأقْدامُ عنه مِنْ أجْلِ عِلَلِ القلوب . ومِنْ أجْلِ ذلك قَلَّ السَّالِكونَ [عليه][12] . وسَنُبَيِّنُ [لك][13] العِلَلَ التي يَتَعَذَّرُ الجوازُ مِنْ أجْلِها عليه إن شاءَ الله .

فأوَّلُ عِلَّةٍ تُطْرَحُ عنِ القَلبَ[14] حُبُّ الدنيا التي لا قُرْبَةَ مَعَها لِعَبْدٍ ، ولا يَثْبُتُ له معها قَدمٌ

---

1 سورة القصص . الآية : 68 .

2 في الأصل : عاهة . ـ وما أثبتناه من النسخ الأخرى .

3 ق ، ب ، ط : المنصوب .

4 ب : فصل في المرور على الصراط المضروب على ظهر جهنم وكلاهما صراطان .

5 الزيادة من م ، ق ، ب ، ط .

6 م : وغيرت صحف الحفظة خطاياه .

7 الزيادة من م .

8 ع ، ط : بنيل . ـ وفي ق : بتقبل . ـ تحريف . ـ ولم ترد الكلمة في م . ـ وما أثبتناه من ب .

9 م : يعسر الجواز عليه لمن حمل الشر في قلبه .

10 ع ، ق ، ب ، ط : وعَمَّتْ . ـ وما أثبتناه من م

11 ق : لا تزل . ـ تحريف .

12 الزيادة من م ، ق ، ب ، ط .

13 ع ، ط : بنيل . ـ وفي ق : بتقبل . ـ تحريف . ـ ولم ترد الكلمة في م . ـ وما أثبتناه من ب .

14 في الأصل : على القلب . ـ وما أثبتناه من ط . ـ وفي م ، ب : عن القلوب . ـ ق : فأول علة تسرح عن القلب . ـ تحريف .

على الصِّراطِ المعنوي أصْلاً . فالدنيا راجعَةٌ إلى أصْلَيْنِ : موجودٌ اشْتَغَلَ عن الله بالسُّرورِ به ، ومَفْقودٌ اشْتَغَلَ عن الله بالتَّأسُّفِ عليه : فهاتانِ العِلَّتانِ مِنْ أغْطِيَةِ القلوبِ وحُجُبِها[1] ، لا مَطْمَعَ لِسالِكٍ في لُحوقِ أهْلِ وِلايَةِ الله تعالى ما لَمْ تَزُلْ تلك الأغْطِيَةُ عن قَلْبِه . وقد حذَّرَ الله عز وجل عباده مِنْ عِلَّةِ هذينِ الغِطاءَيْنِ فقال سبحانه : ﴿لِكَيْ لا تأسَوْا على ما فاتَكم ولا تَفرَحوا بِما آتاكُم﴾[2] .

فَمَنْ أرادَ اللُّحوقَ بأهْلِ وِلايَةِ الله تعالى فلْيَقْطَعْ أصولَ شَرِّ هَذَيْنِ الأصْلينِ مِنْ قلْبه ، لَكِنْ لا يَطَّلِعُ على دَقائِقِ أصولِهما إلاَّ عارِفٌ بَصيرٌ . فإنَّ العارفينَ يطَّلِعونَ على دَقائِقِ عِلَلِ القلوبِ كما تَطَّلِعُ البَياطِرَةُ على عِلَلِ الدَّوابِ المُعْتَلَّة ، وكُلُّ بلَدٍ خَلا مِنَ العارفينَ فَسَدَتْ مِنْ جَهْلِ عِلَلِ القلوبِ أرْبابُه كما أنَّ الدوابَّ تُهْلِكُها العِلَلُ إذا خَلا البَلَدُ مِنَ البياطِرة . فإنْ هَذَّبْتَ ظاهِرَكَ مِنْ بعض العِلَلِ اسْتَقامَ لك وَضْعُ قَدَمِكَ على أسْفَلِ عَقَبَةِ الصِّراطِ المَعنوي ، فإنْ ألْزَمْتَ نَفْسَكَ التَّهذيبَ تَيَسَّرَ لك صُعودُ[3] العَقَبَةِ وسَهُلَ عليك على قَدْرِ[4] تَهذيبِكَ . فإنْ رَفَضْتَ الدنيا الظاهِرَةَ عنك اسْتَوَيْتَ على ذِرْوَةِ العَقَبَةِ فتَنظُرُ حينئذٍ أمامَكَ فَتَرى سَبْعَةَ جُسورٍ مَضْروبَةٍ على مَتْنِ الصِّراطِ المعنوي ، كُلُّ جسْرٍ منها تَضَمَّنَ جُزْءاً مِنْ عِلَلٍ راسِخَةٍ في القَلْبِ يَتَعَذَّرُ جَوازُ كُلِّ جِسْرٍ إلاَّ بعد تَطْهيرِ القلبِ مِنْ تِلْكَ العِلَلِ ، فإنْ لَمْ يُطَهِّرِ القَلْبُ مِنها هَوَتْ[5] بالعَبْدِ نَفْسُه في هاوِيَةٍ لا سُفْلَ لها[6] . وسَتَرِدُ عليك عِلَلُ كلِّ جِسْرٍ مُفَصَّلَةً مَشْروحةً إنْ شاءَ الله تعالى .

فصل في بيانِ عِلَّةِ الجسْرِ الأوَّلِ

فعِلَّتُهُ الرِّياءُ وهو مِنْ آفاتِ المُتَعَبِّدينَ ، وهو حرامٌ كالميتَةِ . والرِّياءُ في نفسِهِ هو الْتِذاذُ الهِمَّةِ بإطْلاعِ الناسِ على عِلْمِكَ أو قِراءَتِكَ أو نُطْقِكَ أو صَمْتِكَ أو ثِيابِكَ أو شيءٍ مِنْ مَحاسِنِ جِسْمِكَ أو هَيْئَتِكَ . فإنِ الْتذتْ[7] نفسُكَ بإطْلاعِ الخَلْقِ على شيءٍ مما ذَكرتُ لك وسَكَنَتْ إلى ذلك ولم يَكْرَهْهُ قَلْبُكَ فأنْتَ مُراءٍ حقّاً ، ساقِطٌ مِنْ عينِ الله سبحانه . فمَنْ اعْتَلَّ قَلْبُه بدقيقةٍ مِنْ

---

1 ب : حجبهم .

2 سورة الحديد . الآية : 23 .

3 ع ، ق ، ط : صعوبة العقبة . ــ وفي م : سلوك العقبة . ــ وما أثبتناه من ب .

4 في الأصل : بقدر . ــ وما أثبتناه من النسخ الأخرى .

5 م ، ق ، ب ، ط : فإن لم يطهر القلب منها وإلا هوت .

6 في الأصل : لا سافل لهل . ــ م ، ط : لا أسفل لها . ــ ق : وإلا هوت بالعبد نفسه في غاية الأسفل لها . ــ وما أثبتناه من ب .

7 ب : فإن التذاذ . ــ تحريف .

هذه العِلَلِ سَلَبَهُ اللهُ تعالى حَلاوةَ الطّاعَةِ ومَنَعَهُ لذّةَ المُناجاةِ ، وحَلَّتْ ظُلْمَةُ الكَسَلِ في صَدْرِهِ ، ويُبوسَةُ القَسْوَةِ في قَلْبِهِ . فإنْ تَمثَّلَ شيءٌ مِنْ ذلك[1] في نفسِك فكَرِهْتَهُ ولَمْ تُساعِدِ النَّفْسَ عليه لَمْ يَضُرَّكَ ذلك ما لَمْ تُسامِحْ نفسك عليه لأَنَّهُ مِنْ طَبائِعِ النفوس فإنْ أَرَدْتَ دواءهُ فَمثِّلْ لنفسِك كأنّك في القيامةِ والميزانُ بينَ يَدَيْك ، وصحائِفُكَ نازلَةٌ عليك والنّارُ بارِزَةٌ ، والجَنَّةُ مُزَخْرفَةٌ ، والربُّ سبحانه إليك ناظِرٌ ، وأنتَ تجيءُ وتَذْهَبُ بين الخَلائِقِ في عَرَصاتِ القيامة مذْعوراً ، فتَجِدُ نفسك عند تَمْثيلِها[2] . هناك لا تَجِدُ للرّياءِ لذّةً ولا تَتَعلّقُ هِمَّتُكَ[3] بشيءٍ سوى الظَّفَرِ بالسَّلامةِ ، والوُصولِ إلى النّجاةِ ، ولا تَرَى للخَلْقِ خَطَراً ولا بالاً[4] هنالكَ . فإنْ وَجَدْتَ ذلك مِنْ نفسك فمَثِّلْ لنفسِكَ أيضا أنَّك اليوْمَ بعينِ اللهِ والخَلْقُ لا يَمْلكونَ لك ضَرّاً ولا نَفْعاً وتَعْلَمُ يقيناً أنَّ موْقِفَ الدنيا ومَوْقِفَ الآخِرةِ[5] واحدٌ لا فَرْقَ بينَهما بين يدَيْ مَلِكٍ واحِدٍ . فإنَّ الذي تحْذَرُ منه اليوْمَ تقِفُ بينَ يدَيْهِ غداً ، والخَلْقُ الذين تُرائيهُم اليوم هم الذين تَعْرَقُ جِباهُهُم وتَرْعَدُ فرائِصُهم مَعَكَ في المَوْقِفِ لا يَمْلِكونَ لك ضُرّاً ولا نَفْعاً[6] هنا ولا هناك . فإنْ تأمَّلْتَ ما ذَكَرْتُ لك بِقَلْبٍ فارِغٍ تَلاشَ الخَلْقُ في عَيْنَيْكَ ، وعظُمَتْ في قَلْبكَ عَظَمَةُ اللهِ عز وجل ، ولَمْ تَجِدْ للرياءِ سَبيلاً إنْ سَبَقَتْ لك العِنايَةُ والخُصوصيَّةُ .

فصل في بيانِ علَّةِ الجِسْرِ الثّاني

فعِلَّتُهُ العُجْبُ[7] وهو أدَقُّ مِنَ الرِّياءِ ، وهو حَرامٌ كالـميْتَةِ . والعُجْبُ [في][8] نفْسِهِ هو أنْ يَنْسُبَ العَبْدُ[9] ما يَبْدو[10] مِنْهُ مِنْ عِلْمٍ أَوْ عَمَلٍ أو نِيَةٍ أو صِدْقٍ أو إخْلاصٍ إلى نَفْسِهِ . ويَتفَرَّعُ مِنْ هذا الأَصْلِ المَذْمومِ ثلاثُ[11] عِلَلٍ : فَقْدُ الحُزْنِ ، والإعْراضُ بالنِّعْمَةِ على المُنْعِمِ ونسْبَتُها إلى

---

1 ب : فإن تمثل شيء من شيء من ذلك .

2 ق : تمثيلهم .

3 ق ، ب ، ط : همتها . ـ م : همتهما .

4 في الأصل : ولا ترد إلى الخلق خطراً ولا بالاً . ـ ط : ولا ترد إلى الخلق خطراً وبالاً . ـ ق : ولا ترد للخلق نظراً وبالاً . ـ وما أثبتناه من م ، ب .

5 م ، ق ، ط : وموقف القيامة .

6 ق ، ط ، ب : لا يملكون لك نفعاً ولا ضراً .

7 العجب ـ بضم العين وتسكين الجيم ـ : إعجابُ المرء بنفسه .

8 الزيادة من م ، ق ، ب ، ط .

9 لم ترد كلمة «العبد» في ب .

10 في الأصل : ما يبدا . ـ تحريف صوابه من النسخ الأخرى .

11 ق : ثلاثة علل . ـ تحريف .

النُّفوسِ[1] ، والسُّرورُ بالـمِدْحَةِ ، فإنَّ السُّرورَ بالـمِدْحَةِ مُعْجِبٌ لا مَحالَةَ ، والحُزْنُ لا يَتَأتّى مِنْ مُعْجِبٍ أصْلاً ، ومَنْ نَسَبَ إلى نَفْسِهِ نِعْمَةَ العِلْمِ والعَمَلِ الخالِصِ أوِ النية أوِ الصِّدْقِ أوِ الإخْلاصِ فَقدْ أعْرَضَ بالنِّعْمةِ عن المُنْعِمِ لأنَّهُ نَسَبَ النِّعْمَةَ إلى نَفْسِهِ وأضافَها[2] إلى غَيْرِ أهْلِها لأنَّ ما ذَكَرْناهُ[3] مِنَ النّعمِ كُلِّها نِعَمٌ مِنَ الله تعالى مَنَّ بها عليكَ في الأزَلِ ، لا يُضيفُها إلى نفسه إلاّ كُلُّ مُتَعَجِبٍ[4] مَحْجوبٍ عن الله سبحانه .

فصل في بيان علَّةِ الجسرِ الثالثِ

فعِلَّتُهُ الكِبْرُ والغَضَبُ وهُما[5] حَرامٌ كالميتَةِ إلاّ في وَجْهَيْنِ[6] : أَحَدُهما الاسْتِكْبارُ على المُتكَبِّرِ كي يُهينَ نفسه ويَزُولَ عن التكبُّرِ . ولِذلكَ قيلَ : التَكَبُّرُ على[7] المتَكبِّرِ تواضُعٌ . ـ والوَجْهُ الثاني الغَضَبُ في الله تعالى لأنَّهُ حلالٌ[8] مَحْضٌ ، وذلك مِنْ سِماتِ أهْلِ القُوَّةِ . فَمَنْ لَمْ يَقْبَلِ الحَقَّ مِنَ الشَّريفِ والدّنيءِ أو رأى أنَّ في النّاسِ شَرّاً منه فهو مُتَكَبِّرٌ قَطْعاً ، ومَنْ سَمِعَ كَلِمَةَ حقٍّ لا تُوافِقُ هَواهُ فَكَرِهَتْها[9] نفسه ثُمَّ رَدَّها فَقَدْ رَدَّها على الله عز وجل .

والكِبْرِياءُ مِنْ صِفاتِ الله تعالى لا مِنْ صِفاتِ العَبْدِ وإنَّما صِفاتُ العبد التَّواضُعُ والذِّلَّةُ والافْتِقارُ والمَسْكَنَةُ . ومُحالٌ في العَقْلِ أنْ يَكونَ في الوُجودِ مُتَكَبِّرانِ ، فإنْ كانَ ولا بُدَّ أهْلَكَ أحَدُهما[10] الآخَرَ وقَصَمَهُ[11] .

والغَضَبُ يَمْحَقُ نورَ العَقْلِ لأنَّ الغَضَبَ أغْلَبُ على العَقْلِ مِنَ الشَّهواتِ ، فإنَّ الغَضَبَ يُزيلُ لَذَّةَ الشَّهواتِ بِأسْرِها ويَعْزِلُها عن النُّفوسِ إلاّ لَذَّةَ[12] شِفاءِ الغَيْظِ والانْتِصارِ .

---

1 م : والإعراض بالنعمة عن المنعم بنسبتها إلى النفس . ـ ب : والإعراض بالنعمة على المنعم بنسبه إلى النفس . ـ وفي ق : والاعتراض بالنعمة عن المنعم نسبتها إلى النفس . ـ تحريف .

2 في الأصل : وإضافتها . ـ تحريف صوابه من النسخ الأخرى .

3 ق : لكن ما ذكرناه .

4 ب : معجب .

5 في الأصل : وهو . ـ تحريف صوابه من النسخ الأخرى .

6 ب : في الوجهين .

7 رواية ب . ـ وفي ع ، ق ، ط : التكبر عن . ـ وفي م : الاستكبار على المستكبر تواضع . ـ وهو نقص وتحريف .

8 ب : حال . ـ ق : حلل . ـ تحريف .

9 ط : فكرهته .

10 في الأصل : لهلك أحدهما . ـ وما أثبتناه من النسخ الأخرى . ـ ولم ترد لفظة «أحدهما» في ق .

11 قصمه : أهلكه . ـ ومنه قوله تعالى : ﴿وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة﴾ .

12 ب : ولا لذة .

فالغَضَبُ[1] بَحْرٌ عميقٌ ومُهلِكٌ ، وسَفينتهُ الكَظْمُ والحِلْمُ ، فَمَنْ تَخَلَّفَ عنهما غَرِقَ في بَحْرِ المَهالِكِ والعِياذُ باللهِ من ذلك .

فصل في بيان علَّةِ الجِسْرِ الرابع

فعِلَّتُهُ الحَسَدُ والحِقْدُ والعَداوَةُ ، وذلك حَرامٌ[2] كالمِيتَةِ ، فمتى سَرَّتْكَ مُصيبَةُ مُسْلِمٍ أو أحْزَنَتْكَ نِعْمَةٌ أصابَتْهُ فأنْتَ حَسودٌ على الحقيقة لا مَحالَةَ . والحَسَدُ بأسْرِهِ وإنْ كانَ وُجوهاً لا تَنْحَصِرُ[3] راجعٌ إلى هذينِ الأصْلَينِ لا خُروجَ له عنهما بِحَالٍ . فإذا لاحَ في نَفسِكَ حَسَدٌ فكَرِهتَهُ بقَلْبِكَ فَقَدْ سَلِمْتَ مِنْ مُصيبَةِ الحَسَدِ ، ولا يضُرُّكَ ما لاحَ في نَفسكَ مِنْ ذلك ما لَمْ تَعْتَقِدْهُ بقَلْبِكَ أو يَبْدو على جوارِحِكَ .

والحِقْدُ بُغْضَةٌ ثابِتَةٌ[4] يَجِدُها[5] العَبْدُ في نفسِهِ لأحَدٍ مِنَ المُسلمينَ . ـ والعَداوَةُ نَتيجَةٌ مِنْ نَتائِجِ الحِقْدِ ، والحِقْدُ والعَداوَةُ حَرامٌ مَحْضٌ إلاَّ في وَجْهٍ واحِدٍ وهو أن يَحْقِدَ العَبْدُ [على] مُسْلِمٍ[6] أو يُعادِيَهُ على فِعْلٍ مَذمومٍ أصرَّ عليه ، تَحْقِدُ له[7] وتُعاديه عليه زَجْراً له ، فإنْ حَلَّ عُقْدَةَ الإصْرارِ عنِ الفِعْلِ المَذمومِ وتابَ عنه فلا مَعنى للحِقْدِ والعَداوَةِ بعدَ التَّوبَة . وحَمِيَّةُ الجاهِلِيَّةِ نتيجَةٌ مِنْ نَتائِجِ الحِقْدِ والعَداوَةِ ، وهي رأسٌ مِنْ رؤوسِ الشَّرِّ ، وقائِدٌ إلى الهَلاكِ لأنّها تُفْضي بِصاحِبِها إلى قَتْلِ مُسْلِمٍ أو اعْتِقادِ حُبِّ قاتِلِهِ والرِّضى بِفِعْلِهِ . والنَّاسُ في هذه المُصيبَةِ العَظيمَةِ على صِنفَيْنِ : صِنفٍ تَتَسَعَّرُ[8] نيرانُ الحِقْدِ والعَداوَةِ وحَمِيَّةُ الجاهِلِيَّةِ في قَلْبِهِ حتى يَقْتُلَ رَجُلاً مُسْلماً بيَدِهِ أو بأمْرِهِ[9] . ـ وصِنفٍ ثانٍ لا يَقْتُلُ بيده ولا بأمْرِهِ وإنّما يَغْلِبُ على قَلْبِه[10] حَمِيَّةُ الجاهِلِيَّةِ فيُحِبُّ[11] فِعْلَ القاتِلِ ويَفْرَحُ بمُصيبَةِ المَقْتول . فهذا أقْبَحُ

---

1 لم ترد هذه اللفظة في ق .

2 ط : وهم حرام . ـ وفي ب : وهما حرام .

3 ب : فأنت حصود على الحقيقة لا محالة فأسرة كانت وجوهه . ـ وهو تحريف .

4 ق ، ط : ثانية . ـ تصحيف .

5 ط : يجده . ـ تحريف .

6 ع : أن يحقد العبد مسلماً ويعاديه . ـ ط : أن يحقد العبد مسلماً أو يعاديه . ـ م ، ق : أن يحقد العبد مسلم ويعاديه . ـ ب : أن تحقد العبد مسلم وتعاديه . ـ وهو تحريف ، ولعل الصواب ما أثبتنا .

7 في الأصل : تحقده . ـ وما أثبتناه من النسخ الأخرى .

8 ب : تتعسر . ـ تحريف .

9 ط ، ق : يأمره . ـ تحريف .

10 ق : على عقله .

11 ق : فيجب . ـ تصحيف .

الصِّنْفَينِ فهذانِ الصِّنْفانِ في سَفْكِ الدِّماءِ مُشْتَرِكانِ ، وفي عُقوبَةِ القَتْلِ في القِيامَةِ مُسْتَوِيانِ ، لأنَّ مَنْ أحَبَّ فِعْلاً لا فَرْقَ بينَهُ وبينَ فاعِلِهِ . وإلى هذه العِلَّةِ الإشارةُ بقوله عليه السلام : «مَنْ أحَبَّ عَمَلَ قَوْمٍ خيْراً كانَ أو شَرّاً كانَ كَمَنْ عَمِلَه» .

فإنْ أرَدْتَ السَّلامَةَ مِنْ هذه العِلَّةِ فأنْزِلِ المُسْلِمينَ كُلَّهم مَنْزِلَةَ أبْنائِكَ[1] ، فإنْ قَتَلَ أحَدُهم الآخرَ أحْزَنَتْكَ مُصيبَةُ المَقْتولِ ، وأحْزَنَكَ فِعْلُ القاتِلِ . فإنْ لَمْ تَسْتَطِعْ ذلكَ[2] فاعْلَمْ أنَّكَ عَبْدٌ لَمْ يُرِدِ اللهُ أنْ يُطَهِّرَ قَلْبَهُ[3] . فإنَّ حَمِيَّةَ الجاهِلِيَةِ أنْزَلَتْكَ مَنْزِلَةَ كُلِّ شَيْطانٍ مارِدٍ ، فاسْتَعِدَّ [إذن][4] لأخذِ نَصيبِكَ في القِيامَةِ مِنْ إثْمِ كُلِّ قاتِلٍ سَرَّكَ فِعْلُهُ . فالعِياذُ باللهِ مِنْ حُبِّ فِعْلِ القاتِلِ والسُّرورِ بِمُصيبَةِ المَقْتولِ . وما تَوفيقُ قُلوبِنا للنَّجاةِ إلاَّ باللهِ العلي العظيم .

فصل في بيانِ عِلَّةِ الجِسرِ الخامس

فعِلَّتُهُ حُبُّ الثَّناءِ والجاهِ والشَّرَفِ ، وهو حَرامٌ كالميتَةِ . فَطَلَبُ الثَّناءِ والجاهِ والشَّرَفِ لذي رِقٍّ[5] وفقرٍ وذِلَّةٍ قُبْحٌ[6] وحَماقَةٌ . فالرِّقُ عِلَّةٌ وذِلَّةٌ ، والثَّناءُ والجاهُ والشَّرَفُ إنْ أضَفْتَهم[7] لِمَنِ اتَّصَفَ بذلك لا مَعْنى لَهُ كَما أنَّهُ لا مَعْنى لِمُعالَجَةِ وَجْهِ العَجوزِ الهَرِمَةِ المُسِنَّةِ[8] بما يُعالِجْنَ النِّساءُ وُجوهَهُنَّ[9] مِنَ الزينةِ . فإنَّ وضْعَ الشيْءِ النَّفيسِ في غيرِ مَوْضِعِهِ دليلٌ على سَخافَةِ عَقْلِ واضِعِهِ . والثناءُ والجاهُ والشَّرَفُ ليسَ العَبْدُ لَها بِمَوْضِعٍ ، ولم يَرْضَها لِنفسِهِ ذو تَمييزٍ ، فإنَّها مِنْ حُجُبِ القُلوبِ[10] عنِ اللهِ سُبحانه ، لا زَوالَ لِتِلْكَ الحُجُبِ عنِ القُلوبِ[11] إلاَّ بوُجودِ لذَّةِ الذُّلِّ والافتِقارِ ، وما أرى قَلْبَ العَبْدِ المَحْرومِ لَهما بِمَكانٍ . فالعِياذُ باللهِ مِنْ حُجُبِ القُلوبِ .

---

1 ق : فإن أردت السلامة من هذه العلة فالمسلمون كلهم أبناؤك .

2 ع ، ق ، ب ، ط : فإن لم تستطع على ذلك . ـ وما أثبتناه من م .

3 في الأصل : قلوبهم . ـ تحريف صوابه من م ، ق . ـ وفي ط ، ب : قلبك .

4 الزيادة من ق ، ب ، ط .

5 في الأصل : لذي ورق . ـ تحريف صوابه من م ، ق ، ط . ـ وفي ب : رزق . ـ وهو تحريف أيضاً .

6 ط : وقبح . ـ تحريف .

7 ب : فإن أضفتهما . ـ تحريف . ـ وقوله : «والثناء والجاه والشرف إن أضفتهم لمن اتصف بذلك» لم يرد في م .

8 لم ترد اللفظة في م . ـ وفي ع ، ط : الميتة . ـ وفي ق : وجه العجوزة والهرمة الميتة . ـ وما أثبتناه من ب .

9 كذا ورد في ع ، ب ، ط . ـ وفي م : بما يعالجن به النساء وجوههن . ـ وفي ق : بما يتعالج النساء به وجوههن .

10 رواية ب . ـ وفي ع ، م ، ق ، ط : ليس للعبد في ذلك موضع ولم يرضه لنفسه ذو تمييز فإنهما من حجب القلوب .

11 رواية م . ـ وفي ع ، ق ، ط : القلب .

فصل في بَيانِ عِلَّةِ الجسرِ السادسِ

فَعِلَّتُهُ التَّسْويفُ وطولُ الأَمَلِ ، وهُما حَرامٌ كالمِيتَةِ . فالتَّسْويفُ سَبَبُ تَعْطيلِ الحَياةِ ، وتَرْكِ النَّفْسِ بلا تَهْذيبٍ ولا رِياضَةٍ ولا مُجاهَدَةٍ . وطُولُ الأَمَلِ يُنْسي الآخِرَة . فدواءُ التَّسْويفِ مُراعاةُ الوَقْتِ ، ودَواءُ طولِ الأَمَلِ خَوْفُ نُزولِ المَوْتِ بَغْتَةً . وعلامَةُ ذلكَ قِلَّةُ المُبالاةِ بالاسْتِعْدادِ لِغَدٍ ، وخَوْفُ فَوْتِ الوَقْتِ بلا فائِدَةٍ . فإنْ لَمْ يَكُنْ ذلِكَ فأَنْتَ مُسَوِّفٌ وأَمَلُكَ طَويلٌ ، فَتَفَقَّدْ ذلك مِنْ نفسك إنْ كانَتْ[1] لك هِمَّةٌ في سُلوكِ[2] طَريقِ المُجْتَهِدينَ .

فصل في بيانِ عِلَّةِ الجسرِ السابعِ

فعِلَّته الجَزَعُ والسُّخْطُ على الأَقْدارِ المُرَّةِ على النُّفوسِ بِصَدْمَةِ البَلاءِ والمِحَنِ والكُروبِ . ودَواءُ ذلك مُعالَجَةُ الالتِذاذِ بِمَجاري الأَقْدارِ ، ومُوافَقَةُ إرادَةِ الجَبّارِ ، ولا تَطْلُبْ للبَلاءِ عنك زَوالاً ، ولا تَطْلُبْ له عليك بَقاءً ، فإنَّ ذلك اخْتِيارٌ وتَمَلُّكٌ وتُهْمَةٌ ، ورُبَّما يَكونُ في زَوالِهِ[3] تَلَفُ دينِكَ ، أو يَكونُ في بَقائِهِ هَلاكُ قَلْبِكَ بِفَقْدِ الصَّبْرِ عليه . والرِّضى والسُّكونُ تَحْتَ مَجاري الأَقْدارِ مع وُجودِ تَرْكِ الاخْتِيارِ مِنْ شِيَمِ مَشايخِ العارِفينَ .

فإنْ سَلِمْتَ أَيُّها السّالِكُ[4] مِمّا[5] ذَكَرْتُ لك مِنْ عِلَلِ الجُسورِ وما ضارَعَها[6] من العِلَلِ فأَبْشِرْ بِجوازِ الصِّراطِ المَعْنَوي إلى جَنَّةِ المعارِفِ يَتَنَعَّمُ فيها قَلْبُكَ تَنَعُّماً لا يَتَنَعَّمُ به قَلْبُ غافِلٍ[7] مُتَنَعِّمٍ بِحُظوظِ النَّفْسِ[8] في الدّارَيْنِ أَصْلاً[9] . ولا عُثُورَ لك على جَنَّةِ المَعارِفِ إلاَّ بَعْدَ جَوازِ الصِّراطِ المَعْنَوي وبَعْدَ مَعْرِفَتِكَ مَوْلاكَ . ومَعْرِفَتُهُ تَقْتَضي ثلاثةَ مَراتِبَ : الرُّتْبَةُ الأولى مَعرِفَةُ تَنْزيهٍ ، والرُّتْبَةُ الثانِيَةُ معرِفَةُ تَفْريدٍ ، والرُّتْبَةُ الثالِثَةُ مَعْرِفَةُ تَعْظيمٍ وإجْلالٍ .

فمِثالُ مَعْرِفَةِ التَّنْزيهِ كَعَبْدٍ كانَ لَهُ سَيِّدٌ[10] سالِمَةٌ أَوصافُهُ وذاتُهُ ، وبرَّأَهُ[11] مِنَ العِلَلِ والنَّقْصِ

---

1 ب : فتفتقد ذلك إن كانت .

2 في الأصل : مملوك . ــ وفي م : ملوك . ــ تحريف صوابه من النسخ الأخرى .

3 ع ، ق : كان في زواله . ــ وما أثبتناه من م ، ط . ــ وفي ب : يكون في زوال تلف .

4 ق ، ب ، ط : أيها المسكين .

5 ب : ممن .

6 ق : ومضارعها . ــ تحريف .

7 ق ، ب ، ط : يتنعم فيها قلبك تنعما لا يتنعم فيها قلب غافل .

8 ق : النفوس .

9 لم ترد الكلمة في ط .

10 ب : فمعرفة تنزيه كان له سيد . ــ تحريف . ــ وفي ق : فمثل معرفة التنزيه . . .

11 ق : سالمة وصافه (كذا) ووده . ــ تحريف . ــ ولم ترد لفظة «وبرأه» في ب .

فَنفى العِلَلَ والنَّقْصَ عن ذاتِ سَيِّدِهِ وصِفاتِهِ ، ومتى وَصَفَ العَبْدُ ذاتَ سَيِّدِهِ أو شيئاً مِنْ صِفاتِهِ بالنَّقْصِ والعِلَلِ التي لا تَليقُ به فهو جَهولٌ بِصِفاتِ مالِكِهِ ، ولا تَصِحُّ عِبادَتُهُ[1] حتى يعْرِفَ مَعْبودَهُ .

ومَعْرِفَةُ التَّفْريدِ أَنْ يَرى العَبْدُ ما أصابَهُ مِنْ خَيْرٍ أو شَرٍّ ، أو مَنْعٍ أو عَطاءٍ ، مِنْ مَوْضِعٍ واحِدٍ وإِنْ كانَ الخَيْرُ والشَّرُّ[2] والمَنْعُ والعَطاءُ عَنْ يَدٍ واسِطَةٍ . وحَقيقَةُ ذلك تَجَرُّدُ القَلْبِ عن لَوْمِ الوَسائِطِ ، وهي دقيقَةٌ صَعْبَةٌ على القُلوبِ .

ومَعْرِفَةُ تَعْظيمٍ وإِجْلالٍ نِسْيانُ النَّفْسِ والتَّجَرُّدُ عنِ الخَوْفِ عليها مِنْ عذابِ الدَّارَيْنِ جميعاً سِوى خَوْفِ البَيْنِ والحِجابِ والتَّجَرُّدِ عَنْ حَظِّها مِنْ مَلْذوذاتِها[3] في الدَّارينِ [جميعاً][4] إلاَّ ما تَمَسُّ الحاجَةُ إليه مَعَ وُجودِ إِقْبالِ القَلْبِ على اللهِ سُبْحانَهُ وانْصِرافِ الهِمَّةِ[5] بأَسْرِها إليه إلاَّ ما تَسْتَبِدُّ منه طَبائِعُ البَشَرِيةِ مَعَ قَطْعِ كُلِّ عَرَضٍ[6] يَسْتَرِقُ القُلوبَ عنه .

فإِنْ نالَ العَبْدُ ذلك فَقَدْ وَضَعَ قَدَمَهُ في مَقاماتٍ سَنِيّاتٍ أَقَلُّها وأَدْناها الحَياءُ مِنَ اللهِ سُبْحانه ثُمَّ يَتَغَلْغَلُ بَعْدَها[7] في بُحورِ الأَسْرارِ بعْدَ زُهْدِهِ وعُزوبِ قَلبه عمَّا يَبدُو عليهِ مِنْ شَواهِدِ الكَراماتِ . فحينَئذٍ يطَّلِعُ على أَسْرارٍ[8] أفادَهُ إيَّاها جَبَّارُ الأَرْضِ والسَّماواتِ .

فَقَدْ وَضعْتُ لَكَ أَيُّها الأَخُ الكَريمُ قُطْباً يُزيلُ عنكَ جَهْلَكَ إنْ كانَ لك قَلْبٌ ، ونَصَحْتُكَ فيهِ جَهْدي .

وكانَ فَراغُنا مِنْ تَأليفِهِ أَوَّلَ يَوْمٍ مِنْ شَهْرِ المُحَرَّمِ عامَ سبعٍ وسَبْعينَ وخَمْسِ مائَةٍ[9] .

فعسى اللهُ أَنْ يَنْفَعَ به طالِبَهُ [ومُؤَلِّفَهُ][10] وسامِعَهُ وقارِئَهُ ومُقْرِئَهُ ، وأَنْ لا يَجْعَلَ وَضْعَهُ عَلَيَّ وَبالاً ، ولا حُجَّتَهُ عَلَيَّ نَكالاً ، وأَنْ يَغْفِرَ لنا ما طَغى بِهِ القَلَمُ ، وزَلَّتْ به القَدم ، فإِنَّ للعَقْلِ

---

1 ب : ولا تصلح عبادة العبد . ـ تحريف .

2 ب : وإن كان الشر والخير .

3 ق : مِن مرادتها .

4 الزيادة من م ، ق ، ط . ـ وقوله : «سوى خوف البين . . . الدارين جميعاً» لم يرد في ب .

5 م ، ب : همته .

6 في الأصل : غرض . ـ وما أثبتناه من النسخ الأخرى .

7 لم ترد اللفظة في ط .

8 م ، ب : يطالع أسْراراً .

9 ب : عام سبعة وسبعين وخمس مائة عام . ـ ولم يرد ذكر لتاريخ الفراغ من تأليف الكتاب في نسخة القرويين (ق) .

10 الزيادة من ق ، ب .

نَوْمَةٌ ، وللفَهْمِ غَفْلَةٌ ، وللعَبْدِ زَلَّة . وإصابَةُ الصّوابِ مِنْ تَوْفيقِ الرَّبِّ سُبحانهُ[1] . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصَحْبِهِ وسَلَّمَ تَسْليماً[2] .

---

1 م : من الله سبحانه .

2 وبعدها في الأصل (ع) : كملت الأقطاب بحمد الله على يد كاتبها مبارك بن إبراهيم بن محمد بن يدّار اللزيبي الركادي منشأ وداراً ، لطف الله به بمنّه وبمن له عليه حق في الدارين ، آمين . وكتبها لشيخه العالم العلامة سيدي وسِنادي إبراهيم بن محمد واوي (كذا) ، لقب به الأحسني من سلالة الرجراجة نفع الله بهم وبأمثالهم وبه ، بحق من له جاه . ونطلب منه صالح الدعاء في كل وقت . وهذا وكان الفراغ منه يوم الاثنين لأشهر الله [بياض] عام 1219 والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً .

وفي (م) : وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وعلى أهل العناية من الخلق أجمعين عدد ما أحاط به علمه وكرمه . كمل الكتاب المبارك على يد العبد المذنب عبد السلام بن عبد الله الفزكاري ، نجل العثماني ، كان الله له وللمسلمين ولياً ونصيراً ، في أول جمادى الأولى عام عشرين ومائتين وألف .

وفي (ق) : وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً وعظم وكرم إلى يوم الدين . الحمد لله رب العالمين . كمل قطب العارفين تأليف الشيخ أبو القاسم (كذا) عبد الرحمن بن يوسف بن عبد الرحمن اللجائي رحمه الله تعالى ورضي عنه . اللهم ارحم كاتبه وكاسبه وقارئه ، آمين يا رب العالمين ، على يد ناسخه الفقير الراجي إلى عفو (كذا) مولاه عبيد الله تعالى محمد بن إبراهيم بن يوسف الخالدي ثم السجتاني كان الله له ، آمين . فرغ منه من محرم فاتح (كذا) ثمانية وسبعين وتسعمائة . عرفنا الله خيره ووقانا شره . اللهم اغفرلنا ولجميع المسلمين آمين .

وفي (ب) : وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وعلى أهل العناية من الخلق أجْمعين عدد ما أحاط به علمك وشرف وكرم . ـ كمل قطب العارفين بحمد الله وحسن عونه ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله . وكان الفراغ منه يوم الثلاثة (كذا) قرب العصر في يوم ثمانية وعشرين من المحرم على يد العبد الذليل الحقير المذنب إدريس بن الطيب والواستدي كان الله له ولوالديه . ـ وأغفل الناسخ ذكر السنة التي نسخت فيها المخطوطة وأضيف إلى هذه المخطوطة صفحة من مخطوطة أخرى في التصوف كتبت بالخط نفسه .

وفي (ط) : كملت الأقطاب الثلاثة والحمد لله على حسن عونه وتوفيقه لبدئه وتمامه . انتهى . «وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : إن الأحاديث ستكثروا (كذا) عني بعدي كما كثرت عن الأنبياء من قبلي ، فما جاءكم عني فاعرضوه على كتاب الله ، فما وافق كتاب الله فهو عني قلته أم لم أقله . ـ وسئلت عائشة رضي الله عنها عن خُلق رسول الله ﷺ فقالت : خلقه القرآن . وتلت : ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾ . ـ وقد كتبت هذه العبارات بالخط نفسه الذي كتبت به المخطوطة . ـ ولم يرد في هذه النسخة ذكر اسم الناسخ ولا تاريخ نسخها .

فهرس الآيات القرآنية[1]

1 رتبنا الآيات القرآنية بحسب ورودها في الكتاب .

﴿وإلاّ تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين﴾	80
﴿لو كان عرضاً قريباً وسفراً قاصداً لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة﴾	86
﴿فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون﴾	87
﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة﴾	92
﴿قد علم كل أناس مشربهم﴾	95
﴿وما كان الله ليضل قوماً بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون﴾	99
﴿الله أعلم حيث يجعل رسالاته﴾	102
﴿قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مدداً﴾	103
﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾	103
﴿ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه﴾	107
﴿إن هذا لهو حق اليقين فسبح باسم ربك العظيم ﴾	109
﴿سارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين﴾	110
﴿فاقض ما أنت قاض إنما تقضي هذه الحياة الدنيا﴾	113
﴿وأيوب إذ نادى ربه أني مسني الضر وأنت ارحم الراحمين﴾	115–114
﴿إن المتقين في مقام أمين﴾	120
﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾	120
﴿واتقوا الله ويعلمكم الله﴾	120
﴿يهدي الله لنوره من يشاء﴾	122
﴿يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار﴾	122
﴿الله نور السماوات والأرض﴾	122
﴿مثل نوره كمشكاة فيها مصباح﴾	122
﴿ كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾	123
﴿ كل شيء هالك إلا وجهه ﴾	123
﴿قل أي شيء أكبر شهادة قل الله﴾	126
﴿وأن إلى ربك المنتهى﴾	126
﴿والله خير وأبقى﴾	126
﴿هم درجات عند الله﴾	126
﴿فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور﴾	130
﴿لكي لا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم﴾	165 ، 132
﴿إن في ذلك لآيات للمتوسمين﴾	135
﴿انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني﴾	142

فهرس الأحاديث النبوية[1]

1 رتبنا الأحاديث النبوية بحسب ورودها في الكتاب .

«[حديث قدسي] أعددت لعبادي الصالحين ما لاعين رأت ، ولا أذن سمعت
ولا خطر على قلب بشر » . 116
«إن في الجنة جنتين آنيتهما وما فيهما من فضة ، وجنتين آنيتهما وما فيهما من ذهب وما بين
القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن» . 116
«من أخلص لله أربعين يوماً ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه» . 121 ، 139
«اتقوا النار ولو بشق ثمرة» . 128
«الإيمان عريان ولباسه التقوى وزينته الحياء وثمرته العلم» . 128
«[في الخبر] حب الدنيا رأس كل خطيئة» . 130
«إن لله عبادا يعرفون الناس بالتوسم » . 135
«اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله» . 135
«من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار» . 136
«لا تعطوا الحكمة غير أهلها فتظلموها ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم » . 136
«[حديث أو خبر] ينادي مناد يوم القيامة أين صفوة الله من عباده ؟ فتقول الملائكة :
يا رب ، ومن صفوتك من عبادك ؟ فيقول : القانعون بعطائي الراضون بقضائي» . 138
«إذا زهد العبد في الدنيا ورث ثلاث خصال : عزاً من غير عشيرة ،
وغنى من غير مال ، وعلما من غير تعليم» . 139
«حجابه حجبه ؟ النور ، ولو كشفها لأحرقت سبحات وجهه كل شيء أدركه بصره» . 141
«[حديث ؟] : تكون الرؤية الصالحة جزءاً من ستة وأربعين جزءاً من النبوة» . 141
«لا تزال طائفة من أمتي على الحق إلى قيام الساعة ، منهم العلماء ، ومنهم الأولياء ،
ومنهم البدلاء ، ومنهم الأخيار ، ومنهم النجباء ، ومنهم النقباء ، ومنهم الأوتاد ،
ومنهم القطب ، والقطب واحد في مكة . والأولياء أربع على أركان الدنيا ،
والنجباء سبع في الشام ، والنقباء اثنا عشر ، والأخيار في السياحة أربع وعشرون ،
والبدلاء في المدن والقرى وهو أربعون ، والأولياء الصالحون في المغرب ، والأولياء ثلاث مائة» . 147
«لو وزن رجاء المؤمن وخوفه لاعتدلا» . 154
«استفت قلبك وإن أفتاك المفتون» . 157
«من أحب عمل قوم خيراً كان أو شراً كان كمن عمله» . 169

فهرس القوافي

أوله	القافية	البحر	الصفحة
تولّع بالحب	يطقْ	المتقارب	126
أشتاقَهُ	إجلالِه	مجزوء الكامل	141

فهرس الأعلام

فهرس اللغة

الألفاظ اللغوية والمصطلحات الصوفية المشروحة

فهرس المصادر والمراجع

* **القرآن الكريم** .
* **إحياء علوم الدين** . أبو حامد الغزالي . طبعة الحلبي 1967 .
* **الأدب المغربي من خلال ظواهره وقضاياه** . د . عباس الجراري . منشورات مكتبة المعارف . الرباط .
* **أساس البلاغة للزمخشري** ، أبي القاسم محمود بن عمر . دار الكتب والوثائق القومية . مصر 1973 .
* **اصطلاحات الصوفية** . كمال الدين عبد الرازق القاشاني :
- الهيئة المصرية العامة للكتاب 1971 .
- تحقيق د . عبد العال شاهين . دار المنار القاهرة 1992 .
* **اصطلاحات الصوفية** . محيي الدين بن عربي . تحقيق : بسام عبد الوهاب الجابي . دار الإمام مسلم . بيروت 1990 .
* **أعز ما يطلب** . المهدي بن تومرت . تحقيق وتقديم : عمار الطالبي . المؤسسة الوطنية للكتاب . الجزائر 1985 .
* **الأعلام** . خير الدين الزركلي . الطبعة السادسة . بيروت 1984 .
* **الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام** . العباس بن إبراهيم . تحقيق : عبد الوهاب بن منصور . الطبعة الملكية الرباط 1977 .
* **ألف سنة من الوفيات** . جمعه : د . محمد حجي . دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر . الرباط 1976 .
* **ألفاظ الصوفية** . د . حسن الشرقوي . مؤسسة مختار . القاهرة 1992 .
* **الأنيس المطرب** . علي بن أبي زرع . دار المنصور الرباط 1973 .
* **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب** . ابن عذاري ، أحمد بن محمد المراكشي . تحقيق : ج س كولان ، وليفي بروفنسال . دار الثقافة بيروت 1983 .
* **تاج العروس للزبيدي** . مطبعة حكومة الكويت 1965 .
* **تاريخ تطوان** . محمد داود . منشورات معهد مولاي الحسن 1979 .
* **تاريخ المغرب الإسلامي : قراءات جديدة في بعض قضايا المجتمع والحضارة** . د . إبراهيم القادري بوتشيش . دار الطليعة بيروت 1993 .
* **التشوف إلى رجال التصوف** . أبو يعقوب يوسف بن يحيى التادلي . تحقيق : د . أحمد التوفيق . منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ـ جامعة محمد الخامس الرباط 1984 .

- **التعريفات** . الشريف الجرجاني ، محمد بن علي . مكتبة لبنان . بيروت 1969 .
- **الجامع الصحيح للإمام البخاري** ، أبي عبد الله محمد بن الحسن . عالم الكتب . بيروت 1985 .
- **جدل العقل والنقل في مناهج التفكير الإسلامي** . د . محمد الكتاني . دار الثقافة الدار البيضاء 1992 .
- **جذوة الاقتباس** . ابن القاضي ، أبو العباس أحمد بن محمد . دار المنصور للطباعة . الرباط 1973 .
- **حضارة الموحدين** . محمد المنوني . دار توبقال للنشر . الدار البيضاء 1989 .
- **درة الحجال في أسماء الرجال** . ابن القاضي ، أبو العباس أحمد بن محمد . تحقيق : محمد الأحمدي أبو النور . دار التراث القاهرة .
- **دليل مؤرخ المغرب الأقصى** . ابن سودة ، عبد السلام بن عبد القادر . دار الفكر بيروت 1997 .
- **الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون** لابن غازي ، أبي عبد الله محمد بن أحمد . تحقيق : عبدالوهاب ابن المنصور . المطبعة الملكية 1988 .
- **روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس – المقري** ، أحمد بن محمد . المكتبة الملكية الرباط 1983 .
- **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى** . الناصري ، أحمد بن خالد . دار الكتاب . الدار البيضاء 1954 .
- **صحيح الإمام مسلم ، أبي الحسن بن الحجاج** . وقف على تحقيقه وطبعه : محمد فؤاد عبد الباقي . دار إحياء التراث العربي .
- **فهرس الفهارس** . عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني . دار الغرب الإسلامي . بيروت 1986 .
- **فهرس المخطوطات العربية المحفوظة في الخزانة العامة للكتب والوثائق بالمغرب** . وضعه الأستاذان علوش والركراكي . معهد الأبحاث العاليا المغربية . الرباط 1958 .
- **فهرس مخطوطات خزانة القرويين** . محمد العابد الفاسي . الطبعة الأولى . الدار البيضاء 1980 .
- **القاموس المحيط للفيروز أبادي** . البابي الحلبي . القاهرة 1952 .
- **كتاب التعازي والمراثي** . المبرد ، أبو العباس محمد بن يزيد . تحقيق وتقديم : د . محمد الديباجي . مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق 1976 .
- **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر** . عبد الرحمن بن خلدون . بيروت 1979 .
- **الكليات** . أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكوفي . تحقيق : عدنان درويش ومحمد المضري . مؤسسة الرسالة بيروت 1992 .
- **لسان العرب** . ابن منظور . دار صادر . بيروت 2000 .
- **المحاضرات في الأدب واللغة** . الحسن اليوسي . تحقيق : محمد حجي وأحمد الشرقاوي إقبال . دار الغرب الإسلامي . بيروت 1982 .
- **مسند الإمام أحمد بن حنبل** . حققه : شعيب الأرناؤوط وآخرون . بيروت 1999 .

* **المعجب في تلخيص أخبار المغرب للمراكشي ، عبد الواحد بن علي :**
– تحقيق : محمد سعيد العريان . طبعة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية . القاهرة 1963 .
– تحقيق : محمد زينهم . دار الفرجاني (من غير ذكر لمكان الطبع وتاريخه) .
* **معجم المصطلحات الصوفية** . عبد المنعم الحفني . دار المسيرة . بيروت 1987 .
* **معجم مصطلحات الصوفية** . أنور فؤاد أبو خزام . مكتبة لبنان 1993 .
* **المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي** . الاتحاد الأممي للمجامع العالمية . ليدن 1936 .
* **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم** . محمد فؤاد عبد الباقي . طبعة دار الأندلس .
* **المعجم الوسيط** . مجمع اللغة العربية بالقاهرة . مطابع قطر الوطنية .
* **مفردات ألفاظ القرآن** . الراغب الأصفهاني . تحقيق : نديم مرعشلي . دار الفكر بيروت .
* **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقيا والأندلس والمغرب** . الونشريسي ، أبو العباس أحمد بن يحيى . خرجه جماعة من العلماء . منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الرباط 1981 .
* **المقصد الشريف والمنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف** . عبد الحق بن إسماعيل البادسي . تحقيق : سعيد أحمد أعراب . المطبعة الملكية الرباط 1982 .
* **المهدي بن تومرت** . عبد المجيد النجار . دار الغرب الإسلامي . بيروت 1983 .
* **النبوغ المغربي في الأدب العربي** . عبد الله كنون – الطبعة الثالثة . بيروت 1975 .
* **النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري** . عز الدين أحمد موسى . دار الشروق . بيروت 1983 .
* **نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني** . محمد بن الطيب القادري . تحقيق : محمد حجي وأحمد التوفيق . مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر . الرباط 1977 .

فهرس الموضوعات

